ديـوان
كعب بن زهير

صنعة الإمام
أبي سعيد السكري

شرح ودراسة
د. مفيد قميحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان
كعب بن زهير

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

الناشر
دار الشوّاف للطباعة والنشر
ص.ب: ٥٧٧٠٤ - الرياض ١١٥٨٤
الرياض - المملكة العربية السعودية

دار المطبوعات الحديثة
حي العزيزية - شارع البلديات
أمام سوبر ماركت الفانوس - ت/ ٦٦١٠٨٨٠
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه الطاهرين، وبعد، فإنّ الشعر في الجاهلية كان خاضعاً لكثيرٍ من المؤثِّرات والظروف التي حصرت انطلاقه ضمن أطرٍ محدّدة، لم يستطع الشعراء التحلّل منها أو الانفلات من إسارها الذي نعتقد أنه كان قوياً بل وضاغطاً إلى الحدّ الذي جعلهم يسرحون داخل مجالاتٍ ضيقة لم تتجاوز عند الكثير منهم حدود البيئة والقبيلة أو غيرها من المكوّنات الموروثة التي لم تسمح لها الثوابت القاسية والمسلّمات الأعراف أن تتجدّد أو تتغيّر، وظلّت راسخة متأصّلة في النفوس حتى أدركها الاسلام، وعمل جهده على تغيير أكثرها وطرحه، وتهذيب ما رأى عدم تعارضه مع مبادئه وتعاليمه، ولا يظننّ أحدٌ أن الاسلام قد حمل العرب على تغيير نزعاتهم بالسّرعة المطلوبة، وبمجرد اعتناقهم لمبادئه، فمن الواضح أنّ الصراع بين القديم والجديد من شأنه أن يستمرّ طويلا حتى يحلّ الجيل الجديد محلّ القديم الذي قلّ أن يتلاشى تماماً إلاّ بعد انقضاء وقت من الزمن ليس بالقصير، تكون فيه المؤثّرات الجديدة قد ترسّخت وتأصّلت واستطاعت أن تمحو من النفوس كلّ ما علق فيها من رواسب الماضي واعرافه البالية، والشعر كغيره من تلك الثوابت التي تتطلّب وقتاً لتتغيّر وتتبدل، وإن كان من المعروف عنه أنه في كلّ أمة يخضع «لتطور حياتها في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وهي التي تحدّد مجراه ومساربه واتجاهاته، وهي التي

تفرض عليه ما شاءت من التغيّرات، فينتقل من طورٍ إلى طور، وتتبدّل موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه، وتستثار فيه معانٍ جديدة لم تكن موجودة وتغلب عليه صياغة لم تكن مألوفة، وبقدر خطر هذه التغيُّرات التي تحدث في حياة كلّ أمّة، يكون خطر التغيّرات التي تحدث في تطور الشعر والأدب عامة»[1] إلاّ أن تلك التغيّرات التي تساعد على الانطلاق والتجديد لم تكن قبل الاسلام ذات شأن يذكر، فهي وإن كانت شبه موجودة فإنها لم تكن فاعلة إلى الحدّ الذي يسمح في ظهور تيارات شعريّة مستحدثة، وهي لم تتجاوز في وجودها حدود البيئة الضيقة إلاّ إلى بيئات أخرى عند بعض الشعراء، كبيئة المناذرة والغساسنة، وهما أيضا لا يختلفان كثيراً عن بيئة شعراء العربية في صحرائهم إلاّ في قليلٍ من النفوذ والرّفاهية، ورغم ذلك فإن هاتين البيئتين قد ساعدتا الكثير من الشعراء على توسيع مداركهم، وانطلاق مشاعرهم بفعل عوامل العطاء والمنع، والحلّ والارتحال، لما فيهما من بواعث على تفتيق قرائح الشعراء وإغنائها بكثير من المكتسبات والخبرات التي سمحت لنا بالتعرّف على شعراء قلائل اتسعت مداركهم لتشمل أبعاداً تجاوزت حدود ما يدور في تلك البيئة القاسية من أنماط وأحداث وصور رتيبة، تكاد تكون متشابهة لولا بعض التغيُّرات البسيطة في الصياغة الشعرية التي تفاوتت عندهم على مقدار حظّهم من الشاعريّة، ونصيبهم من الاطلاع والابتكار.

ويبدو جليّاً أن اتصال العرب بمن حولهم من الأمم المجاورة لم يكن اتصالاً ثقافياً في دوافعه، بل كان مصلحيّاً في جلّه، وهذا ما يمكن لنا تبيُّنه من خلال اطلاعنا على ما وصل إلينا من شعرهم الذي نلمح فيه

---

(١) د. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للجهرة ص ٢٥ المكتب الاسلامي.

محافظةً على الثوابت التي لم تستطع عوامل الانطلاق من العزلة أن تؤثّر فيها أو تخفّف من رتابتها التي أحسّ بها بعض الشعراء، ولكنهم لم يبذلوا جهداً لتغييرها أو الثورة عليها، بل اكتفوا بالاشارة إليها دون أيّ مساسٍ بالمسار والمكوّنات، فهذا عنترة يقول[١]:

هــل غــادر الشعراء من مــتردّم   أم هل عرفت البيت قبل توهّم

وهذا كعب بن زهير أيضاً يقول[٢]:

مــا أرانــا نقول إلاّ رجيعــاً   ومعــاداً من قولنــا مكرورا

ولقد أعاد بعض النقّاد أسباب تلك الرتابة إلى البيئة الصحراوية التي هي في رأيهم حصرت آفاق الفكر للانسان العربي وحدّت من خياله الذي راح يكرّر الصور، ويتفنّن في صياغتها مستفيداً من صياغة غيره، ومضيفاً إليها بعض الألوان، إلاّ أنّه لم يستطع السّوح والابتعاد عن الماديّ المحسوس والخوض بعيداً في مسارب الفكر والنفس والرؤى والتطلعات، يقول الدكتور أحمد أمين: فللصحراء «موسيقى ذات نغمة واحدة متكرِّرة، موسيقى عابسة قاسية، رهيبة عظيمة، فلا عجب أن نرى أهلها قد استولى عليهم نوع من انقباض النفس أو الكآبة أو الوجد، أو ما شئت فسمّه، ولا عجب أيضاً أن يتغنّى شعراؤها بنوعٍ واحدٍ من القول، ونغمةٍ واحدة، لأنّ الصحراء توقّع على نفوسهم صوتاً واحداً، فيشعرون - كما تلقوا - شعراً واحداً»[٣].

وليس حديثنا الموجز عن الشعر العربي في الجاهلية ومساراته إلاّ مدخلاً لحديثنا عن كعب بن زهير الشاعر المخضرم الذي قدّر له أن

---

(١) ديوان عنترة ص ١٤٢ دار الكتب العلمية.
(٢) ديوان كعب بن زهير ص ١١٤ دار الفكر للجميع.
(٣) فجر الإسلام ص ٤٥ - ٤٦ دار الكتاب العربي.

يعاصر الجاهلية والاسلام،. ويعيش في كلٍّ منهما ردحاً من الزمن لم يُتفق على تحديد مدّته، لنرى بعدُ موقعه من التغيّرات التي أحدثها الاسلام في بنية المجتمع العربي، ومدى تفاعله معها وارتباطه بجوهرها وارتشافه من معينها، فمن هو كعب بن زهير هذا؟ وما هو موقعه من الشعر في الجاهلية والاسلام؟...

هو الصحابيُّ الجليل والشاعر المخضرم المشهور أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سُلمى، واسم أبي سُلمى ربيعة بن رباح بن قرض بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أُدّ[1]، وقد جاء في اللّسان: وليس في العرب سُلمى بالضمّ غيره[2] وهو شاعرٌ عالي الطبقة من أهل نجد[3] وكانت محلّتهم في بلاد غطفان، فيظنّ الناس أنّهم من غطفان، أعني زهيراً وبنيه وهو غلط[4] وقد وقع ابن قتيبة في الخطأ عندما قال: إنّ الناس ينسبونه إلى مزينة[5] وإنّما نسبه في غطفان، وليس لهم بيت شعرٍ ينتمون فيه إلى مزينة إلاّ بيت كعب بن زهير، وهو قوله:

همُ الأصل منّي حيث كنت وإنّني   من المزنيّين المصفّين بـــــالكرمْ

---

(١) راجع الأغاني ج ١٥ - ص ١٤٦ وطبقات الشعراء ص ٤٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٧٥والاستيعاب ج ٣ ص ١٣١٣، وتاريخ اليعقوبي ج أول ص ٢٦٢.

(٢) لسان العرب مادة سلم ص ٢٩٩.

(٣) فهرس الأعلام للزركلي مجلّد ٥ ص ٢٢٦.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البرّ ج ٣ ص ١٣١٣.

(٥) مُزينة: هم بنو عمرو بن أُدّبن طابخة بن اليأس، نسبوا إلى أمّهم مزينة بنت كلب بن وبرة، منهم النعمان بن مقرّن، ومنهم معقل بن سنان بن نبيشة صاحب النبيّ عليه الصلاة والسّلام، وإنّما مزينة كلّها بنو عثمان وأوس بن عمرو بن أُدّ بن طابخة وفي ذلك يقول كعب بن زهير:

متى أدع في أوس وعثمان تأتني   مساعـــير قومٍ كلّهم سادةٌ دعمْ
هم الأسد عند البأس والحشد في القرى   وهم عند عقد الجار يوفون بالذّمم

ولكنه عاد في ترجمته الثانية لزهير وأصلح ما كان قد ظنّه صواباً، وأعاد نسبه إلى مزينة فقال: إنّه من مزينة مضر »[١].

أمّا والدته فهي « امرأةٌ من بني عبد الله بن غطفان يقال لها: كبشة بنت عمّار، بن عديّ بن سحيم، وهي أمّ سائر أولاد زهير »[٢] وكان زهير قد تزوجها فوق امرأته الأولى أمّ أوفى التي ذكرها في مطلع معلقته[٣] لأنّها ولدت منه أولاداً ماتوا جميعهم وكان زهير يريد لنفسه الولد، فتزوّج كبشة تلك فغارت أمُّ أوفى من ذلك وآذته فطلّقها ثمّ ندم فقال:

لعمرك والخطوب مغيّراتٌ   وفي طول المعاشرة التقالي
لقد باليت مطعن أمِّ أوفى   ولكن أمّ أوفى لا تبالي[٤]

أمّا مولده، فلا تذكر المصادر شيئاً عن تاريخه، وكلّ الذي ذكرته أنّه عاش مع والده في ديار بني غطفان بعد أن رحل عن مزينة، وأقام في الحاجر من ديار نجد، واستمرّ «أي زهير» فيه وبنوه بعدالاسلام[٥] والحاجرُ: اسمٌ لموضع وهو في لغة العرب ما يمسك بالماء من شفة الوادي[٦] ويظهر أنّه ولد في ديار قوم أمّه، وتأثر بهم حتى صار واحداً منهم « يشترك في جميع مآتيهم حرباً وسلماً، وقد رثى ربيعة بن مكدِّم الكناني لصلته بقوم أمّه[٧].

(١) الشعر والشعراء ص ٦٩ - ٧١ راجع كذلك ديوان كعب ص ٥٢ راجع العقد الفريد ص ٢٨٦-٢٩٧ ج ٣ وديوان كعب ص ٥٢-٥٤.
(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٤٧.
(٣) قال زهير في معلقته:
أمن أمّ أوفى دمنةٌ لم تكلّم   بحومانة الدُّرّاج فالمتثلَّم
(٤) راجع شعراء النصرانية للأب لويس شيخو ج ٢ ص ٥٦٧ ،وديوان كعب بن زهير ص م الدار القومية للطباعة والنشر، كذلك كتابنا المعلّقات ص ١٤٦ - ١٤٧ - دار الهلال.
(٥) راجع فهرس الأعلام للزركلي المجلد رقم ٣ ص ٥٢.
(٦) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٢٠٤.
(٧) فؤاد أفرام البستاني الروائع ص ٦٩ أيلول ١٩٣٣.

ويبدو أنّ شاعرية كعب قد ظهرت في وقت مبكّر، ولا غرو في ذلك فهو ينتمي إلى بيتٍ من بيوتات الشعر التي تألّقت في الجاهلية، وخلّفت لنا العديد من الشعراء المشهورين، ويتّفق الرواة بشكل تام على أنّ الشعر لم يتصل في ولد أحدٍ من فحول الجاهلية اتصاله في زهير وولده.

يقول ابن الاعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه:

وما يغني توقّي الموت شيئاً ... ولا عقد التميم ولا الغضار[1]
إذا لاقى منيّته فأمسى ... يساق به وقد حق الحذار
ولاقاهُ من الأيّام يومٌ ... كما من قبل لم يخلد قدار[2]

وهكذا فإنّ كعباً قد ورث الشعر من طرفي أبيه وأمّه، وورّثه من بعدُ أبناءه وأحفاده، فيقال: إنّ ابنه المضرّب كان شاعراً واسمه عقبة ابن كعب، لقّب بالمضرّب لأنه شبّب بامرأةٍ فضربه أخوها بالسيف ضربات كثيرة فلم يمت، وكذلك حفيده العوّام بن عقبة بن كعب كان شاعراً أيضاً[3] ولكعب ابن آخر، من ولده الحجّاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب، وهو الذي روى عنه التبريزي قصيدة بانت سعاد من طريقة سنداً[4].

---

(١) الغضار: نوعٌ من الخزف الأخضر، كان إذا خشي المرء في الجاهلية على نفسه يعلّقه في عنقه اتقاءً من الموت.

(٢) قدار: هو قدار بن سالف الذي يقال له أحمر ثمود عاقر ناقة صالح عليه السلام «لسان العرب مادة قدر ص ٨٠» راجع قول ابن الاعرابي في الأغاني الجزء التاسع ص ١٥٨.

(٣) راجع خزانة الأدب ج ٤ ص ١١.

(٤) راجع ديوان كعب بن زهير المقدّمة ص م الدار القومية.

ممّا تقدّم نستدلُّ على أن كعباً كان سليل بيت شعريّ أصيل، له قدمٌ وسبق في نظم الشعر وترسيخ قوافيه، وأثرٌ قويّ في صناعته وتهذيبه وصقله، ويشير الحطيئة[1] صراحةً إلى مزايا ذلك البيت وعراقته في الشعر ونظمه وتنقيحه، فينقل الرواة عنه أنّه أتى كعباً وطلب منه أن يذكره في شعره حتى يتحقق له الفضل والشرف على غيره من الشعراء، فعن أبي عبيدة قال: أتى الحطيئة كعب بن زهير وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير فقال له: يا كعب، قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك، فإنّ الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع فقال كعب:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفوّز جرول
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تنخّل منها مثل ما أتنخّل
يثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كلّ ما يتمثل[2]

هذه الحادثة تدلُّ على المكانة الشعرية البالغة لذلك البيت، وهي مكانة كما نرى كان بإمكانها أن ترفع وتضع، وأن تُشهر وتخمل، كما بإمكاننا أيضاً أن نستشف منها مدى التأثير البالغ والشهرة العريضة التي جعلت من ذلك البيت مدرسة تحوك الشعر وتعلّمه، وتكتب لمن تشاء الخلود ولمن لا تشاء النسيان وخمول الذكر.

---

(١) هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس ولقّب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض، ويكنّى أبا مليكة وكان راوية زهير، وهو أحد الشعراء المخضرمين المشهورين، راجع الشعر والشعراء ص ١٩٩.

(٢) طبقات الشعراء ص ٤٧، راجع كذلك الأغاني ج ١٥ ص ١٤٧، والشعر والشعراء ص ٨١ - ٨٢ وديوان كعب ص ٤٧، مع اختلافٍ بسيط في ترتيب الأبيات وألفاظها.

وقد نشأ كعب في ذلك البيت، وتلقّى علومه الأوّلية فيه، فترعرع على حبِّ الشعر والاستماع إليه، وكان له من والده خير معلّمٍ ومثقف، وتذكر الروايات رعاية والده له، ومراقبة فطرته الشعريّة التي تكفّلها زهير بالعناية حتى استحكمت، وصلب عودها وترسّخ قدمها فسمح لها أن تنظم الشعر، وتنفي عنه كلّ ما يسيء إليه، من هذه الروايات: أنّ كعباً تحرّك وهو يتكلّم بالشعر، فكان زهيرُ ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره، فيُروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك، ففعل ذلك مراراً، يضربه ويزبُره، فغلبه، فطال ذلك عليه، فأخذه فحبسه، ثم قال: والذي أحلف به، لا تتكلّم ببيت شعر، ولا يبلغني أنّك تريغ الشعر - أي تطلبه - إلاّ ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك، فمكث محبوساً عدّة أيام، ثمّ أخبر بأنّه يتكلّم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً، ثم أطلقه وسرّحه في بَهْمِه، وهو غليمٌ صغير فانطلق فرعاها، ثم راح بها عشيّة وهو يرتجز:

كـــأنّما أحـــدو ببهمي عـــيرا　　　من القرى، موقرةً شعــــــــيرا

فخرج إليه زهير إليه وهو غضبان، فدعا بناقته، وكفّلها بكسائه، ثمّ قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب، فأخذ بيده فأردفه خلفه، ثمّ خرج يضرب ناقته وهو يريد أن يتعنّت ابنه كعباً، ويعلم ما عنده ويطّلع على شعره، فقال زهير، حين برز من الحيّ:

إنّي لتعــديني عـــلى الهمِّ جسرة　　　تخـبُّ بوصّـالٍ صرومٍ وتعنـقُ

ثمّ ضرب كعباً وقال: أجز يا لكع، فقال كعب:

كبنيـانـة القريـيِّ موضـعُ رحلها　　　وآثـار نسعيهـا من الـدّفِّ أبلـقُ

فقال زهير:

عـلى لاحـبٍ مثـل المجرّة خلتـه　　　إذا ما علا نشزاً من الأرض مُهرَقُ

ثمّ ضرب كعباً وقال: أجز يا لكع، فقال كعب:

منـــيرٌ هـــداه، ليلُـــه كنهـــاره　　　جميـــعٌ إذا يعلو الحزونـة أفرقُ

ثمّ بدأ زهير في نعت النعام، وترك نعت الإبل، فقال زهير يعتسف به عمداً:

وظـلَّ بوعساء الكثيـب كـأنّـه　　خبـاءٌ عـلى صَقـبي بوانٍ مروّقُ

فقال كعب:

تراخى به حبّ الضّحاء وقد رأى　　سماوة قشراء الوطيفين عوهـــقِ

فقال زهير:

تحنّ إلى مثـل الحبـابـير جثّمٍ　　لدى مَنتجٍ، من قيضها المتفلّق

ثم قال: أجز يا لكع فقال كعب:

تحطّم عنهـا قيضهـا عن خراطمٍ　　وعن حـدقٍ كـالنّبـخ لم يتفتـق

فأخذ زهير بيد ابنه كعب، ثمّ قال: قد أذنت لك يا بنيّ في الشعر، فلمّا نزل كعبٌ وانتهى إلى أهله، وهو صغيرٌ يومئذٍ، قال:

أبيت فلا أهجو الصّديق ومن يبع　　بعرض أبيـه في المعـاشر، ينفـق

وقال زهير:

ويوم تلافيت الصِّبا، أن يفوتني　　برحب الفروج، ذي مجالٍ موثّق(١)

وهناك حادثة أخرى ترويها المصادر الأدبية بأساليب متباينة ووقائع مختلفة، فتنسبها حيناً إلى النابغة الذبياني، وحيناً إلى زهير ابن أبي سلمى، ولكنّها في النهاية تدلُّ على شاعريّة كعب، وفطرته الأصيلة، وبديهته المتوقّدة، فعن الشعبي(٢) قال:

---

(١) شرح شعر زهير بن أبي سُلمى - صنعة أبي العبّاس ثعلب ص ١٨٢ - ١٨٦ دار الآفاق الجديدة والأغاني ج ١٥ - ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً، نسبته إلى شعب، وهو بطن من همدان.

أنشد النابغة الذبيانيّ النعمان بن المنذر:

تراك الأرض إمّا متّ خفّاً وتحيا ما حييت بها ثقيلا

فقال له النعمان: هذا البيت إن لم تأت بعده ببيت يوضح معناه، وإلاّ كان إلى الهجاء أقرب، فتعسَّر على النابغة النظم، فقال له النعمان: قد أجَّلتك ثلاثاً، فإن قلت فلك مائة من الابل العصافير، وإلاّ فضربة بالسيف بالغةٌ ما بلغت، فخرج النابغة وهو وجل، فلقي زهير بن أبي سلمى فذكر له ذلك فقال: اخرج بنا الى البريّة فتبعهما كعب فردّه زهير، فقال له النابغة: دع ابن أخي يخرج معنا وأردفه، فلم يحضرهما شيء، فقال كعب للنابغة: يا عمّ، ما يمنعك أن تقول:

وذلك إن فللت الغيّ عنها فتمنع جانبيها أن تميلا

فأعجبْ النابغة وغدا على النعمان فأنشده، فأعطاه المائة، فوهبها لكعب بن زهير فأبى أن يقبلها[1].

وفي الأغاني أيضاً أنّ زهيراً قال بيتاً ونصفاً ثمّ أكدى، فمرّ به النابغة فقال له: يا أبا أمامة أجز، فقال: ما قلت؟ قال: قلت:

تزيد الأرض إمّا متّ خفّاً وتحيا إن حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العرض منها ... ...

أجز، فأكدى والله النابغة، وأقبل كعب بن زهير وإنه لغلام، فقال أبوه: أجز يا بني، فقال: وما أجيزه؟ فأنشده فأجاز النصف بيت فقال:

« وتمنع جانبيها أن يزولا »

فضمّه زهير إليه وقال: أشهد أنّك ابني[2].

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجرالعسقلاني القسم الخامس ص ٥٩٤ - ٥٩٥.
(٢) الأغاني ج ١٥ ص ١٤٧.

وهكذا يبدو من هذه الروايات أنّ زهيراً قد تكفّل ابنه ورعاه، فنمّى موهبته بالرواية والاستماع والنظم، بل وبتعليمه مبادىء القراءة والكتابة حتى يوفّر له كلّ ما هو ضروريٌّ لنظم الشعر وإتقانه وإحكام ضبطه ومراجعته، فقد ورد في روايات أهل الأخبار «أن عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون ويقرأون، وكان منهم من إذا نظم شعراً دوّنه، ثم ظلّ يعمل في إصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه إلى أن يرضى عنه، وممّن كان يكتب ويقرأ، سويد بن الصامت الأوسي، صاحب مجلّة لقمان[1] والزبرقان بن بدر، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك الأنصاري، والربيع بن زياد العبسي»[2].

وتشهد حياة كعب بن زهير بعد اكتمال عوده منعطفاً أساسيّاً وهامّاً، فقد قدّر لذلك الشاعر أن يشهد بزوغ فجر الاسلام، ويتشرّف بلقاء الرسول ﷺ والاستماع إليه والايمان بدعوته المباركة التي نقلت العرب من الجاهلية العمياء إلى نور الحق والايمان والهداية، وتربط بعض المصادر إسلام كعبٍ وبجيرٍ أخيه، وورودهما على النبيّ ﷺ برؤيا كان قد رآها والدهما زهير من قبل، ومفادها أنّ زهيراً قد رأى قبيل مماته «أنّ آتياً أتاه فحمله إلى السّماء حتى كاد يمسّها بيده، ثمّ تُرك فهوى إلى الأرض، فلمّا احتضر قصّ رؤياه على ولده كعب، ثم قال: إنّي لا أشك

---

(١) يحكى أنّ سويد بن الصامت الأوسيّ، أتى مكة حاجاً أو معتمراً، فتصدّى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الإسلام فقال له سويد: فلعلّ معك مثل الذي معي فقال رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان، فقال رسول الله ﷺ: أعرضها عليّ، فعرضها عليه، فقال له: إنّ هذا لكلامٌ حسن، والذي معي أفضل من هذا،، قرآنٌ أنزله الله تعالى عليّ، وهوهدىً ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لقول حسن، ثمّ انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإنه كان رجال من قومه ليقولون: إنّا لنراه قد قتل وهو مسلم «تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٠١.

(٢) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ص ١١٠ - ١١١.

أنّه كائنٌ من خبر السماء من بعدي، فإنْ كان فتمسّكوا به وسارعوا إليه »[1].

وسواءٌ عمل كعبٌ وأخوه بهذه الوصية التي لا نعرف مقدار صحتها أم لا، فإنه كان من الواجب على كعب وأخيه بعد انتشار الاسلام وذيوع دعوته بين الناس وبين بني قومهما بالذات، أن يسارعا ليتعرّفا على هذه الدعوة التي امتلكت القلوب وأنارت العقول والأبصار وتهافت عليها الناس ايماناً بها من كلّ صوبٍ وفجٍّ عميق، وقلبت موازين الجاهلية الرعناء إلى نظامٍ من الحكم الالّهي العادل الذي يساوي بين البشر وينظّم حياتهم على مبادىء من الحق والخير والهداية، إذاً فلا عجب أن يسارع كعب وأخوه إلى لقاء الرسول ﷺ والايمان به، بل العجب كلّ العجب أن لا يفعلا ذلك، وهما من هما من الأدب والعقل والاتزان، ولذلك فإننا نرى بعض الروايات تذكر حادثة اسلامهما بأساليب مختلفة، ولكنّها جميعاً تؤكّد على خروج كعب وبجير من تلقاء نفسيهما للقاء الرسول والاستماع منه إلى مبادىء الدعوة، وتقول: خرج كعبٌ وأخوه بجير ابنا زهير إلى الرسول ﷺ، فلمّا بلغا أبرق العزّاف[2] قال بجير لكعب[3] اثبت أنت في غنمنا في هذا المكان حتى ألقى هذا الرجل يعني رسول الله ﷺ، فأسمع ما يقول، فثبت كعب وخرج بجير فجاء

---

(١) خزانة الأدب ص ٣٧٧.

(٢) ابرق العزّاف، هو ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة، مشهور، ذكر في أخبارهم، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة، وقالوا: وإنّما سُمّي العزّاف لأنهم يسمعون فيه عزيف الجنّ، « راجع معجم البلدان لياقوت الجزء الأول ص٦٨ مادة « أبرق ».

(٣) بعض الروايات تقول: إنّ كعباً قال لبجير: إلحق الرجل وأنا مقيمٌ ههنا أنظر ما يقول لك، « الأغاني ج ١٥ ص ١٤٥.

رسول الله ﷺ، فعرض عليه الاسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعباً فقال[1]:

ألا أبلغـا عنّي بجـيراً رسالـةً فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المأمون كأساً رويّةً فأنهلك المأمون منها وعلّكا
وخالفت أسباب الهدى وتبعته على أيّ شيءٍ ويب غيرك دلّكا
على خلقٍ لم تلفِ أمّاً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

قال، وبعث بها إلى بجير، فلمّا أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إيّاها، فقال رسول الله ﷺ لمّا سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنّه لكذوب، أنا المأمون» ولمّا سمع «على خلق لم تلفِ أمّاً ولا أباً» عليه قال: أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه.

وتذكر الروايات أن كعباً بعد أن غلب الاسلام على قومه مزينة راح يهجوهم هجاءً مرّاً فعلم بذلك رسول الله ﷺ فأهدر دمه[2] وقيل إنّ سبب أهدار الرسول لدمه هو مناصبته العداء للمسلمين كما فعل بنو غطفان[3] وقيل إنّما أمر الرسول ﷺ قتله وقطع لسانه بعد سماعه من بجير تلك الأبيات[4] أو لأنّه كان تشبّب بأمّ هانىء بنت أبي طالب[5] وخاف بجيرٌ على أخيه من القتل فكتب إليه بعد قدوم رسول الله ﷺ

---

(١) في المصادر التي تذكر هذه الرواية اختلاف في ترتيب الأبيات وألفاظها، ولا مجال إلى ذكرها، راجع أسد الغابة ج ٤ ص ٤٧٥، تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٨٠-٢٨١. وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٤-٢٧٥. وجمهرة اشعار العرب ص ١٣-١٤ والاصابة ج ٥ ص ٥٩٤، والاستيعاب ج ٣ ص ١٣١٣ والأغاني ج ١٥ ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) راجع بروكلمان تاريخ الأدب العربي ص ١٥٩.

(٣) راجع بلاشير تاريخ الأدب العربي ص ٩٤.

(٤) راجع اسد الغابة ج ٤ ص ٤٧٦.

(٥) راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦.

من منصرفه عن الطائف كتاباً ضمّنه الأبيات التالية[1]:

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أضرم
إلى الله لا العزّى ولا اللاّت وحده فتنجو إذا كان النّجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ من النار إلاّ طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى عليّ محرّم

وقال له: إنّ رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممّن كان يهجوه ويؤذيه، وإنّ من بقي من شعراء قريش: ابن الزعبري، وهبيرة بن أبي وهب، قد هربوا في كلّ وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله ﷺ فإنّه لا يقتل أحداً تائباً، وإن لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض، قال ابن اسحاق: فلمّا بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوّه، فقالوا: هو مقتول، فلمّا لم يجد من شيءٍ بدّاً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوّه، ثمّ خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة كما ذكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلّى الصبح، فصلّى مع رسول الله ﷺ، ثمّ أشار له إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه، فذكر لي أنّه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال يا رسول الله: إنّ كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب ابن زهير، قال ابن اسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّه وثب عليه رجلٌ من الأنصار، فقال: يا رسول الله دعني وعدوّ الله اضرب

---

(١) راجع عيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٨.

عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه عنك فإنّه قد جاء تائباً نازعاً عمّا كان عليه، فغضب كعب على هذا الحيّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك أنّه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلاّ بخير، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ[1] وقد عرّض كعب فيها بالانصار لموقفهم منه، ومدح إخوانهم المهاجرين من قريش، فقال له رسول الله ﷺ: لولا ذكرت الأنصار بخير فإنّهم لذلك أهل، فقال كعب قصيدة مشهورة في مدحهم[2] «فكساه النبيّ ﷺ بردةً كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله، فقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله أحدا، فلمّا مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن»[3] وقيل إنها بيعت في «أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم، وبقيت في خزائن بني العباس»[4].

تلك هي السيرة التاريخية لكعب بن زهير كما استخلصناها من المصادر الأدبية والتاريخية وكتب السيرة، وقد أغفلت جميعها تماماً أيّ تفاصيل أخرى عن حياته، ولم تشر من قريبٍ أو بعيد إلى أحداث حياته بعد حادثة إسلامه تلك، حتى أنّ ديوان شعره يكاد لا يتجاوز فيما تضمّنه من قصائد، تلك الفترة، رغم أن عمره يمتدّ في بعض الروايات ليبلغ أيّام معاوية، كما لم تشر تلك المصادر إلى أوان وفاته الذي يظهر أنّ الغموض قد لفّه لأسبابٍ نجهلها رغم شهرته العريضة وموقعه المؤثر، ولكنّ بعض الدراسات المعاصرة حاولت أن تحدّد تاريخاً لوفاته فذكرت

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٨١ - ٢٨٢.
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٨٥.
(٣) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦.
(٤) خزانة الأدب ج ٤ ص ١٣.

سنة ٢٤ هـ[١] كما ذكرت سنة ٢٦ هـ[٢] بينما آثر البعض سنة ٤٢ هـ مستنداً إلى حادثة البردة ورغبة معاوية بن أبي سفيان في شرائها، وهذا الاستناد في رأي الدكتور فؤاد افرام البستاني «لا يفرض صحة ما يروى عن رغبة معاوية في شراء البردة من كعب فحسب، بل يفرض أن معاوية كان خليفة» إذ ذاك، وهو أمرٌ لم يشر إليه أحدٌ من قدماء المؤرخين» وينتهي الدكتور بستاني إلى القول: «ومهما يكن من أمر فإن ذكر سنةٍ بعينها لوفاة كعب، لمن الصعوبة بمكان، وأصعب من ذلك تعيين سنة لمولده، ونحن لا نعرف يقيناً إلاّ سنة إسلامه، وهي السنة التاسعة للهجرة، كما ورد في السيرة وأقرّه البرنس كايتاني»[٣].

أمّا سيرة كعب الأدبية، فيبدو أنّ شرف صحبته لرسول الله ﷺ قد زاد من هالتها وتألّقها، وخاصة بعد إلقائه تلك القصيدة الرائعة بين يديه، فقد ارتبطت سيرة كعب الأدبية بهذه القصيدة التي احتلت مكانها اللائق في عالم الشعر حتى غدت نهجاً سلكه أكثر الشعراء وطريقاً اقتفوا آثاره في مدح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وتفنّنوا فيه غاية التفنُّن، فالمراجع لكتب الأدب يلحظ كيف تحوّلت البردة إلى قصيدة فريدة اكتسبت بمرور الزمن جدّةً وتألّقاً وصارت موضع تبرّكٍ واستشفاع وتقرب من الله في المناسبات التي تتطلب تضرّعاً وابتهالاً، كما تحوّلت أيضاً إلى نموذج أعلى انبرى الشعراء في كلّ عصر إلى معارضته وتشطيره وتخميسه، وعكف عليه الدارسون شرحاً وبحثاً وتحليلاً ومقارنة، وترجمه المترجمون إلى لغات عدّة في الشرق والغرب على السّواء[٤].

---

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٠٢.

(٢) فهرس الأعلام للزركلي مجلد ٥ ص ٢٢٦.

(٣) الروائع أيلول ١٩٣٣ ص ٦٧ - ٦٨.

(٤) راجع فؤاد افرام البستاني مجلة المشرق عدد ٣١ السنة ١٩٣٣ ص ٦٩٩، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي الجزء التاسع ص ٨٦٣، وفهرس الأعلام للزركلي مجلد ٥ ص ٢٢٦.

كما أنّ المراجع أيضاً سوف يلحظ كيف استأثرت هذه القصيدة بالأحكام الأدبية الصادرة عن النقاد قديماً وحديثاً حتى يكاد الدارس لشعر كعب يظنّ أن ليس لكعب من الشعر غيرها، رغم أن ديوانه يزخر بالقصائد الجياد، لكنّها أضحت كالنجوم التي تفقد تألّقها حين تسطع الشمس وترسل أنوارها لتضيء الأرض والوجود.

ولقد انصبّت الاحكام على كعبٍ بوحيٍ من تلك القصيدة، بل وبتوجيهِ منها حتى كادت أن تغفل لكعب كلّ سيرةٍ غيرها، فالمصادر والمراجع لا تذكر كعباً إلاّ مرتبطاً بها، فهذا ابن سلاّم في طبقاته يتحدّث عن كعب، ويعدّه في الطبقة الثانية من الشعراء، ولكنّه يخصّص حديثه عنه لحادثة اسلامه والقائه تلك القصيدة في حضرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام[1].

أما صاحب العمدة فإنه يورد ذكر كعب مدلّلاً بتلك القصيدة على فضل الشعر وأهميته، وعلى أنّ الرسول عليه الصلاة والسّلام لم ينهَ عن الشعر، ولم يغضّ من قدره، بل نهى عن الشعر الذي يتعارض مع قيم الدعوة الاسلامية ومبادئها الداعية إلى الحق والخير والايمان، فهو إذ يذمّ الشعر إنّما يذمّ منه ما كان داعياً إلى التفرقة والعصبية الجاهلية، وما كان مذكياً بين الناس الأحقاد والشرور والمفاسد، ولذلك نرى الرسول يثيب كعباً ويتجاوز عن سيئاته، ويهب له بردته الشريفة التي آثرها كعب على كلّ عطاء[2].

ويذكر ابن قتيبة كعباً فيقتصر على القول: إنّه كان فحلاً مجيداً، ثم يشير بإسهاب إلى حادثة اسلامه، ويروي بعد ذلك باختصار شديد طلب الحطيئة منه أن يذكره في شعره[3].

(١) راجع طبقات الشعراء ص ٤٦ - ٤٧.
(٢) راجع العمدة في صناعة الشعر ص ١٧ - ١٨.
(٣) راجع الشعر والشعراء الجزء الأول ص ٨١ - ٨٢.

وهكذا يظهر لنا أنّ الأحكام التقويمية التي تناولت كعباً وشعره لم تبن على دراسةٍ حقيقية لشعره، وكلّها تقريباً ارتبطت بتلك القصيدة ولم تتجاوزها إلى ما عند كعبٍ من شعر، ولذلك كانت تلك الاحكام في أكثرها موجزة بل ومتشابهة إن صحّ التعبير، وهي لم تتعدّ القول: بأنّ كعباً من الشعراء المخضرمين ومن فحول الشعراء[1] أو أنّ كعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه وكذلك ابنه عقبة[2] أو قولها: كان كعب ابن زهير شاعراً مجوّداً كثير الشعر مقدّماً في طبقته هو وأخوه بجير، وكعب أشعرهما وأبوهما فوقهما[3] أو أنّه كان شاعراً فحلاً مجيداً[4].

ونذكر في هذا المجال قول خلف الأحمر: لولا قصائد لزهير ما فضّلته على ابنه كعب[5] وقوله: لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت إنّ كعباً أشعر منه[6] هذا ولم يسلم المحدثون من مؤرّخي الأدب ودارسيه من تأثير تلك القصيدة، فنرى بروكلمان يذكر كعباً ويشير إلى ملكته الشعرية التي ورثها عن أبيه، ويعرّج على ذكر قصيدة البردة فيقول: وهي من أشهر أشعار العرب، وألبست الشاعر حلّة مجدٍ لا يبلى »[7] كذلك فإن طه حسين يستعرض قصيدة البردة في حديث له، وينتهي إلى القول: « فما أرى إلاّ أن مدحه فيها يعدل مدح زهير كلّه »[8].

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١٤٧.
(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٢٧٤.
(٣) الاستيعاب ج ٣ ص ١٣١٥.
(٤) معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٤٢ دار الكتب العلمية.
(٥) خزانة الأدب للبغدادي ج ٤ ص ١١، والاستيعاب ج ٣ ص ١٣١٥.
(٦) المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٩ ص ٨٦٢.
(٧) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ١٥٩.
(٨) حديث الاربعاء ج أول ص ١٢٥.

تلك هي بعض الآراء التي ذكرت كعباً في سيرته الأدبية نكتفي بهذا القدر منها منتهين إلى القول: إنّ تلك القصيدة قد أضفت على كعبٍ حقّاً تلك الشهرة العريضة التي هي في رأينا لا تتناسب مع تراثه الشعري الذي خلّفه لنا، إذ ليس في ديوانه لولا هذه القصيدة ما يفسِّر لنا ذلك، ثمّ إنّ ما تضمّنه ذلك الديوان من قصائد قليلة ومقطوعات يسيرة لا يتفق أيضاً مع عمره المديد الذي تذكر الروايات أنه امتدّ ليشهد خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه، ولا بدّ من الاشارة إليه ومناقشته، وهو يدور حول قلّة شعر كعب بعد الاسلام وتعليل أسباب تلك القلّة، فهل آثر كعب السكوت في أواخر حياته عن نظم الشعر، وتفرّغ إلى دينه وقراءة القرآن كما فعل معاصره لبيد بن أبي ربيعة، أم أنّ شعره ضاع لأسبابٍ تتعلّق بمواقف شخصية له،؟ ثم إنّ المراجع لكتب الأدب والسيرة لا يرى ذكراً لكعب بعد حادثة اسلامه، فأين شعره في تلك السنوات الطوال التي رافق بها انتشار الاسلام وامتداد فتوحاته وعظمة انتصاراته، وهي في نظرنا من أبرز الدوافع التي تحثّ على نظم الشعر وتسطيره وابراز العواطف الدينية والتعبير عنها، للأجابة على تلك التساؤلات فإنّنا ننتهي إلى رأيين اثنين:

أولها: إن كعباً بعيد اسلامه قد خفّف من نظم الشعر إلاّ مقطوعات يسيرة استلهمها من الاسلام وتعاليمه - وسوف نشير إليها عند حديثنا عن شعره - وتفرّغ إلى دينه الذي نعتقد أنَّه قد حسن بدليل أن كتب السيرة لم تنكر عليه موقفاً أو قولاً بعد اسلامه، وبدليل آخر نستخلصه من تمسّكه بعطاء رسول الله ﷺ، ذلك العطاء الذي قال عندما طلب منه: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً[1] ثم إنّ ما تضمّنه شعره

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦.

بعيد اسلامه من معانٍ اسلامية وابتعاد عن اعراف الجاهلية ومنازعها يوحي جميعه بأنّ كعباً تفرّغ لدينه، وآثر قراءة القرآن الذي بهر الناس ببلاغته وملك عليهم ألبابهم، فانصرف مقتفياً نهج معاصره لبيد بن ربيعة الذي تذكر الروايات عنه حادثةً توضح ذلك النهج، ومفادها أنّ عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه قد أرسل إلى عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة أن استنشد من عندك من شعراء مضر ما قالوه في الاسلام، فأرسل إلى لبيد وغيره بذلك، فانطلق لبيد إلى بيته فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها فقال: أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر »[١].

وكذلك يشير ابن خلدون ربّما بوحيٍ من هذه الحادثة إلى تفرّغ المسلمين في بداية الدعوة إلى القرآن والجهاد في سبيل الله فيقول: « ثمّ انصرف العرب عن ذلك « أي عن الشعر » أوّل الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوءة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً »[٢].

ثانيها: اننا لا نستطيع أن نجد تفسيراً لقلّة شعر كعب، وهو من هو من الشعر ونظمه، إلاّ بذلك النزوع عنه إلى الاسلام وتعاليمه، ولا يمكن أن نرد أسباب تلك النّزورة ونعزوها إلى اشتهار ذلك البيت، - أي بيت زهير وأبنائه وأتباعه - بتنقيح الشعر وتهذيبه، فيروى: أنّ زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وينقّحها ويهذّبها في سنة، وكانت تسمى قصائده حوليات زهير[٣].

---

(١) راجع خزانة الأدب ج ١ ص ٣٧٧ والاغاني ج ١٥ ص ٣٦٩.
(٢) المقدّمة ص ٣٦٠ - دار الهلال.
(٣) خزانة الأدب ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

ويشير الجاحظ إلى ذلك البيت فيقول: ومن شعراء العرب من كان يدع القصائد تمكث حولاً كريتاً وزمناً طويلاً يردّد فيها نظره، ويقلّب فيها رأيه، اتهاماً لعقله وتتبّعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، وإحرازاً لما خوَّله الله من نعمته[1] فهب أننا أخذنا بهذا الرأي، وأعدنا نزورة شعر كب إلى ما أوثر عن ذلك البيت من تهذيب وصقلٍ ومراجعة، فإن تراثه الشعري الذي حفظه لنا ديوانه الذي بين أيدينا مع ذلك، لا يتناسب وعمره المديد وسنيّه الطويلة وشهرته العريضة حتى أننا أيضاً نجد في ديوانه قصائد قد شكّ الدارسون في نسبتها إليه، وأنّ ما صحّ فيه «أي في ديوانه» من شعر فإنه في نظرنا قليل ويستوجب منّا تفسيراً يحملنا على القول: بأن كثيراً من شعر كعب قد ضاع نتيجة لظروف معينة ولمواقف نجهل تفاصيلها ولكنّنا نستشف بعضها من خلال ما ذكره ابن سلّام في طبقاته عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: كان الشعر علم قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه، فجاء الاسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والرّوم ولهيت عن الشعر وروايته »[2].

هذا الحديث قد يفسّر لنا بعض ما أردنا تعليله من ضياع شعر كعب وغيره، فلا عجب ان نحن رددنا نزورة شعر كعب وقلّته التي بين أيدينا إلى انشغال العرب وتلهيهم عن الشعر وروايته بالفتوح ونشر الدعوة الاسلامية والانصراف عنه إلى قراءة القرآن وامعان النظر في آياته المحكمات وبلاغته التي بهرت العقول والأبصار..

أمّا سيرته الشخصية فلم تشر إليها المصادر بشيءٍ يوضح بعض تفاصيلها، وكلّ الذي ذكرته من تلك السيرة يوحي إلى القول بأن كعباً

(١) البيان والتبين - ج ٢ ص ٤ دار الكتب العلمية.
(٢) طبقات الشعراء ص ٣٤ دار الكتب العلمية.

كان رجلاً محارفا مملقاً لا ينمى له مال[١] وكان يحالفه أبداً إقتارٌ وسوء حال[٢] وقد انعكس كلّ ذلك على شعره حتى رأيناه في كثير من أشعاره يشكو دهره ويتأفّف من غيره وأحداثه وتقلّباته، ويعزو ما هو فيه من حالٍ سيئة إلى شؤم جدّه وطالعه، فترك ذلك في نفسه أسىً ومرارة وتبرُّماً من الحياة وسأماً منها نكاد نلمح فيه سأم أبيه، يقول كعب:

لو كنت أعجب من شيءٍ لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوءٌ له القدر
يسعى الفتى لأمورٍ ليس يدركها ... والنفس واحدةٌ والهمُّ منتشر[٣]

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى رزقه المجدود، وجدّه المحدود:

لعمرك لولا رحمة الله إنّني ... لأمطو بجدٍّ ما يريد ليرفعا
فلو كنت حوتاً ركّض الماءُ فوقه ... ولو كنت يربوعاً سرى ثمّ قصّعا[٤]

ومـمّا لا شك فيه أن تضييق الحياة عليه، وقسوتها التي لم يرَ لها سبباً قد خلّفا في نفسه برماً منها وأدّيا بالتالي إلى قسوة فيه نلحظها في فظاظة الطباع عنده وجفوة المعاشرة حتى نكاد نحسّ بأن كعباً كان بدويّاً فظّاً غليظ القلب نافر الطباع يثور وينتفض لأدنى ملاحظة ربّما لا يكون لها أساس أو حقيقة، ولكنّه يتوهّمها ويستشعرها نتيجة لذلك الوضع الذي يجد نفسه فيه، وخير دليلٍ على ذلك حادثة أخيه بجير، وإرسال زهير بفرس كعب إلى زيد الخيل لقاء إكرامه لمثوى ابنه واعتنائه به، وغضب كعب لفقدانه فرسه، وملاحاته لأبيه، وهجائه لزيد، ومحاولته ايقاع الشرّ بين رهط زيد ورهط بني ملقط أنسبائه، وذلك من أجل فرس وهبها أبوه لقاء معروفٍ أسدي إليه، حتى رأينا

---

(١) مقدّمة ديوان كعب صنعة أبي سعيد السكري ص ف.
(٢) الشعر والشعراء ص ٨٠.
(٣) ديوانه ص ١٦٧.
(٤) ديوانه ص ١٦٥.

امرأته تقرّعه وتلومه وتقول له: أما استحييت من أبيك لشرفه وسنّه أن تؤيسه في هبته عن أخيك، ولامته، وكان قد نزل بكعبٍ قبل ذلك ضيفان فنحر لهم بكراً كان لامرأته، فقال لها: ما تلومينني إلاّ لمكان بكرك الذي نحرت لضيوفي فلك بكران»[1] ثمّ قال قصيدته التي صبّ بها جام غضبه على زوجته وعلى النّساء بوجه عام، والتي مطلعها[2]:

ألا بكرت عرسي توائم من لحى   وأقرب بأحلام النّساء من الرّدى

ودليلٌ آخر قول كعب لوالده زهير بعد هجائه الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد الذي كان قد أغار على بني عبد الله بن غطفان - وكان زهير يقيم فيهم - فغنم واستخفّ إبل زهير وراعيه يسار فهجاه زهير بقصيدة جيدة[3].

أوسعتهم سبّاً وأودوا بالإبل[4]

هاتان الحادثتان في رأينا ترسمان إطاراً شفّافاً لشخصية كعب التي قلنا: إن الظروف جعلتها متضخّمة الاحساس تثور بسرعة، ونكاد نلمح فيها روح التمرّد، بل وحتى السخرية والهزء من أعراف وتقاليد كان على رجل مثل كعب واجب مراعاتها والقبول بها، ولكنه لم يكن ليقدر على تمالك أعصابه أو حبس ثورته أو السيطرة على منازع نفسه البدوية، تلك المنازع التي استطاع الاسلام فيما بعد أن يهذّبها ويذهب بغلظتها وفظاظتها ويحوّلها إلى شعرٍ نلمح فيه النقمة على الدّهر مسبوكة بقالبٍ من الحكمة والمثل، ولكنّها خاليةٌ على ما نعتقد من الرحمة واللين والتواصل...

---

(١) ذيل الأمالي لأبي علي القالي ص ٢٥ - دار الكتب العلمية.
(٢) راجع ديوانه ص ٩٥ - ٩٦.
(٣) راجع ديوان زهير صنعة أبي العباس ثعلب ص ١٢٧.
(٤) نهاية الأرب ج ٣ ص ١٧.

والمراجع لشعر كعب يلحظ ذلك حتى في شعره الغزلي الذي يستوجب رقّةً في العواطف وليناً في الطبائع، وعذوبةً في الكلمات، فإنه لن يجد فيه إلاّ حديثاً عن المشاكسة والنفور، وحديثاً عن الوعود التي لا تصدق، والأمانيّ التي لا تتحقق، وعتاباً يتجاوز اللوم إلى حدّ القطيعة والهجران[1] كلُّ ذلك يوحي لنا بشخصية كعب التي يمكن أن يكون للطبيعة القاسية والظروف الحياتية الصعبة أثرها البالغ في توجيهها وطبعها بطابع الغلظة والجفاف والتمرّد،..

ذاك هو كعب بن زهير الشاعر المخضرم الذي حاولنا فيما تقدّم أن نرسم له خطوطاً متشعّبة ولكنّها تخرج من مصدرٍ واحد، وحاولنا فيها قدر الامكان أن نتعرّف على جوانب ثلاثة من سيرته التي أفردت لها كتب الأدب والتاريخ حيّزاً ليس بالقليل، وهذا الحيّز يدلّ على أهميّة كعب وعلى مدى تأثيره وشهرته في عصره، حيث كان للكلمة التي كان واحداً من رجالها تأثيرٌ لا يقلّ عن تأثير السيف والسّنان، في عصرٍ تضخّمت فيه الاحساسات بالذّات، وشهد بزوغ فجر جديد أهلَّ بنوره ليمسح كلّ ذلك التضخّم، ويُذهب كلّ تلك المتاهات والظلمات.

أمّا ديوان كعب. فقد آثرنا أن نفرد له حديثاً خاصاً، منفرداً عن تلك الجوانب، ولكنّه ليس بعيداً عنها، وهي في رأينا جوانب مساعدة على اكتشاف مناحيه وأساليبه وخصائصه، وسنصبّ حديثنا على ناحيتين اثنتين هما: شعر كعب قبل مجيء الدعوة، وشعره أثناءها وفيها، محاولين قدر الامكان أن نرسم له خطوطاً مميّزة تظهر الفوارق إنْ وجدت، وتلمُّ بأكثر مقوّماته وأسس بنائه..

---

(١) راجع ديوانه ص ١١٢ - ١١٣ - وص ٩٥ - ٩٦ - وص ١٤٢.

ولا بدّ لنا قبل أن نتطرّق إلى هاتيك الناحيتين من أن نشير إلى ما كنّا ذكرناه في بداية حديثنا عن النمطيّة والاتباعيّة اللتين أوقعتا الشعر الجاهليّ في التكرار واستهلاك الأحداث والصّور، ونعزو ذلك إلى تمسّك العرب بالأعراف والتقاليد وإلى عنتٍ في عقولهم ونفور في طبائعهم وإلى مفاهيم خاصة جعلت حتى المساس بتلك الأعراف والتقاليد خروجاً على الطاعة وشذوذاً عن السّنن، فقد كانت العصبية والقبلية متحكمتين في الناس إلى الحدّ الذي كان حتى الانتقاد يعتبر تمرّداً على التماسك والوحدة اللتين كانتا ضروريتين في مجتمع بدويٍّ تسوده شريعة القوّة وما يتبعها من قتل ونهب وغارات، ولذلك فقد ترسّخ في أذهان الناس مفهوم الولاء لكلّ تلك الأعراف والتقاليد، وتجاوزهما حتى إلى الأدب الذي كان الخروج على أنماطه ضعفاً في شاعرية الشاعر، وقصوراً في خياله وتعبيره، كما كان معيار الفحولة مرتبطاً بالمحافظة على تلك الأنماط، والسير على منوالها الذي يرفع ويضع بقدر الاجادة في الالتزام، وليس بقدر الخروج عنه، ولذا قلنا إنّ الشعر الجاهليّ كان متشابهاً في موضوعاته وكان على الشعراء ومنهم كعب بن زهير الالتزام بذلك السّنن الذي جعلهم ينخرطون فيه موالين له، ومدافعين عنه، حتّى أضحوا جميعهم إلاّ ما ندر من السالكين والمؤسسين والدّائرين في فلكه ومن ثمّ كان الخروج تمرّداً يستوجب الخلع والافراد، بل السخرية والاستهزاء.

وإذا ما نحن عدنا إلى شعر كعب، وتفحّصنا أغراضه الشعرية، وأساليبه البنائية، فإننا سنجد ذلك الالتزام واضحاً كلّ الوضوح في سائر قصائده، ما عدا مقطوعات صغيرة لا تتجاوز في أطولها أصابع اليد الواحدة، وهي في مجملها تمثّل خواطر أفردها لبثٍّ شكوىً من دهره أو لارسال حكمة أراد لها أن تذهب مثلاً بين الناس، فقد حافظ كعب في قصائده الطوال على السَّنن التقليدي الذي كان يفرض على الشاعر استهلالاً معيّناً يذكر فيه منازل الأحبّة ومظاعنهم ويحمّله أشجان نفسه،

وحنينه الدائم إلى أوقات الوصل واللقاء ومن ثمّ يعمد إلى وصف الطبيعة مبتدئاً بوصف الناقة أو الحصان اللذين يعتبرها خير وسيلة تحمله إلى غاياته، وتحقق له رغباته وأمانيه، ويعرّج في حديثه على وصف البيئة الصحراوية وحيواناتها وطرقها، ومكابدته الذاتية في مهامهها، وينتهي بعد ذلك إلى موضوعه الخاص الذي لا يفرد له في أبياته إلاّ يسيراً من القول، ولمحاً من النظم، يفيدان الغرض ويدلاّن عليه، لكنهما لا يلمّان به إلاّ الماماً - غالباً ما يكون سطحيّاً - يمكّن القارىء أو السّامع من استحضاره أمام العين من دون أن يعيره الشاعر ذاته، أو يحمّله ما يجب أن يحمل من رؤىً وابعاد ومن وتواصلَ وتوادّ..

والحقّ أن كعباً قد وفّق في التزام ذوق أسلافه ومعاصريه، فكان رسّاماً لمشاهد اعتاد الشعراء على رسمها، وأحبّ هو أن يمسك بريشته ويدلي بدلوه، ويتفحّص بعينيه ألوانها ومناظرها، ويتقرّى بيديه أطرها وخطوطها ليرسم لنا صوراً طريفة تحمل أحياناً ذوقه الخاص وظلاله المضافة إلاّ أنها في أكثرها تقع في رتابة التفاصيل والاحداث والتحايل على أساليب الصياغة الشعرية التي تزيد خطّاً هنا، وظلاًّ هناك، وتبيِّن بما لا يدعو إلى الشك، كم استغرق «الجمل والناقة من الشعر وخيال الشاعر، وكم استغرق وصف الأرض سهلها وحزنها»[1] من وقته وتلاعبه بالألفاظ والعبارات، وظلّ ذلك كلّه في إطار الوصف التقريري الذي يرسم ما تقع عليه العين، وينقله نقلاً أميناً في أكثر جزئياته وتفاصيله معتمداً على الملاحظة الحسّية التي «أُفرغت في قوالب تحدّرت إلى الشعراء من الأجيال القديمة» ولم تفسح «مجالاً واسعاً أمام الشعراء

(١) فجر الإسلام ص ٤٨.

لاظهار شخصياتهم إلاّ في القليل النادر حيث تكون المفارقة صريحة جدّاً »[1].

ولنستمع إلى كعب في نموذج من قصائده لنتحقق من ذلك الذي رأيناه التزاماً في شعره: يقول كعب[2]:

أمن أمِّ شدّادٍ رسوم المنازل ... توهّمتها من بعد سافٍ ووابل
وبعد ليالٍ قد خلون وأشهرٍ ... على إثر حولٍ قد تجرّم، كامل
أرى أمّ شدّادٍ بها شبه ظبيةٍ ... تطيف بمكحول المدامع خاذل
أغنّ غضيض الطرف رخصٍ ظلوفه ... ترود بمعتمٍّ من الرّمل هائل
وترنو بعينيْ نعجةٍ أمّ فرقدٍ ... تظلّ بوادي روضةٍ وخمائل
وتفترّ عن غرّ الثنايا كأنّها ... أقاحٍ تروّى من عروقٍ غلاغل
ليالي نحتل المراض وعيشنا ... غريرٌ ولا نرعى إلى عذل عاذل
فأصبحت قد أنكرت منها شمائلاً ... فما شئت من بخلٍ ومن منع نائل
وما ذاك عن شيءٍ أكون اجترمته ... سوى أنّ شيباً في المفارق شاملي
إذا ما خليلٌ لم يصلك فلا تقم ... بتلعته واعمد لآخر واصل
ومستهلكٍ يهدي الضلول كأنّه ... حصير صناعٍ بين أيدي الروامل
متى ما تشأ تسمع إذا ما هبطته ... تراطن سربٍ مغرب الشمس نازل
روايا فراخٍ بالفلاة توائمٍ ... تحطّم عنها البيض حمرُ الحواصل
وخرقٍ يخاف الركب أن يدلجوا به ... يعضّون من أهواله بالأنامل
مخوفٍ به الجنّان تعوي ذئابه ... قطعت بفتلاء الذّراعين بازل
صموت السّرى خرساء فيها تلفّتٌ ... لنبأة حقٍّ أو لتشبيه باطل
عذافرة تختال بالرّحل حرّةً ... تباري قلاصاً كالنعام الجوافل

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٠.
(٢) ديوان كعب ص ٦٥ - ٧٤.

كـأنّ جريري ينتحي فيـه مسحـلٌ   من القُمر بين الأنعمين فعـاقـل
يغرِّد في الأرض الفـلاة بعـانــة   خماص البطون كالصعاد الذوابل
ونازحةٍ بالقيظ عنها جحاشها   وقد قلصت أطباؤها كالمكاحل
وهمَّ بوردٍ بـــالرُّسيس فصـــدّه   رجالٌ قعود في الدّجى بالمعابل
إذا وردت مـاءً بليـلٍ تعرّضت   مخـافـة رامٍ أو مخـافـة حـابـل

لقد بدأ كعب هذه القصيدة بالغزل، وانتهى إلى اعتلاء ناقته والسّير بها في طرق الصحراء واصفاً مشاهداته ناقلاً لها بأسلوب نلمح فيه الدّقة والجزالة ولكنّنا أيضاً نلمح فيه التفاصيل نفسها التي اعتدنا أن نسمعها عند أبيه أو عند غيره من الشعراء[1].

إنّ كعباً في هذه الأبيات صائغٌ ماهر ورث صنعةً تحدّرت إليه من أبيه ومن أنماط لشعراء سابقين، إلاّ أنّه حاول أن يبني لنفسه بيتاً خاصاً به، أو يصنع عقداً اختار حباته بنفسه، ولكنّ الحجارة التي استعملها في بناء ذلك البيت لم تكن لتختلف عن غيرها من حجارة الآخرين، والحبّات لم تكن إلاّ حبّات عقودٍ سابقة أفردها ومن ثمّ عاد ليشكل منها عقداً آخر يحمل تقاسيم يديه وترتيب خياله المتفرّد، واستطاع إلى حدٍّ ما أن يبني بيتاً متيناً، ويصوغ عقداً جميلاً، إلاّ أنه لم يستطع أن يخرج في ذلك البناء والترتيب على تقاليد عصره وأذواقهم السائدة، بحيث ظلّ البناء أو العقد عملاً له نظائره، وصنعة لها ما يحاكيها، فهو لم ينطلق إلى غايته من بواعث نفسية خاصة، أو مشاعر ذاتية ضاغطة فرضت عليه أن يعبّر عن حاجات اعتملت في النفس، ووجدت في الشعر متنفّساً للافصاح عنها بأسلوب خاص يحمل كلّ توجّعات الذّات، وهموم الحياة، وآثر كعب أن يسير في أبياته على

---

(١) راجع ديوان زهير: المعلّقة ص ٧٤ – وقصيدته ثمال اليتامى ص ١٩ دار صادر.

طريق من تقدّمه، ففقد شعره رونق الجدّة، وعذوبة التفرّد، وحلاوة الابتكار، وظلّت تنقصه التجربة التي تهزُّ المشاعر، وتبعث الكلم دفّاقاً مستلاًّ من الأعماق، حاملاً معه كلّ عناصر الشعر الأصيل..

وإذا نحن حاولنا أن نتجاوز هذا الموضوع إلى غيره من الموضوعات الأخرى في شعر كعب، فإننا سنلمح في ديوانه شعراً متشابهاً في كثيرٍ من قصائده، وهذه حقيقة نلمسها في نزوعه الدّائم إلى وصف الناقة والصحراء وما فيها من طرقٍ وحيوانات ومشاهد تتكرّر هنا وهناك، يقلّبها كعبٌ في صياغات متعدّدة حصرت خياله أو استولت عليه بيئة لم يستطع التفلُّت منها فظلّ يرسف في تقريريّةٍ قلّما تركت الخيال يبتكر ويتفتق عن معانٍ جديدة وصورٍ ذهنيّة مبتكرة، حتى في مدحه للنبي عليه الصلاة والسّلام، فإنّ روح التقليد يبدو واضحاً وجليّاً، وكأنّ الشاعر يمدح سيّداً من سادات قومه وكبيراً من أكابرهم، لا نبيّاً جاء بأكبر انقلاب ديني عرفته البشرية، وأحدث تغيّرات أصيلة في جوهر الحياة الانسانية ومعتقداتها بوجهٍ عام، وظلّ تأثّره عرضياً بالدعوة الاسلامية وتعاليمها، فصاراه أنّ محمداً نبيٌّ من أنبياء الله، وسيفٌ من سيوفه المسلولة، العفو عنده مأمول، والوعد لديه منجز، والتوبة في حضرته مقبولة، فهو كالأسد قوّةً وهيبةً، أصحابه له سامعون، ولأمره منفذون، فلولا قوله:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظٌ وتفصيل

أو قوله:

إنّ الرّسول لسيفٌ يستضاء به مهنّدٌ من سيوف الله مسلول

وأبيات أخرى، تصف همّه وقلقه وخوفه واستسلامه لحكم الله، لما أمكننا أن نميّز معانيه المدحية ونعوته الوصفية، عن شاعر كالنابغة وهو يعتذر إلى النعمان ويطلب عفوه وصفحه..

وهكذا نجد كعب في كلّ شعر نظمه قبل الاسلام يسير على السّنن المرسوم دون أيّ إخلال بنهجه وصُواه، ولكنّنا لا نريد أن نظلم الرّجل أو نبخسه حقّه لأنه لم يستطع أن يحقّق لنا تلك الفرادة المستحبَّة في الشعر، فهو والحقّ يقال، كان في شعره على قدرٍ كبير من الاجادة والاحاطة التامة بتفاصيل الموصوف الظاهرة التي لم يحاول تبطّنها، واكتفى منها بالرسم الخارجيّ لها مختاراً كلّ العبارات التي توائم المعنى، وتساعد على إبراز الموصوف وإحضاره أمام مرآة العين في أثواب قشيبة وخطوطٍ جذّابة تصوّر بدقةٍ كلّ مكوّناته المادّية المحسوسة حتى يبدو لك الشاعر في عمله نحّاتاً أصيلاً يصنع للموصوف تمثالاً يظهره بكلّ دقائقه كما هو دون أن يمزج فيه مشاعره أو يسكب في تلافيفه نغم الحياة وصوتها الشجيّ المتحرّك، ويشير الدكتور بستاني إلى تلك الظاهرة فيقول: «إنّما شعره في أكثره تصوير، وتصوير دقيق يسمو إلى درجة عاليةٍ من الصناعة بل من الفنّ أحياناً، ولا عجب، فهو ابن زهير وتلميذه، وأحد أفراد ذاك المذهب التصويري المادي الذي بدأ بأوس بن حجر زوج أمّ زهير، وبلغ أوجه مع زهير والنابغة، وكان من ممثليه شاعرنا كعب والحطيئة كما قدّمنا، وليس من حاجة بهذا المذهب إلى كثير من الشعور الرقيق السيّال، وإن كان الشعور يمدّه رونقاً وتشخيصاً وحياةً تزيد في قيمته، إنّما حاجته خاصة إلى الصبر في تتبّع الموصوفات واختيار مواد التشبيهات وإلى التعقل في التنسيق والتأليف وتنخّل التعابير، وتثقيف القوافي وإلى قوّة الخيال أيضاً»[١].

وسواءٌ بعد الذي سمعناه، أكان كعب في عداد شعراء المدرسة الأوسيّة، أم كان في غيرها، أو هو تأثّر بأبيه أو بالنابغة أو بغيرهما من

---

(١) الراوائع ص ٩٩ - أيلول ١٩٣٣.

الشعراء، فهو في نظرنا شاعرٌ اكتملت مقوّمات الشاعرية عنده رغم أنه لم يستطع أن يخرج عن إطار بيئته التي ظلّت تشدّه إليها بحبال قويّة وثابتة، فنظم على منوال ما نظم معاصروه، فكان علماً بارزاً منهم، تأثّر بما تأثّروا، وانتهج ما انتهجوا، بل ونراه في بعض الموضوعات كوصف الصحراء وطرقها وحيواناتها قد تفوّق على أكثرهم، وكان أكثر دقة وتفصيلاً، وأكثر اختياراً واستيفاءً، وحسب كعب في هذا المجال أنّه صفّى شعره من الشوائب، وتنخّل له أنسب الكلمات، وألمّ بموضوعه كلّ الالمام الذي يصوّر المشاهد بريشة فنّان متقن، وينقلها نقلاً دقيقاً لا غبار عليه ولا شبهات، فكان تلميذاً بارعاً لأبيه، وشاعراً معتزّاً بالسّير على منواله، يقول كعب[1]:

فإن تسأل الأقوام عنّي فإنّني ... أنا ابن أبي سُلمى على رغم من رغمْ
أقول شبيهاتٍ بما قال عالماً ... بهنّ ومن يشبه أباهُ فما ظلمْ
وأشبهته من بين من وطىء الحصى ... ولم ينتزعني شبه خالٍ ولا ابن عمْ

أمّا شعره الذي نظمه بعيد اسلامه، فإنه وإن كان لا يختلف في نهجه فيه عن المسار العام الذي لم يتجاوزه إلاّ في القليل النادر، مثله في ذلك مثل كلّ الشعراء المخضرمين الذين لم تستطع التغيّرات الجديدة أن تدفعهم عن مسارهم وتخرجهم عن سننهم، ذلك لأن الأحداث الأدبية والتغيُّرات السياسية التي يشهدها المجتمع «لا تلتقي دائماً وأنّ أزمان حدوثها لا تتلاقى كما يقول الدكتور هدارة[2] إلاّ أننا بإمكاننا أن نلمح في شعره تحوّلاً ليس جذرياً، ولا هو يشكل انقلاباً كليّاً على الذي سمّيناه التزاماً من قبل منه، هذا التحوّل يمكن أن ندركه في المعاني الجديدة

---

(١) ديوانه ص ٤٩ - ٥٢.
(٢) اتجاهات الشعر العربي ص ١٨.

التي اهتدى إليها بعيد إسلامه، فقد وسّع الاسلام مدارك عقله وآفاق خياله، وطرائق أساليبه وأمدّه بأشياء كثيرة كان يفتقدها بل ويجهلها، ولم يكن بوسعه معرفتها لولا ذلك الاطلاع على القرآن الكريم وعلى تعاليم الاسلام ومكوّناته السامية، ولذلك صار كعبٌ في شعره بعيد الاسلام أعمق فكراً وأشمل نظراً وأبعد رؤىً وتطلّعات، فللثقافة أثر كبير على الشعراء، لأنّ الشاعر الأوسع ثقافة والأشمل معرفة هو الأجود عطاء والابعد خيالاً والاسمى صوراً وتعابير، وباستطاعتنا أن نلمح بداية ذلك التحوّل عند كعب في قصيدته التي يمدح بها الانصار، فهي تبدو وكأنها تخرج في مسارها على السّنن التقليدي، إذْ يستهلّها استهلالاً مغايراً عن استهلال قصيدته في مدح النبي ﷺ والتي قلنا إنها كانت جاهليّة بمسارها ونهجها، وأن الرجل قد جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام حاملاً معه إرث الجاهلية ونهجها المتبع، ولكنه في مدحه الانصار نراه يخلع ذلك النهج وكأنّه رأى فيه تكراراً مملاً أو إرثاً قديماً لا يتناسب مع طبيعة العقيدة الجديدة التي آمن بها طائعاً مختاراً، بل وتائباً من قديمه الذي ألحق به الضّرر وكاد - لولا رحمة الله - أن يودي به، لذلك نراه فيها يخرج من طبيعته الأولى، ويخاطب الانصار في شعر جميل يحمل لأوّل مرّة معارفه الجديدة ومكتسباته الايمانية الحديثة العهد، ويكاد يتحلّل فيه إلى حدّ ما من قيوده الماضية، ويخلع عنه رداء التقليد المملّ، لولا ذلك التخلّص اللبق في نهايتها إلى موضوع هو من قديمه، ظلّ الحنين يشدّه إليه فحمله بعد إجهاد على وصف الناقة دون إكثار، يقول كعب[1]:

من سرّه كرم الحيـــاة فــلا يزل	في مقنــبٍ من صالحي الانصـار
البـــــــاذلين نفوسهم لنبيّهم	يوم الهيــــاج وسطوة الجبّـــار

(١) ديوان كعب ص ٢٥ - ٣٠.

والذّائدين الناس عن أديانهم ... بالمشرفيّ وبالقنا الخطّار
يتطهّرون كأنّه نسك لهم ... بدماء من علقوا من الكفّار
وإليهم استقبلت كلَّ وديقةٍ ... شهباء يسفع حرّها كالنّار
وكسوت كاهل حرّةٍ منهوكة ... بالفجر حاريّاً عديم شوار

وكذلك فإننا نلمح أثر الاسلام وتعاليمه واضحين في قصيدته التي يدعو فيها قومه إلى دخوله فيما دخل، واعتناقهم الهُدى الذي اعتنقه، وهي قصيدة تظهر تحوّلاً من نوع آخر، تحوّلاً يدعو إلى نبذ العصبيّة وطرح الخلافات الذّاتية والعرقيّة، والمسارعة إلى البرّ والتّقى وعمل الخير، كما يدعو أيضاً وهو الأهمّ في نظرنا إلى التكاتف والوحدة، لأنّ هناك مسؤوليةً جديدةً تقع على عاتق المسلمين، وهي مسؤولية بناء الحياة الاسلامية الجديدة التي أحسّ كعب بعد ايمانه، بأنها ستكون مسؤولية العرب الوحيدة، والتي يجب أن تتضافر على حملها كلّ الجهود البنّاءة والسواعد المؤمنة حتى ينعم الناس بنور الايمان، وهداية الرحمن، يقول كعب[1]:

رحلت إلى قومي لأدعو جلّهم ... إلى أمر حزمٍ أحكمته الجوامعُ
ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا ... بخيفِ مِنىً والله راءٍ وسامع
سأدعوهم جهدي إلى البرِّ والتقى ... وأمر العلا ما شايعتني الأصابع
فكونوا جميعاً ما استطعتم فإنّه ... سيلبسكم ثوبٌ من الله واسع
وقوموا فآسوا قومكم فاجمعوهم ... وكونوا يداً تبني العلا وتدافع

ويستمرّ كعب في هذا التحوّل، فإذا الحرب التي كانت في الجاهلية عبثيّة في أكثرها، ولا تستهدف إلاّ الغزو والسلب والغنائم، يتغيّر مفهومها لديه بفعل الاسلام، وتتحول إلى حرب جهاديّة غايتها رضى

---

(١) ديوانه ص ٨٢ - ٨٣.

الله ،وغنائمها أجره وثوابه ،أمّا أولئك المخالفين لرسول الله ﷺ ،فلن يحصدوا في النهاية إلاّ الحسرة والندم، فالله وعد رسوله بالنصر واظهار دينه على الناس ولو كره المشركون، كما وعد الكافرين بالخزي وعذاب السّعير، يقول كعب(١):

صبحناهُم بألفٍ من سُليمٍ ... وألفٍ من بني عثمان وافِ
رميناهم بشبّان وشيبٍ ... تكفكف كلّ ممتنع العطاف
ورحنا غانمين بما أردنا ... وراحوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا ... مواثيقاً على حسن التصافي
فجزنا بطن مكّة وامتنعنا ... بتقوى الله والبيض الخفاف
أرادوا اللاّت والعُزّى إلَهاً ... كفى بالله دون اللاّت كاف

أمّا شعره الحكميّ الذي قلنا إنّه مقطوعات صغيرةٌ، فيبدو أنّ أثر الاسلام في معانيه أشدّ وضوحاً وأكثر إبانة، بل ونرى فيه كعباً يستفيد من تعاليم دينه، ويستمدّ منه ما يخفّف به عن نفسه غير الدّهر وصروفه الموجعة التي آلمت قلبه ولوّحته بنيران الفاقة والهمّ، فإذا بشعره يتحوّل إلى كلمات زادها الاسلام شموليّةً ورسوخاً، وإلى نفثاتٍ خالدة ينفثها من يكابد من دهره ما كابده كعب، ويتوجع من أوصابه مثل ما توجّعه، فهي مستلّةٌ من الذّات، ومشبعة بروح الايمان الداعي إلى الصبر على البلاء، تنساب في نغم يحاكي وقع المطر، وخفقان النبع الذي لا يصمت عن الدفقان، يقول كعب(٢):

لو كنت أعجبُ من شيءٍ لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوءٌ له القدر
يسعى الفتى لأمورٍ ليس يدركها ... والنفسُ واحدةٌ والهمّ منتشر
والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

(١) ديوانه ص ١٧٩ - ١٨٠.
(٢) ديوانه ص ١٦٧.

فالتعاليم الاسلاميّة في هذا الشعر واضحة كلّ الوضوح، وهي تشعرنا كيف يسلّم كعبٌ بقضاء الله وقدره، كما تشعرنا مدى تغلغل الاسلام في نفسه حيث استطاع كما نرى أن يقضي على ما فيها من نزعاتٍ جاهلية، ويحوّل نقمتها على الحياة إلى أملٍ بعطاء الله وفرج قريب من رحمته الواسعة، وهكذا كان كعب في كلّ أشعاره الاسلاميّة يوكل أمره إلى الله الذي هو وحده يتكفّل بأمر العباد، ويمنّ عليهم بالرزق والنعمة والأفضال، يقول كعب[1]:

اعلمُ أنّي متى ما يأتني قدري ... فليس يحبسه شحٌّ ولا شفق
بينا الفتى معجبٌ بالعيش مغتبطٌ ... إذا الفتى للمنايا مُسلَمٌ غلق
والمرء والمال ينمي ثم يذهبه ... مرّ الدُّهور ويفنيه فينسحق
فلا تخافي علينا الفقر وانتظري ... فضل الذي بالغنى من عنده نثق
إنْ يفنَ ما عندنا فالله يرزقنا ... ومن سوانا، ولسنا نحنُ نرتزق

ويمضي كعب في أشعاره محمّلا لها ما شاء من تعاليم الاسلام التي تدعو إلى التوكل على الله في كلّ أمر، والسعي الدائم الذي لا يقعد المرء عنه خوفٌ من أذىً أو مكروه، لأن كلّ شيءٍ بأمر الله وقضائه يقول كعب:

فأقسمت بالرحمن لا شيء غيره ... يمين امرىءٍ برٍّ ولا أتحلّلُ
لاستشعرنْ أعلى دريسي مسلّماً ... لوجه الذي يحي الأنام ويقتلُ
هو الحافظ الوسنان بالليل ميّتاً ... على أنّه حيٌّ من النوم مثقلُ
من الاسود الساري وإن كان ثائراً ... على حدّ نابيه السِّمام المثمّلُ

وهكذا نجد كعباً في شعره الحكمي يتمثل المعاني الاسلامية التي نراها تحدث تغييراً هاماً في نفسيته، كما تحدث تغييراً واضحاً في شعره الذي يميل هنا إلى السلاسة واللين، بعد أن رأيناه في قصائد جاهلية

(١) ديوانه ص ١٦٦.

شعراً شديداً جافّاً تضغطه الصحراء وتقطعه تعابير البداوة.

وهذا التغيير ليس تغييراً في أسلوب كعب الذي ظلّ ملتزماً فيه بالقيم الفنيّة التي ورثها عن أبيه، تلك القيم التي حوّلت الشعر إلى صنعة تتطلّب الكثير من الخبرة والرّويّة والدَّراية، ولكنها في رأينا صنعة ليست متكلّفة ولا هي بعيدة عن الذوق والعفوية والصدق، لأنها كانت تهدف إلى تصفية الشعر وتنقيحه وتهذيبه من الشوائب والسقطات[1] بقدر ما هو تهذيب له وتطوير استطاع فيه استلهام معانٍ جديدة كتب لها الاسلام الخلود والبقاء، فظلّت حيّة بين الناس، وصارت مألوفة يأنسها الذوق في كل عصر، بعكس تلك المعاني التي بقيت أسيرة الصحراء، فغمرتها رمال الزمن، وحرمتها نعمة التطور، وألبستها ثوباً من الغرابة والشدّة والفناء..

لقد حفل ديوان كعب بقصائد متنوّعة ألّمت بكلّ الأغراض الشعريّة في عصره، وهي قصائدِ استطاع كعبٌ فيها أن يكون رسّاماً أو مصوّراً ينقل إليك عبر لغةٍ جزلة متينة، بعيدة عن الضعف والرّكاكة، مشاهد من بيئته الضاغطة التي فرضت عليه منحىً من القول، ومساراً من النظم لا سبيل إلى غيره، وحسب كعب في هذا المجال أن يكون شاعراً قد سلك لاحباً في صحرائه، واستطاع أن يصل إلى القمة التي وصل إليها سالكوه، بل ويزيده فخراً على من تقدّمه أنه لم يكن أسير ذلك اللاحب ونهجه المتعرّج وغير المستقيم، بل كان شاعراً إنساناً عرف أين يضع أقدامه ويثبُت، ولذلك لم يتوانَ قيد لحظة على سلوك لاحب الخير والهداية والايمان، بعد تيقنه من صوابه وسلامة مسراه...

والله من وراء القصد

د. مفيد محمد قميحة

(١) راجع كتابنا: المعلقات العشر ص ١٤٤.

إنّي امرؤٌ أقني الحياء

« من الكامل »

هلاّ سألتِ وأنتِ غيرُ عييَّةٍ وشِفاءُ ذي العيِّ السؤالُ عن العمى(١)
عن مشهدي ببُعاثَ إذ دلفت له غسَّانُ بالبيض القواطعِ والقنا(٢)
وعن اعتناقي ثابتاً في مشهدٍ متنافسٍ فيه الشجاعةُ للفتى(٣)
فشرَيْتُهُ بأجمَّ أسودَ حالكٍ بعُكاظَ موقوفاً بمجمعِها ضُحا(٤)
ما إن وجدتُ له فِداءً غيره وكذلك كان فداؤهُم فيما مَضى(٥)

---

(١) هلاّ: كلمة تحضيض مركّبة من «هل» و«لا» دخولها على الفعل الماضي يفيد اللّوم على ترك الفعل، وعلى الفعل المضارع الحثّ عليه، والعيي: من العيّ وهو العجز عن إظهار الكلام وإبانته، والعمى: أي ما عمي على الإنسان وخفي عنه، والعمى: فقد البصر.

(٢) مشهدي: موقفي وفعلي، وبعاث: موضع في نواحي المدينة على ليلتين منها كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية، ودلفت له: أقبلت عليه، وغسّان: قبيلة، والبيض: السيوف، والقنا: الرّماح.

(٣) الاعتناق: الأسر والأخذ، وثابت: يعني ثابت بن المنذر أبا حسان بن ثابت شاعر الرّسول عليه الصلاة والسلام، والتنافس: التّسابق إلى الأمر.

(٤) شريته: بعته بعكاظ علانية، والأجمَّ: الذي لا قرن له من التيوس، يريد أن يصغّر من قيمته، والحالك الشديد السّواد، وعكاظ: إسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية كانت قبائل العرب تجتمع فيه كلّ سنة يتفاخرون وينشدون الشعر، وموقوفاً: أي مشهوداً، والمجمع: ملتقى القوم، والضّحا: وقت ارتفاع الشمس.

(٥) فيما مضى: أي فيما سلف من القرون الماضية، يقول: إنه لم يجد له فداءً غير ذلك التيس الأجم لأنه من قومٍ لا يقتدون بغير ذلك فهو يمثّل قيمتهم في الحاضر والماضي.

إني آمرؤٌ أقني الحيـاءَ وشيمـتي كرَمُ الطبيعةِ والتجنُّبُ للخنا(٦)
من معشرٍ فيهمْ قُرومٌ سادةٌ ولُيوثُ غابٍ حين تضطرمُ الوغى(٧)
ويصولُ بـالأَبـدانِ كـلُّ مُسفَّرٍ مثل الشِّهاب إذا توقَّد بالغضا(٨)

---

(٦) أقني الحياء: ألزمه وأحفظه، والشيمة: الخلق والطبيعة. والطبيعة: السجيّة التي فطر عليها الإنسان، والتجنّب: الابتعاد، والخنا: الفحش في الكلام.

(٧) المعشر: القوم والقبيل، والقروم: السادة العظماء. وتضطرم الوغى: أي تشتعل نار الحرب وتشتدّ.

(٨) يصول: يسطو ويثبت ويكرُّ في الحرب، والأبداع: الدّروع. والمسفّر: الذي يعد على الملوك ويصلح بين القبائل بسفارته، ويروى: «كل مشمّرٍ» وهو أفضل لأن ذلك يتسق مع سياق البيت، والمشمّر: الجاد المستعد للحرب. والغضا: شجرٌ خشبه من أصلب الخشب وجمره شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة.

غوى أمر كعب[١]

« من الطويل »

ألا بكَرَت عِرسي تُوائمُ من لَحـىَ　　وأقرِبْ بأحلامِ النِّساءِ من الرَّدى![٢]

---

(١) خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من بني بدر الفزاريين يقتنصون الوحش وهم عزل لا سلاح معهم، فلقيهم زيد الخيل بن المهلهل الطائي في عدة، فأخذهم وأخلى سبيل الحطيئة لفاقته وفقره. وافتدى بجير نفسه بفرس كميت. وافتدى البدري نفسه بمائة من الإبل. فبلغ كعباً الخبر، وكان نازلاً في بني ملقط، فادعى أن الفرس له، وقال شعراً يحرضهم على أخذ الكميت من زيد.

وقال بعض الرواة: خرج بجير بن زهير في غلمة يجتنون من جني الأرض، فانطلق الغلمة وتركوا بجيراً، فمر به زيد الخيل فأخذه - قال: ودور طيىء متاخمة لدور بني عبدالله بن غطفان - فقال له: من أنت؟ فقال: بجير بن زهير، فحمله على ناقته وخلى سبيله. فأتى بجير أباه فأخبره خبر زيد وما فعله، فأرسل زهير بفرس كميت كان لكعب من كرام الخيل إلى زيد، وكان زيد عظيم الخلق، لا يكاد يركب دابة إلا أصابت ابهامه الأرض. وكان كعب غائباً، فلما جاء أخبر بأمر الفرس، فقال لأبيه: كأنك أردت أن تقوي زيداً على قتال غطفان. فقال زهير: هذه إبلي، فخذ ثمن فرسك، وازدد عليه. فقال كعب لبني ملقط - وكان لهم أخاً - شعراً يحرضهم، وألقى بينهم وبين زيد شراً، فعرفوا ذلك. وأرسلت بنو ملقط إلى كعب بفرس، ولم يكلموا زيداً في فرسه. فقالت امرأة كعب له: أما استحييت من أبيك في سنه وشرفه أن ترد هبته؟! وكان كعب نزل به أضياف له، فنحر لهم بكراً كان لامرأته، فقال: ما تلوميني إلا لنحري بكرك، ولك بدله بكران. وكان زهير كثير المال، وكان كعب محدوداً لا يثمر له مال. فقال كعب:

(٢) بكرت: أسرعت، وعرسه: زوجته، وتوائم: توافق، ومن لحى: من لام وعاب، وقوله: وأقرب بأحلام النّساء من الرّدى: أي أن عقولهنّ تصير إلى الفساد، وفي مثلٍ تضربه العرب: لبّ النّساء إلى حمق.

أفي جَنبِ بكرٍ قطَّعتني مَلامةً لعَمري لقد كانت مَلامتُها ثِنى[٣]
ألا لا تلومي ويبَ غيرك عارياً رأى ثوبَه من الدهرِ فاكتَسى[٤]
فأقسِمُ لولا أن أُسِرَّ ندامةً وأُعلنَ أُخرى إن تراختْ بك النوى[٥]
وقيلُ رجالٍ لا يُبالونَ شأننا غوى أمرُ كعبٍ ما أرادَ وما ارتأى[٦]
لقد سكنتْ بيني وبينَكِ حِقبةً بأطلائِها العينُ المُلَمَّعةُ الشّوى[٧]
فيا راكِباً إما عَرضتَ فبلِّغنْ بَني مِلقطٍ عني اذا قيل: من عَنى[٨]
فما خِلتُكم يا قوم كنتم أذلةً وما خلتكم كنتم لمختلِسٍ جنى[٩]

(٣) أفي جنب بكر: أي من أجل بكر أطعمه أضيافه، والبكر: الفتيُّ من الجمال، وقطعتني ملامةً: أي لامتني مرَّةً بعد مرّة، وثنى: أي مرّة بعد مرّة.

(٤) ويب: بمعنى ويح، وعارياً: أي دون ثياب، واكتسى: لبس الثياب، ويروى «نضا ثوبه» بدلاً من «رأى ثوبه» أي خلعه.

(٥) أسرّ النّدامة: كتمها ولم يظهرها، وتراخت: تباعدت، والنّوى: البعد والهجر والفراق، يقول: لولا أنّني أخاف أن أندم على طلابي إيّاك إذا بعدت عني طلقتك.

(٦) وقيل رجالٍ: أي قولهم، وشأننا: أمرنا، وغوى أمر كعب: عمي عليه، يقول: أقسم لولا قول رجالٍ لا يبالون ما كان من أمري وأمرك ينثون عليّ وعليك أمراً لم نفعله لطلّقتك.

(٧) سكنت: هدأت ورتعت، والحقبة: المدّة من الدّهر لا وقت لها، والأطلاء: جمع طلا، وهو ولد الغزال، والصغير من كلّ شيء، والعين: بقر الوحش، والشّوى: القوائم، يقول: أقسم لكان بيني وبينك بعدٌ ومسافات يرتع فيها الوحش، يريد أنّه يهجرها ويبتعد عنها.

(٨) عرضت: ملت أو نزلت، وعرض الشيء: أظهره، وعرض الشيء عليه: أراه إيّاه، وعرض القول والرأي: أبداه ونقله، بنو ملقط: قومٌ كان كعب بن زهير أخاً لهم، وعنى: قصد وأراد.

(٩) خلتكم: ظننتكم وحسبتكم، والمختلس: المستلب بالخداع، والجنى: الثمار والقطوف الدانية التي يختلسها من شاء الاختلاس، أي أنّه لم يعهدهم أذلّة ولا قطوفاً يسهل اقتطافها واختلاسها.

لقد كنتمُ بالسهلِ والحزنِ حيَّةً | إذا لدغت لم تشفِ لدغتها الرُّقى[١٠]
فإن تغضبوا أو تُدركوا لي بذمةٍ | لعمركُم لِمثلُ سعيكُم كفى[١١]
لقد نال زَيدُ الخيلِ مالَ أخيكمُ | وأصبح زيدٌ بعد فقرٍ قد اقتنى[١٢]
وإن الكُميتَ عند زيدٍ ذمامةٌ | وما بالكُميتِ من خَفاءٍ لِمن رأى[١٣]
يبينُ لأفيالِ الرجالِ ومِثلُهُ | يبينُ إذا ما قِيدَ في الخيل أو جرى[١٤]
مُمرٌّ كِسرحانِ القصيمةِ مُنعلٌ | مَساحيَ لا يُدمي دوابرَها الوجَى[١٥]

---

(١٠) السهل: الأرض اللينة، والحزن: الأرض الغليظة، ولدغت: لسعت وعضّت، والرّقي: التعاويذ التي يستشفى بها من الداء، يقول: لقد كنتم في كلّ أموركم هيّنها وصعبها رجالاً أشدّاء قادرون على الذبِّ والقتال.

(١١) تدركوا لي بذمّة: تسارعوا وتساعدوا على حفظ حقي وحرمتي، ولعمركم: اللام للقسم، تقول لعمري: أي لديني، توالى الشرط والقسم فجعل الجواب للقسم وقرنه باللام فقال: لمثلُ.

(١٢) زيد الخيل: هو زيد الخيل بن مهلهل الطائي، كان عظيم الخلق لا يكاد يركب دابةً إلاّ أصابت ابهامه الأرض، واقتنى: جمع واتخذ لنفسه مالاً.

(١٣) الكميت: فرسٌ لكعب أرسله زهير والد كعب إلى زيد الخيال في غياب كعب، أو الكميت من الخيل: الذي بين الأسود والأحمر، والذُّمامة: البقية والذِّمامة: الحق والحرمة والعهد.

(١٤) أفيال الرجال: الضعاف الآراء، يقال: رجل فيل الرأي وفائل الرأي: أي ضعيفه، ويبين: يظهر، وقيد: قدِّر أو انقاد، وجرى: من الجري وهو العدو في السّباق، يقول: إذا رآه الفيل الذي لا علم له بالخيل علم أنّه فرسٌ فاره.

(١٥) الممرّ: المدمج الخلق، والسّرحان: الذئب، والقصيمة: قطعة من الأرض تنبت الغضا، ومنعل: أي أنّ حوافره أبطنت مساحي من حديد في صلابتها، والمساحي: هنا الحوافر، واحدها مسحاة، وهي آلة من حديد كالجرفة يجرف بها الطين ونحوه، ودوابرها: أواخرها، والوجى: الحفا، يقول: إنّ حوافره صلاب كأنها تنتعل الحديد فلا تدمى لسير مهما أشتدّ.

شديدُ الشَّظى عَبلُ الشَّوى شنِجُ النسا   كأن مكانَ الرِّدفِ من ظهرِه وعَى(١٦)

* * *

(١٦) الشّظى: عظيم ملصقٌ بعصب الذراع، فإذا تحرّك من مكانه فقد شظي وضعفت قوائم الدابة، وعبل الشّوى: ضخم القوائم والنّسا: عرق يستحبُّ قصره وتشنّجه، ومكان الرِّدف: حيث يردف الرّاكب خلفه، ووعى: يقال: وعى العظم إذا جبر بعد كسر وصح، وذلك أشدّ له.

جنّب النفس ما يعيبها

« من الطويل »

أَمِن دِمنــةٍ قفرٍ تعـاوَرَهـا البِلى لعينيك أسرابٌ تفيضُ غروبها[1]
تعـاوَرَهـا طولُ البلَى بعـدَ جِـدّةٍ وجرَّت بـأذيـالٍ عليها جنوبهـا[2]
فلم يبقَ فيها غير أُسٍّ مذعذعٍ ولا من أثافي الدار إلا صليبُها[3]
تحمّــل منهــا أهلُهـا فنــأتْ بهم لطيَّتهم مرُّ النوى وشُعوبُهـــا[4]
وإذ هي كغصنِ البانِ خفّاقَةَ الحشى يروعُكَ منها حُسنُ دلٍّ وطِيبُها[5]

---

(١) الدّمنة: آثار النّاس وما سوّدوا بالرّماد وما تلبّد من السّرجين والأبوال، والسّرجين: الزّبل، وتعاورها: تداولها واكتنفها، والأسراب: سيلان الماء من أوعيتها، والغروب: الدموع: يقول أمن أجل هذه الدمنة فاضت دموعك وسالت أسراباً.

(٢) تعاورها: اكتنفها وأحاط بها، والجدّةُ: نقيض البلي، يقال: شيءٌ جديد، والجمع أجدّه وجُدُدٌ، وجُدَدٌ، والجنوب: الريح الجنوبية التي تأتي بالمطر، وقوله وجرّت بأذيال: أي عفت معالمها وآثارها.

(٣) الأسّ: حفر النؤي التي تكون حول الخباء تقيه السّيل، والمذعذع: الذي تهدّم وتفرّق، وأثافي الدار: حجارة المواقد، وصليبها: حجارتها يقول: لم يبق من هذه الدّيار إلاّ حفر نؤي وحجارة أثافٍ فأمّا ما كان منها مدراً فقد ذهبت به السّيول والأرواح.

(٤) تحمّل: أي ارتحل، ونأت: بعدت، والطيّة: الموضع الذي يتوجّهون إليه، والنّوى: البعد، والشعوب: الفرق، ويروى وشَعُوبها بفتح الشين، وهي المنايا، يقول: حملهم النوى والفراق عنها إلى مواضع أخرى نائية.

(٥) اليان: شجرٌ لين ورقه طويل أبيض الزّهر، تشبّه بغصونه قدود النّساء المتمايسة، وخفّاقة الحشّي: ضامرة الخصور، ويروعك: يعجبك، والدلّ: الكلام أو الدلال، والطيب: الرائحة الزكيّة.

فأصبح باقي الودِّ بيني وبينها أمانيَّ يُزْجيها اليَّ كذوبُها[٦]
فدعها وعدِّ الهمَّ عنْك ولو دعا الى ذكرِ سلمى كلَّ يومٍ طرُوبُها[٧]
أَتصبو الى سلمى ومِن دونِ أَهلها مَهامهُ يغتالُ المطيَّ سُهوبُها[٨]
وبالعفْو وصَّاني أبي وعَشيرتي وبالدَّفع عنها في أُمورٍ تريبُها[٩]
وقومَك فاستبْقِ المودَّة فيهمُ ونفسكَ جَنِّبها الذي قد يعيبُها[١٠]

---

(٦) يزجيها: يسوقها، يقول: أصبح الودّ بيني وبينها أمانيٌّ كاذبة بعد ذلك النأي.
(٧) دعها: اتركها وشأنها، وعدِّ الهمّ: تجاوزه، والطّروب: الشوق والحنين.
(٨) أتصبو: أتحنُّ وتشتاق، والمهامة: المفاوز البعيدة، ويغتال المطيُّ: يهلكها، والسّهوب. جمع سهب وهو المستوي البعيد من الأرض في سهولة.
(٩) الدّفع عنها: أي الذّود عن النفس، وتريبها: تجلب إليها الرّيب والظنون، يقول: وصّاني أبي وعشيرني بأن أدفع عن نفسي كل مريبٍ ومسيءٍ لها.
(١٠) استبق المودّة فيهم: أي اجعل خيرك وحبّك لأبناء قومك ويروى: «وقومُك» بالرفع «ونفسُك» أيضاً، يقول: إجعل مودّتك في أبناء قومك وجنّب نفسك كلّ عيب.

سبيلنا سبيل من تقدّم

« من الوافر »

وإن يُـدركْـكَ موتٌ أو مشيـبُ   فقبلـكَ مـات أقوامٌ وشابوا[1]
تلبَّثنـا وفرّطنـا رجـالاً   دُعوا وإذا الانامُ دُعوا أجابوا[2]
وإنَّ سبيلنـا لسبيـلُ قومٍ   شهدنـا الأمرَ بعدَهُمُ وغـابوا[3]
فـلا تسأل ستثكـلُ كـلُّ أُمٍّ   إذا مـا إخوةٌ كـثروا وطـابوا[4]

---

(١) يقول: الانسان يدركه الموت في أيّ لحظة وإذا فاته فشاب وكبر فإنّه لا بدّ من أن يدركه الموت ويقضي عليه.
(٢) تلبّثنا: أي أقمنا في الحياة طويلاً، وفرّطنا: أي خسرنا مبكّراً بسبت الموت، يقول: منّا من يعمّر ومنّا من يرحل سريعاً ويلبّي داعي الموت الذي لا مفرّ من قبول دعوته.
(٣) السبيل: الطريق، وشهدنا الأمر: أي حضرنا إلى الدّنيا وشهدنا موتهم وغيابهم، وإنّ سبيلنا لسبيلهم نحضر فنشهد ونُشاهد.
(٤) الثكل: الفقد، يقول: لا معنى لسؤآلك واستفهامك عن الموت وأسراره فهو سنة الحياة ومفرّق الأحبّة ومزيل النّعم.

في العظام دبيب

« من الطويل »

وأشعَثَ رِخْوِ المنْكِبَين بَعَثْتُهُ ... ولِلنَّوْمِ منه في العظامِ دَبيبُ[1]

* * *

أرعى الأمانة

« من الكامل »

أرْعى الأمانةَ لا أخونُ أمانتي ... إنَّ الخؤونَ على الطريق الأنكبِ[2]

* * *

---

(١) الأشعث: المغبّر الشعر المتلبّده، والمنكبين: مثنى منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد، والدّبيب: المشي البطيء، يريد أن يقول: إنه رجلٌ ضعيف متكاسل كلٌّ على صاحبه لا يرجى خيره.

(٢) أرعى الأمانة: أحفظها وأصونها، والأنكب: المائل وغير المستقيم، يقول: إنه يحفظ الأمانة ولا يخون لأنّ الخؤن لا يسير على الطريق المستقيم.

فلمّا قضينا من منىً كلّ حاجةٍ[١]

« من الطويل »

ما برَّحَ الرسمُ الـذي بين حَنجرٍ ... وذلفةَ حتى قِيلَ هلْ هُو نازحٌ[٢]
وما زلتَ ترجو نفعَ سُعدى ووُدَّها ... وتُبعِدُ حتى ابيضَّ منكَ المسائح[٣]
وحتى رأَيتَ الشَّخْصَ يزدادُ مِثْلُهُ ... اليه وحتى نصفُ رأسي واضحُ[٤]
عَلا حاجِبيَّ الشَّيْبُ حتى كأنه ... ظِباءٌ جَرَت منها سنيحٌ وبارحُ[٥]
فأصبَحتُ لا أَبتَاعُ إلا مُؤامِراً ... وما بَيْعُ مَنْ يَبْتاعُ مِثْلِيَ رابحُ[٦]

---

(١) تنسب هذه القصيدة أيضاً إلى عقبة بن كعب بن زهير.

(٢) ما برح: من أخوات كان، والرّسم: الأثر الباقي من المنزل بعد امّحائه، وحنجر: موضع بالجزيرة من أرض بني عامر، وذلفة: إسم موضع، ولم يذكر ياقوت في معجمه هذا الموضع وإنّما ذكر «زُلفة» وهو ماء شرقي سميراء والنازح: المبتعد، ونزحت الدّار والقوم: بَعُداً.

(٣) المسائح: جمع مسيحة وهي الذؤابة، والضمير في قوله: «وتبعدُ» يعود على سعدى، يقول: إنك ما زلت تريد خير سعدى وتتعلّق بحبّها وهي تصدُّ وتبعد حتى أدركك الشيب.

(٤) يزداد مثله: أي يصير الشخص في نظرك اثنين لضعف نظرك من الكبر، والواضح: الأبيض من الشيب، وفي قوله: «رأسي» التفات من الخطاب إلى التكلّم.

(٥) جرت: سرت وفرّت، والسّانح: الذي يمرّ من يسار الرائي إلى يمينه، والبارح: ما مرّ من يمين الرّائي إلى يساره والعرب تختلف في التيمُّن والتشاؤم بها، فهما عندهما حسب اعتقاد كلّ قبيلة لأنه قد يتفاءل قوم بأحدهما ويتشاءمون بالآخرة والعكس بالعكس.

(٦) أبتاع: اشترى، ومؤامراً: مشاوراً، يقول: إنّه لا يصاحب إلاّ صديقاً مشاوراً له في كلّ أمر، ولكنّ مشاورهُ ليس برابحٍ على كلّ حال.

ألا لَيْتَ سَلْمى كلما حانَ ذِكرُها تُبَلِّغُها عني الرِّياحُ النوافِحُ(٧)
وقالتَ تَعَلَّمْ أنَّ ما كانَ بيْنَنا إليكَ أداءٌ إنَّ عَهْدَكَ صالِحُ(٨)
جميعاً تُؤَدِّيه إليكَ أمانتي كما أُدِّيَتْ بعدَ الغِرازِ المنائِحُ(٩)
وقالتْ تعَلَّمْ أن بعضَ حُمُوَّتي وبَعْلي غِضَابٌ كُلّهمْ لكَ كاشِحُ(١٠)
يَحِدُّونَ بالأيدي الشَّفارَ وكلُّهُم لِحَلْقِكَ لو يَسْطيعُ حلْقُكَ ذابحُ(١١)
وهِزَّةِ أظعانٍ عليهنَّ بَهجَةٌ طَلَبْتُ وريعانُ الصِّبا بِيَ جامحُ(١٢)
فَلمَّا قَضَيْنا مِن منىً كلَّ حاجَةٍ ومسّحَ ركنَ البيتِ مَنْ هوماسحُ(١٣)
وشُدَّت على حُدْبِ المهارى رحالها ولا يَنْظُرُ الغادي الذي هورائحُ(١٤)

---

(٧) حان ذكرها: بمعنى خطر في فكره واقترب من نفسه، والنّوافح: المتحرّكة المتنسّمة.

(٨) تعلّم: بمعنى اعلم، وإليك أداء: أي مؤدّى إليك، فهو وصف بالمصدر.

(٩) الغراز: قلّة اللبن، والمنائح: الواحدة منيحة، وهي الشاة والناقة يُمنحها الرّجل فيأكل لبنها، فإذا انقطع ردّها إلى صاحبها.

(١٠) حموّتي: أي أقارب زوجي، والحماة: أمّ امرأة الرجل، وأمّ زوج المرأة، والبعل: الزوج، والكاشح: المبغض.

(١١) يحدّون: من حدّ السكّين أو السيف: أي شحذها بمبردٍ أو بمسن ليصيرا أكثر مضاءً، والشّفار: السيوف، والحلق: كناية عن موضع الذّبح من الرقبة.

(١٢) الهزة: من سير الإبل أن يهتزّ الموكب، ويقال: أخذته لذلك الأمر هزّة: أي أريحية وحركة ونشاط، والأظعان: النّساء في هوادجهن، والبهجة: الحسن والجمال والمرح، وريعان الصّبا: أوائله، والجماح: الخروج عن المقدار، يقول: طلبت الأظعان في هوادجهنّ فجعلت أعارضهنّ فأركبُ مراكبهن.

(١٣) منىً: موضع في درج الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمّي بذلك لما يمنى به من الدّماء أي يراق، وكلّ حاجة: يريد مناسك الحاج، ومسّح: أمرّ يده تبرّكاً، ويروى «ومسَّح بالأركان».

(١٤) شدّت: وضعت وربطت، وحُدب المهاري: يريد النّوق لأنها ذات أسنمةٍ حدب، والرّحال: ما يوضع على ظهر الدّابة ليركب عليه والغادي: الذي يسير الغداة أي أوّل النهار، والرائح: الذي يسير في وقت الرواح أي العشيّ، والغداة والعشي يستحسن المسير فيهما.

فَقُلْنا على الهُوجِ المراسِيلِ وٱرْتَمتْ بِهِنَّ الصَّحارى والصّمادُ الصَّحاصحُ(١٥)
نزَعنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ومالتْ بأعناقِ المطِيِّ الأباطحُ(١٦)
وطِرْتُ الى قَودَاءَ قـادَ تلِيلُها مناكبَها وٱشْتَدَّ منها الجَوانحُ(١٧)
كأني كسَوتُ الرّحل جوناً رباعياً تضَمَّنَه وادي الرجا فالافايِحُ(١٨)
مُمَرّاً كعَقْدِ الاندريِّ مُدمَّجاً بدا قارحٌ منه ولم يبدُ قارحُ(١٩)
كـأنَّ عليه مِنْ قَبـاءٍ بِطـانَـةً تَفَرَّجَ عنها جَيْبُها والمناصحُ(٢٠)

---

(١٥) قلنا: من القول أو من قال يقيل قيلاً وقائلة وقيلولة: أي نام في القائلة أي وسط النّهار، ولعلّ الرواية الأولى: ثقلنا أي أخذتنا ثقلة وهي النعسة الغالبة، والهوج: اللاتي بهن هوجاً من نشاطها، والمراسيل: النوق السريعة السير، وارتمت: تقاذفت، والصماد: ما غلُظ من الأرض وارتفع، والصحاصح: جمع صحصح وصحصحان، وهو ما استوى من الأرض وانبسط.

(١٦) نزعنا: أخذنا وملنا، ونزع إلى الشيء: مال، وأطراف الأحاديث: جوانبها المتعدّدة، والأباطح: جمع ابطح وبطحاء: وهي المكان المتسع المنبسط الذي يسيل فيه الماء فيخلّف الحصى والتراب، يقول: دارت الأحاديث بيننا ومضت النوق سائرة تقطع الوقت والمسافات.

(١٧) طرت: أسرعت: والقوداء: الطويلة العنق، وقاد: تقدّم، وتليلها: عنقها، والمناكب: جمع منكب، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد، والجوانح: الأضلاع التي تلي الصدر.

(١٨) الجون: الحمار الوحشي، شبّه به الناقة وكساه الرحل: أي ألبسه إيّاه ليركب عليه، والرّباعي: يقال للذكر من الإبل إذا طلعت رباعيته: رباعٌ ورباعٍ وللأنثى رباعية وذلك إذا دخلا في السنة السابعة، وفرسٌ رباع مثل ثمان وكذلك الحمار والبعير، وربما كان رباعياً: أي ارتعى الربيع فنشط وسمن، والرّجا والأفايح: موضعان، والهاء في تضمّنه تعود على الجون.

(١٩) الممرّ: المدمج الفتل والمحكم الصنع، والأندري: المنسوب إلى أندر، وهو بلدٌ تعمل فيه الحبال، والقارح: من ذي الحافر: ما شقّت نابه وطلعت مكان السنّ التي تلي الرباعية بعد سقوطها.

(٢٠) القباء ثوبٌ يلبس فوق القميص، والبطانة: من الثوب داخله، ولعلّ قباء إسم موضع تحاك فيه البطن، وتفرّج: انكشف، والمناصح: الإبر الواحدة منصحة والنّصاح: الخيط، والنّاصح: الخيّاط، وقالوا: وإنّما أراد أنّ عليه بياضاً من لونه قد جلّل سراته وبطنه.

أخو الأرضِ يَسْتَخْفي بها غيرَ أنه إذا استافَ منها قارحاً فهو صائحُ[٢١]
دَعَاها من الامهادِ أمهاد عامرٍ وهاجتْ من الشِّعْرى عليه البوارح[٢٢]

الدّهر غادٍ ورائحٌ

«من الطويل»

لأيٍّ زمانٍ يَخبأُ المرْءُ نَفْعَهُ غداً فغَداً والدهرُ غاد ورائحُ[٢٣]
إذا المرْءُ لم يَنْفعكَ حيّاً فنفْعُهُ قليلٌ إذا رُصَّتْ عليه الصّفائح[٢٤]

★ ★ ★

---

(٢١) أخو الأرض: أي أنّ لونه كلون الأرض فيصعب مشاهدته وتمييزه، واستاف: شمّ، والقارح: الحامل، يقول: إذا شمّها فعلم أنّها قد علقت وحملت صاح.

(٢٢) دعاها: طلبها، ويروى «رعاها، والأمهاد: مواضع معروفة في الدّيار التي ذكرها، وهاجت: اشتدّ حرّها، والشِّعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء، وطلوعه في شدّة الحرّ، والبوارح: الرّياح الحارة في الصيف، يقول: إذا اشتدَّ حرُّ هذه الأماكن عليها دعاها وقصد بها الماء.

(٢٣) يخبأ: يستر ويمنع، والنفع: الخير والمعروف، والغادي: الذي يسير الغدوة أي الصباح الباكر، والرائح: الذي يسير الرواح أي المساء، يقول: لماذا يدّخر الإنسان عمل الخير وهو يرى الأيام تجيء وتروح وتقطع العمر سائرةً به إلى النهاية.

(٢٤) رصّت: وضعت وضمّت إلى بعضها البعض، والصفائح: الحجارة العراض الملس، ويقصد بها حجارة القبر، يقول: إذا لم ينفعك المرء في حياته فإن نفعه قليلٌ بعد موته ورصّ الصفائح على قبره.

يفعل الله ما يريد

«من الوافر»

صَبَحْنا الحيَّ حيَّ بني جِحاشٍ بِمكْروثاءَ داهيةً نَآدا[1]
فما جَبُنُوا غَداتَئِذٍ ولكن أُشِبَّ بهم فلم يَسعَوا الذِّيادا[2]
فإنْ تَكُ أخْطأتْ سعدُ بنَ بكرٍ فقد تَركتْ مَواليها عِبادا[3]
بَني عَوْفٍ ودُهمانَ بنَ نَصْرٍ وكان الله فاعِلَ ما أرادا[4]
صَبحناهم بجمعٍ فيه ألفٌ روايَاهُم يُخضخِضنَ المزادا[5]
أربَّت بالأكارع وهي تبغي . رعاةَ الشاءِ والضأنَ القِهادا[6]

---

(١) صبحنا: أي فاجأناهم صباحاً، وكانت الغارات تستحسن في الصّباح لما فيها من المفاجأة والمباغتة، ومكروثاء: أرضٌ هي في ديار بني جحاش رهط الشمّاخ بن ضرار، والداهية: المصيبة، والنآد: الداهية الشديدة.

(٢) أشبّ بهم: فرّقوا وأخذوا على بغتة، وقوله: فلم يسعوا الذّيادا: أي لم يكن في وسعهم أن يذبّوا عن أنفسهم لأنه قد أحيط بهم وأخذوا على غرّة.

(٣) سعد بن بكر: من هوازن، والموالي: الحلفاء، وعبادا: أي عبيداً.

(٤) بنو عوف ودهمان بن نصر: من هوازن أيضا.

(٥) روايا هم: جمع راوية وهي الناقة أو البعير الذي يحمل الماء، ويخضخضن: من الخضخضة وهو تحريك الماء واللبن، والمزادة: وعاء الماء، والقربة.

(٦) أرّبت: أقامت ولزمت، والأكارع: يظهر أنه اسمُ موضع، والأكارع: جمع كراع، وهو مستدق السّاق من الشاة والبقرة، ومن الدّواب: ما دون الكعب، والضأن: الغنم، والقهاد: جمع قهدة وهي الصغيرة الجسم والرأس من الضأن.

فَجُـلنـا جَولـــةً ثم ارعوينـــا   وأمكنـــا لِمن شاء الجِـــلادا[٧]
بضربٍ يُلقــحُ الضبعــانُ منـــه   طروقتــه ويـأتِنـفُ السِّفـادا[٨]

وعيـد كالأخذ باليد

« من الطويل »

تَعَلَّمْ رسول اللهِ أنـــكَ مُـــدْرِكي   وأنَّ وعيداً منك كالأَخذِ باليَدِ[٩]

* * *

---

(٧) الجولة: الصولة في الحرب، وارعوينا: انصرفنا وأُبنا، وأمكنّا: سهلنا أو تمكنّا منه وصار لنا عليه سلطاناً وقدرة، والجلاد: القتال بالسيف.

(٨) يلقح: من اللّقاح، أي المسافدة عند الحيوان، والضّبعان: الذّكر من الضباع، وطروقته: أي التي يطرقها من الاناث ويسافدها، ويأتنف: أي يستأنف، والسِّفاد: الجامعة عند الحيوان.

(٩) تعلّم: بمعنى اعلم، وصفٌ بالمصدر، ومدركي: أي لا مفرّ من النزول على أمرك ونهيك، والوعيد: التهديد، والأخذ باليد: الإمساك، يقول: لا مفرّ من النزول على أمرك ونهيك فتهديدك أسرٌ لي ولو كنت حرّاً.

كرم النبوّة

« من مجزوء الكامل »

مَسَحَ النَّبِيُّ جبينَهُ فله بياضٌ بالخُدُودْ[1]
وبوَجْهِهِ ديباجةٌ كَرَمُ النُّبُوَّةِ والجُدود[2]

* * *

(١) مسح: مرّ بيده على الشيء، يقول: إن النبيّ عليه الصلاة والسلام قد مرّ بيده الكريمة على الجبين فتوهّج الخدّان نوراً وبياضاً.

(٢) الديباجة: من الوجه حسن بشرته، واشراقه، يقول: إن ذلك الإشراق الذي يلوح في وجه الرسول عليه الصلاة والسلام هو من نور النبوّة وشرف المحتد.

كرم الحياة[1]

« من البسيط »

من سرَّه كرمُ الحيــاة فـلا يزل   في مِقنـبٍ من صالـح الأنصـار[2]
تزن الجِبـالَ رزانـةً أَحـلامهم   وأكفُّهم خلـفٌ من الامطـار[3]
المكرهينَ السمهريَّ بـأذرُع   كصواقلِ الهنـديِّ غير قِصار[4]
والنـاظرينَ بـأعينٍ مُحمرةٍ   كـالجمرِ غـيرِ كليلـةِ الابصـار[5]

---

(١) قال كعب هذه القصيدة بعدما عرّض بالأنصار لغلظتهم عليه في قوله:
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   خربٌ إذا عرّد السود التنابيل
فأنكرت قريش ما قال، وقالوا: لم تمدحنا إذ هجوتهم، ولم يقبلوا منه ذلك حتى قال يذكر الأنصار في هذه القصيدة.

(٢) المقنب: جماعة الخيل والفرسان، قال أبوعمرو: المقنب: ألفٌ أو أقل ولم نسمع ثلاثين وأربعين، وقال الأصمعي: هم الجماعة من الفوارس نحو ثلاثين أكثر أو أقل.

(٣) الأحلام: العقول، والخلف: السقي، وأخلف: سقى، ويقال: من أين خلفتكم؟ أي من أين تستقون.

(٤) المكرهين السّمهريّ: أي الحاملين الرمح على المكروه وهو الموت، والسّمهريّ: الرمح الشديد، والصواقل: القاطعة والماضية، والهنديّ: السيف ويروى: كسوافل الهنديّ، وسافلة القناة: أغلظها وأقصرها كعوباً، ولم يذهب إلى القصر وإنما ذهب إلى الشدّة.

(٥) الأعين المحمَّرة: يريد شدّة الغيظ والبأس فيها فهي كالجمر الذي يحرق، والكليلة: الضعيفة النظر.

والذائدينَ الناسَ عن أديانهم بالمشرفيِّ وبالقنا الخطار[٦]
والباذلينَ نفوسهم لنبيِّهم يوم الهياج وقُبةِ الجبار[٧]
دَربوا كما دربت أُسودُ خفيَّةٍ غُلبُ الرقابِ من الأسودِ ضواري[٨]
وهمُ اذا خوتِ النجوم فانهم للطائفين السائلين مقاري[٩]
وهُمُ اذا انقلبوا كأن ثيابهم منها تضوّعُ فأرةِ العطار[١٠]
والمطعِمونَ الضيفَ حين ينوبُهم من لحم كُوم كالهضابِ عِشار[١١]
والمنعِمونَ المفضِلونَ اذا شتوا والضاربون عِلاوة الجبار[١٢]

---

(٦) الذائدين: الدّافعين، ويقال: ذاد عنه الهمّ: دفعه وطرده والمشرفيّ: السيف المسنوب إلى «المشارف» وهي قرى من أرض العرب قريبة من الرّيف في العراق واليمن والشام، والقنا: الرمح، والخطّار: الرمح ذو الاهتزاز الشديد. ويُقال: خطران الرمح: ارتفاعه وانخفاضه للطعن.

(٧) الباذلين: الذين يعطون مختارين عن طيب نفس، والهياج: الحرب وقبة الجبار: أراد بيت الله الحرام، وتروى: وسطوة الجبّار، والسطوة: القوّة والبطش.

(٨) دربوا: اعتادوا ضراوة الأسود، وخفيّة: موضع تكثر فيه الأسود، والخفيّة: غيضة ملتفّة يتخذ فيها الأسد عرينه، وغلب الرّقاب: غلاظها والضواري: اللواتي ضرين بأكل اللحوم.

(٩) خوت النجوم: يقال: خوت النجوم وأخوت وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوئها، ويريد الشاعر هنا: الامحال والجدب، ومقاري: من القرى وهي الضيافة وإطعام الناس، والمعنى أنهم في سنيِّ الجدب والمحل كرماء لا يمنعون قراهم كلّ سائل وطائف.

(١٠) انقلبوا: عادوا ورجعوا من الحرب، وتضوُّعُ فأرة العطار: أي ينتشر أريج ثيابهم كانتشار روائح المسك والطيب، والفأرة: وعاء الطيب.

(١١) ينوبهم: يحلُّ ديارهم قاصداً لها، والكوم: القطعة من الإبل، والكرماء: العظيمة السّنام، والعشار: النوق التي أتى على حملها عشرة أشهر، وهي أعزّ عليهم لأنها إذا نحرت نحر اثنان هي وولدها، والمعنى: أنهم يبذلون لضيوفهم أغلى ما عندهم.

(١٢) إذا شتوا: أي إبّان الشتاء حيث تقسو الطبيعة أحياناً على الناس فلا تمطر ويحلّ الجدب، والعلاوة: العنق، والجبّار: الشديد من الفرسان، يقول: إنهم ينعمون على الناس في وقت الشدّة حيث يحسن في مثل هذا الوقت الكرم، ويضربون بسيوفهم أعناق كلّ جبّار لا يذعن لدعوة الحق.

رُميتْ نطـاةُ من الرسولِ بفيلـقٍ شهبـاء ذاتِ منـاكـبٍ وفقـار(١٣)
بـالمرهفاتِ كـأن لمعَ ظُبـاتِها لمعُ السواري في الصبير الساري(١٤)
لا يشتكونَ الموتَ إن نزلـت بهم شهبـاء ذاتُ معـاقمٍ وأُوار(١٥)
واذا نزلـتَ ليمنعوك اليهمُ أصبحتَ عند معاقِل الأغفار(١٦)
ورِثوا السيـادة كـابراً عن كـابرٍ ان الكرامَ هُمُ بنو الاخيـار(١٧)
للصُلـبِ من غسّانَ فوق جراثمٍ تنبو خوالِـدهـا عن المنقـار(١٨)
لو يعـلمُ الاحيـاءُ علمي فيهم حقاً لصـدَّقني الـذينَ أُمـاري(١٩)
صـدموا عَليَّاً يومَ بـدرٍ صَدمـةً دانـت عـليٌّ بعـدهـا لنزارِ(٢٠)

---

(١٣) نطاة: حصنٌ بخيبر، وقيل: عينٌ بها، وقيل: هي خيبر نفسها، والفيلق: القطعة العظيمة من الجيش، والشهباء: العظيمة الكثيرة السلاح، والمناكب: جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد، ويعني الشاعر بها الرجال والفرسان، والفقار: جمع فقرة وهي الخرزة من خرزات سلسلة الظهر، ويعني بها الخيل.

(١٤) المرهفات: السيوف القاطعة، والظُّباة: جمع ظبّة وهي حديدة السيف المصقولة، والسَّواري: السّحائب التي تأتي ليلاً، والصبير: سحابٌ أبيض واشترط هنا سحاب الليل لأنه أشدّ للمع البرق فيه.

(١٥) الشهباء: الكتيبة العظيمة والكثيرة السّلاح، وذات معاقم: ذات هلاك من قولهم: حربٌ عقيم لكثرة قتلاها، والأوار: الغبار الذي يثور من الحوافر أثناء الحرب.

(١٦) المعاقل: الحصون، والأغفار: أولاد الأرويّة، واحدها غفر، وكلّ شيء أحرزك فهو معقل وهو ها هنا أعلى الجبل، والأرويّة: أنثى الوعل، والوعل: تيس الجبل.

(١٧) السيادة: من ساد يسود وسُودداً وسيادة، والمعنى أن السّيادة فيهم قديمة توارثوها عن الآباء والأجداد.

(١٨) ألصُّلب: الجدُّ الأعظم، وغسّان: ماءٌ نزل عليه قومٌ من الأزد فنسبوا إليه، والجراثم: ها هنا: أماكن مشرفة، والجرثومة: الأصل، وتنبو: من نبا يقال: نبا السيف عن المضروب أي لم يصبه، والخوالد: الجبال، والثوابت، والمنقار والصاقور واحد: وهو الذي يقطع الحجارة، وهذا مثل ضربه لعزّهم ومنعتهم.

(١٩) أماري: من مارى مماراةً ومراءً أي جادل ونازع.

(٢٠) عليّاً: هو أبٌ لقبيلةٍ من القبائل نسبت إليه، وخضعت: دانت وفزار: أبو قبيلة، وهو نزار بن معدّ بن عدنان جدٌّ من أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام.

يتطهرون كــأنــــه نُسكٌ لهم بـدمـاءِ من عِلقوا من الكُفّار[٢١]
واليهمُ استقبلـتُ كـل وديقـةٍ شهباء يسفعُ حرها كالنّار[٢٢]
ومريضةٍ مرضَ النعاس ذعرتها بـادرتُ عِلـةَ نومِها بغرار[٢٣]
وعلمـتُ أني مُصبـح بمضيعـةٍ غـبراءَ تعزفُ جِنّها مِـذكار[٢٤]
وكسوتُ كـاهـلَ حُرةٍ منهوكـةٍ بـالفجر حـاريّاً عـديمَ شوار[٢٥]
سَلِست عراقيـهِ فكـلُّ قبيلـةٍ من حنوه قَلِقـــت الى مسمار[٢٦]
وسَدَتْ مهْمِلجةً عُلالةَ مُـدمجٍ من فـالـقٍ حَصِدٍ من الإمرار[٢٧]
حتى إذا اكتستِ الابـارقُ نُقبـةً مثلَ المُلاء من السرابِ الجاري[٢٨]

(٢١) النسك: العبادة والذبيحة، وعلقوا: قتلوا، والمعنى أنهم قومٌ يحسبون قتل الكفّار نسكاً وعبادة تطهرهم وتقرّبهم من الله سبحانه وتعالى.

(٢٢) الوديقة: الحارة المحتدمة، والشهباء: الشديدة الحرّ، ويسفح: يلفح.

(٢٣) المريضة: كناية عن العين، ومرض النعاس: أي التي تشكو داء النعاس ودعرتها: نبّهتها ولم أتركها تنام، والغرار: قلّة النوم يريد أن يقول: أنه أراد الرحيل فحمى عينيه من النوم.

(٢٤) المضيعة: الأرض الخالية والكثيرة المتاهات، والغبراء: الأرض التي علتها هبوة من جدوبها وقلّة خيرها، وتعزف: تصوت، والمذكار: ذات الهول والفزع.

(٢٥) الكاهل: مقدّم أعلى الظّهر ممّا يلي العنق، والحرّة: هنا الناقة والمنهوكة: المتعبة من السّير، والحاريّ: رحلٌ منسوب إلى الحيرة، وعديم شوار: أي رحل حسن قلَّ نظيره ولا شيء عليه يواريه.

(٢٦) عراقية: عيدانه التي في مؤخرة الرحل وقيل: هي التي في مقدَّمه، وقبيلة الرّحل: الحنو، وأحناء: الرّحل: خشبه.

(٢٧) وسدت: من السّدو، وهي أن تدحوا دحواً، أي ترمي بها رمياً، والهملجة: ضربٌ من العدو، والعلالة: البقية التي يتعلَّل بها، والمدمج: السوط، ومن فالق: يعني سوطاً من جلد فليق العنق، والحصد: الشديد الفتل، والإمرار: شدّة الفتل، ويروى: مخافة مدمج، وهو أجود.

(٢٨) الأبارق: جمع أبرق وهو مرتفع من الأرض غليظ فيه حجارة وطين أو رمل، ونقبةً: لباس من السّراب، والملأ: جمع ملاءة وهي الملحفة البيضاء، والجاري: الذي يترقرق ويُتخيّل، يقول: إن تلك الأبارق قد اكتست وتلفّقت بنقاب من السّراب.

ورضيتُ عنها بالرِّضا لما أتت من دونِ عُسرةِ ضِغنها بيسار(٢٩)
تنجو بها عُنقٌ كنازٌ لحمها حفزت فقاراً لاحقاً بفقار(٣٠)
في كاهل وشجت الى اطباقهِ دأياتُ منتفخ من الازوار
وتديرُ للخرقِ البعيدِ نياطُه بعد الكلالِ وبعدَ نوم الساري(٣١)
عيناً كمرآةِ الصنَّاع تُديرها بأناملِ الكفِّين كلَّ مدارِ(٣٢)
بجِالِ مَحجِرها وتعلمُ ما الذي تُبدي لنظرةِ زَوجها وتواري(٣٣)

---

(٢٩) أتت: أي انقادت، وضغنها: الضغن هنا أن تشتاق إلى وطنها فتراها كالمتكارهة المتعاسرة لوجهها الذي يراد بها لأنه طريق غير طريق وطنها، واليسار: اللين واليسر ويروى: «ورضيت عنها بالنجاء وسامحت».

(٣٠) تنجو: من النجاء وهو السّرعة، وخفرت فقاراً: اتبعت بعضه بعضاً ومنه خرج رسولٌ يحفز رسولاً أي يتبعه، والفقار: خرز الصلب والعنق والذّنب، يقول: لا تخذل المقدّمة المؤخرة.

(٣١) الخرق: الذي انخرق في الفلاة فذهب، ونياطه: من ناط ينوط الشيء: علّقه، وناطت الدار: بعدت، والكلال: الاعياء، والسّاري: من السُّرى: وهو سير الليل، يقول: ليس يكسر سير الليل والاعياء من عينها لأنّها لا تبالي إدلاج الليل.

(٣٢) الصّناع: المرأة الحاذقة بالعمل، يقول: تدير عيناً مجلوّة كمرآة الصّناع الحاذقة.

(٣٣) المحجر: ما أحاط بالعين من خارجها، يقول: إن عين هذه الناقة في صفائها كمرآة هذه المرأة التي تجلو دائماً مرآتها لأنها تكثر النظر إلى وجهها لتتزيّن وتصلح ما يكره فيه.

كنت بالصبر أجدرا

« من الطويل »

أَبت ذكرةٌ من حُبِّ ليلى تعودُني ... عيادَأخي الحمَّى إذا قلتُ أَقصرا[1]
كأن بغبطان الشُّريفِ وعاقلٍ ... ذُراالنخل تسمو والسَّفينَالمقيَّرا[2]
ألم تَعلمي أَني إذا وَصلُ خُلَّةٍ ... كذاكِ تولَّى كنتُ بالصبر أجدرا[3]
ومُستأسِدٍ يندى كأن ذُبابَهْ ... أخو الجمر هاجتْ شوقَه فتذكَّرا[4]
هبَطتُ بملبون كأن جِلالَه ... نضتْ عن أديمٍ ليلةَ الطلِّ أحمرا[5]

(١) الذكرة: التذكّر والاستحضار، وتعود: تزور، وأخو الحمّيّ: المريض بالحمى، وأقصرا: كفّ وامتنع وأقلع، يقول: إن حبّ ليلى يعاوده المرّة بعد المرّة كما تعاود الحمّى المريض بعد انقطاع.

(٢) غبطان: اسم موضع ويروى «بعطّان» والشريف: موضع، وعاقل: جبل، وتسمو: ترتفع، والسّفين المقيَّرا: أي السفن المطليّة بالقار وهو الزفت، شبّه الأحداج وهي فوق الابل بأعالي النخل الحامل وبالسفين.

(٣) الوصل: الاجتماع وتبادل الحبّ، والخلّة: الحبيبة والصاحبة، وكذاك: الكاف يعود على الخلّة أو على ليلى في البيت الأول، وتولّى: فارق ومضى وانقطع، وأجدر: أحق.

(٤) المستأسد: الروض الذي تكامل نبته، ويندى: أصابه النّدى، والذّباب: حشرات طائرة لا تغني إلاّ في روضة طويلة النبت: يقول عنترة في معلّقته:

وخلا الذّباب بها فليس ببارحٍ ... غرداً كفعل الشّارب المترنّم

فقد شبّه كعب غناء ذلك الذباب وهو لا يفهم بغناء سكران قد تعقّد لسانه، فهو يغني ولا يفهم عنه.

(٥) الملبون: الفرس الليّن المعاطف، والجلال: ما يوضع على ظهر الدابة ليركب عليه كالبرذعة للفرس، ونضت: نزعت، والأديم: اللّون من أي لونٍ كان، والطلّ: الندى والمطر الخفيف.

أمينِ الشّظـى عَبـلٍ إذا القومُ آنسوا مَدَى العينِ شخصاً كان بالشخصِ أبصرا(٦)

كتيسِ الإِران الأغفر انضرَجتْ له كِلابٌ رآها من بَعيدٍ فأحضرا(٧)

وخالي الجَبَا أورَدْتَهُ القومَ فاستقوا بسُفرتِهم من آجنِ المـاءِ أصفرا(٨)

وخَرْقٍ يعِـجُّ العَوْدُ أن يسْتَبينَـه إذا أوْردَ المجهولةَ القومُ أصدَرا(٩)

ترَى بحفـافَيْـهِ الرَّذايا ومَتْنِـهِ قِياماً يُفَتِّرْنَ الصّريفَ المُفَتّرا(١٠)

تركتُ به من آخر الليلِ موضِعي لديهِ ومُلقايَ النّقيشَ المُسَمّرا(١١)

ومَثْنـى نَواجٍ ضُمَّرٍ جَـدَليَّـةٍ كجفنِ اليماني نَيّها قد تحسّرا(١٢)

---

(٦) أمين: موثّق الخلق، والشّظى: انشقاق العصب، أو هو عُظيم لاصق بالذّراع فإذا عدا الفرس يبين كأنّه منشق وليس منشّقاً، والعبل: الضخم وآنسوا: رأوا، ومدى العين: أي مدى النظر في الرؤيا، يقول: انه فرس قويّ ضخم شديد البصر.

(٧) التيس: الوعل أو الثور من البقر الوحشيّ، والإِران: الثور الوحشيّ لأنه يؤارن البقرة أي يطلبها، وقيل: الإِران: موضع ينسب إليه البقر، والإِران أيضاً: النشاط والأغفر: المتخفّي والمستتر، وانضرجت له: انبسطت في عدوها، وأحضرا: عدا ووثب من الحُضر.

(٨) الجبا: ما حول البئر يستقى منه كالحوض، والخالي: الذي لا أنيس به يستقي منه، وأوردته القوم: أي جعلتهم يردونه للاستقاء منه، والسّفرة: الدّلو من جلود على طاقٍ واحد، وبعضهم يسمّيها صفنة، والآجن: المتغيّر طعمه ولونه، والفاسد، وقوله أصفر: يريد أن الجراد قد سقط فيه وريش الحمام فاصفر.

(٩) والخرق: الذي تنخرق فيه الريح، ويعجُّ: يصفر، وعجّت الريح: أشتدَّ هبوبها فأثارت الغبار، ومنه العجاج، والعود: الجمل المسنّ، والمجهولة: الأرض التي لا طريق عليها ولا علم، وأصدر القوم: عادوا عن الماء بعد الارتواء.

(١٠) حفافاه: جانباه، والرّذايا: المعييات واحدها رذيّة، والمتن: الظّهر، ويفترن: قال حمّاد: فتّر أي أقام وسكن، والمفتَّر: الذي يفتِّر الجسد إذا شرب ويضعفه، والصريف: صوت ناب الجمل إذا حكّ بغيره، والصّريف أيضاً: الشّراب الذي لم يمزج، والمفتَّر: الذي أضعفه الداء أو الشراب.

(١١) وملقاي: أي حيث يطّرح، والنقيش: الرّحل المنقوش كنقش الدبابير.

(١٢) ومثنى نواجٍ: أي حيث عطفت أيديها في بروكها، والضامرة: المزيلة، وجدليّة: نسبها إلى جديلة، والجفن اليماني: القدر المنسوبة إلى اليمن، والنيّ: الشحم، وتحسَّر: ذهب.

ومَرقَبةٍ عيطاءَ بادرتُ مُقصِراً   لأَستأنسَ الأشباحَ أَو أتنوَّرا[١٣]
على عَجَلٍ مني غِشاشاً وقد بَدا   ذُرا النخلِ واحمّرَّ النهارُ فأدبرا[١٤]

(١٣) المرقبة: المكان العالي يكون للمراقبة، والعيطاء: المرتفعة، ومقصراً: عشيّاً حين يبدأ البصر بالقصور عن الرؤيا، ولأستأنس: لأبصر، والأشباح: الأشخاص وأتنوّر: أنظر ضوء النار.

(١٤) الغشاش: الخوف الشديد، وذرا النخل: أعاليه، واحمرار النهار: آخر النهار عند سقوط الشمس حيث تظهر الحمرة في السّماء إيذانا بحلول الظلام وانتهاء النهار، وأدبر: تولّى، يقول: آتيت هذه المرقبة خائفاً على عجلٍ آخر النّهار.

الكريم صبور

« من الخفيف »

إنّ عِرْسي قـدْ آذنتني أخـيراً ... لم تُعَرِّجْ ولم تُؤامرْ أمـيرا[١]
أَجِهاراً جاهَرت لا عتبَ فيه ... أم أَرادتْ خِيانـةً وفُجورا[٢]
ما صَلاحُ الزَّوجين عاشا جميعاً ... بعدَ أن يَصرِمَ الكبيرُ الكبيرا[٣]
فاصبري مثلَ ما صَبرْتُ فإني ... لا إِخالُ الكريمَ إلا صَبورا[٤]
أيَّ حينٍ وقد دبَبتُ ودبَّتْ ... ولبسنا من بَعدِ دهرٍ دُهورا[٥]
ما أرانا نَقولُ إلا رَجيعاً ... ومُعاداً مِن قولِنا مكرورا[٦]

---

(١) عرس الرّجل: زوجته وحليلته، وآذنتني: أعلمتني، وأخيراً: أي على كبر، ولم تعرّج: لم تعطف، ولم تؤامر: أي لم تشاور في أمرها، والأمير: القيّم الذي تؤامره وتشاوره وتعلمه بما هي تريد.

(٢) جاهرت: أعلنت، والعتب: العتاب والمراجعة ويروى «لا عيب فيه» خاطبها ثمّ كنّى عنها في عجز البيت، ومثلُ هذا كثير في كلام العرب، والمعنى: إنما يعاتب من ترجى مراجعته ومن به مسكة.

(٣) الصرم: الهجر والقطيعة، يقول: أي صلاحٍ لزوجين عاشا معاً حيناً من الزمن وهما يفترقان عند الكبر، ويروى: «ما صلاح الشيخين».

(٤) لا إخال: لا أظنُّ ولا أعتقد، يقول: اصبري على كبري كما صبرت على كبرك.

(٥) دببت: أي أصبحت لا أستطيع السّير إلاّ متوكئاً على العصا، يقول: كيف يتصارم بعد حلول الكبر والضعف وبعد أن مرّ علينا الزّمن المديد.

(٦) الرّجيع: المكرّر والمعاد، يقول: ما نقول شيئاً إلاّ وقد سبقنا إليه، ونحن نعيد أقوالنا مرّة بعد مرّة لتقادم العهد.

عـــذلتني فقلـــتُ لا تعـــذُليني قـــد أُغـــادي المُعَـــذَّلَ المخمورا[٧]

ذا صَبــاحٍ فــلم أُوافِ لــدَيــهِ غـــيرَ عَـــذَالـــةٍ تَهِرُّ هَريرا[٨]

عَـــذلتـــهُ حـــتى إذا قـــال إني - فذَريني - سأعقِل التفكيرا[٩]

غَفلـــتْ غَفلـــةً فـــلم تَرَ إلا ذاتَ نفسٍ منها تَكوسُ عقيرا[١٠]

فـــذريني من المـــلامَـــةِ حَسبي رُبَّمـــا أنتحـي مَـواردَ زورا[١١]

تتـــأوّى الى الثنـــايـــا كما شكَّـــتْ صَنـــاعٌ من العَسيـــبِ حَصـــيرا[١٢]

خُلُجـــاً من مُعبَّـــدٍ مُسبَطِرٌّ فقَّرَ الأُكْمَ والصُّوى تفقـــيرا[١٣]

---

(٧) العذل: اللوم، وأغادي: أباكر، من الغدوّة وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس، والمعذّل: الذي يكثر عذله ولومه والمخمور: الذي أسكرته الخمرة وذهبت بلبّه.

(٨) لم أواف: لم أدرك ولم أجد، والعذّالة: الكثيرة العذل، وتهرّ: تصوّت وتنبح، والهرير: أصل الهرير للكلاب، يريد: لم يجد لديه إلاّ عاذلة تكثر اللوم والكلام الذي يكرهه.

(٩) عذلته: لامته وأنّبته، وذريني: دعيني، وقوله سأعقل التفكير: أي سأفكر التفكير وأقدّر الأمر.

(١٠) غفلت: يعني العاذلة، ولم تر إلاّ ذات نفس قد عقرها: يعني الناقة، وتكوس: تمشي على ثلاث، قد ضرب واحدةً منها فعقرها، وقال الأصمعي: تكوس: تدور على ركبتيها: يقول: غفلت العاذلة بعد لوم منها على إتلاف ماله ولما انتبهت وجدت أنه أتى بنحره الناقة فعلاً جديداً يلام عليه.

(١١) ذريني: دعيني وشأني، وحسبي: كفاني، وانتحي: أقصد وأعتمد، والموارد: الطرق والمجاري، والزّور: المعوجة، وإنّما جعلها معوجة لأنها أقطع من الطريق القاصد وإن كان فيها مشقة.

(١٢) تتأوّى: يرجع بعضها إلى بعض يعني الطريق، والثنايا: العقاب، واحدتها عقبة، وقوله: كما شكّت صناع: أي كما داخلت نسجاً شيئاً فشيئاً، والصناع: الحاذقة بالعمل، والعسيب: عسيب النخلة يعمد إليه وهو أخضر فينحّى لحاؤه، ثم ينسج بسيورٍ من أدم، وهو الحصير المديني، شبّه هذه الموارد والطرق وقد تغلغلت في الثنايا بالحصير المشكوك بعضه ببعض.

(١٣) الخلج: الطرق من الطريق الأعظم أي أن لهذا الطريق متفرّعات تنشقّ عنه، والمعبّد: المذلّل من كثرة السير عليه، والمسيطر: الممتد، وفقّر الأكم: أي حزّزها، والأُكم: جمع أكمة وهي التلّة والمرتفع، والصُّوى: نشوزٌ تعلو بمنزلة الأعلام والواحدة صوّه.

واضِــــح اللونِ كـــالمجرَّةِ لا يَعـدمُ يوماً من الأهـابيِّ مُورا(١٤)
وذِئـابـاً تعوي وأصواتَ هـامٍ موفيـاتٍ مـع الظـلامِ قُبورا(١٥)
غـيرَ ذي صاحـبٍ زَجرتُ عليـه حُرَّةً رسلــةَ اليـــدينِ سَعورا(١٦)
أخرَجَ السَّيْرُ والهواجرُ مِنهـــــا قَطِرانــاً ولونَ رُبٍّ عَصــيرا(١٧)
يومَ صَومٍ من الظهــــــيرةِ أو يومَ حَرورٍ يُلوِّحُ اليعفورا(١٨)
وإذا مــا أَشاءُ أبعَــثُ مِنهــا مَطلعَ الشمسِ ناشِطاً مَذعورا(١٩)

---

(١٤) واضح اللّون: يعني هذا الطريق، والمجرّة: الخطّ المستطيل في السّماء تراهُ ليلاً ويقال: إنّها أشراج السّماء، فجعل الطريق في وضوحه كالمجرّة، والأهابيّ: الغبار الواحد إهباء، والمور: التراب الدقيق الذي تجيء به الرّيح، وكلُّ شيء ذهب وجاء فهو مُور.

(١٥) وذئاباً تعوي: نصب ذئاباً على قوله: لا يعدم موراً ولا ذئاباً، والهام: ذكور البوم، وموفيات: من وافى المكان أي أتاه ويقال: أوفى على المكان: أي أشرف عليه.

(١٦) غير ذي صاحب: يقول: سرت في هذا الطريق وحيداً دون صاحب، وزجرت: من الزَّجر، وهو الصوت الشديد الذي يصاح به على الدّابة لتسرع، والحرّة: الناقة الكريمة، والرِّسلة: الناقة السريعة، وإنّما خصّ اليدين دون الرجلين لأنها إذا أسرعت نقلها فلا بدّ من إتباعها بالرجلين والسعور: السّريعة أيضاً، استعار لها السغور من تسعُّر النار.

(١٧) السَّير: المشي والرُّكوب والهواجر: سير الهاجرة وقت اشتداد الحرّ، والقطران: العرق، والرّب: الطلاء الخاثر أو دبس كلّ ثمره.

(١٨) يوم صومٍ من الظهيرة: يعني انتصاف النهار، يقال: صام النّهار: أي قام وانتصف، والعرب تقول: آتيتك في قيام الظهيرة وفي صوم النّهار وصيام النهار: أي في ركوده وأشدّ ما يكون من حرّه، والحرور: يكون بالليل ويكون بالنّهار، وهو اشتداد الحرّ، ويلوّح: يغيّر: يقال: لوّحته الشمس أي غيّرت لونه من شدّة الوهج، واليعفور: من الظباء الذي ليست بالخالص البياض، وفي عنقه قصر، ولونه على لون العفر أي التّراب.

(١٩) أشاء: أريد، وأبعث: أثير، ومنها أي من الناقة، ويروى: «أبعث منه» أي من المعبّد، والناشط: الثور يقطع من بلد إلى بلد، وقيل: سمّي الثور ناشطاً لنشاطه، والمذعور: الفزع، يقول: إنّها ناقة قويّة لا يضعفها سير الليل والنّهار.

ذا وُشومٍ كــأنّ جِلــدَ شواه في ديــابيــجَ أو كُسينَ نمورا[٢٠]
أَخرَجتــهُ مِن الليــالي رَجوسٌ ليلــةٌ هــاجَهــا السِّماكُ درورا[٢١]
غَسلتــه حــتى تخــالَ فريــداً وجُمانــاً عن مَتنِــهِ محــدورا[٢٢]
في أُصول الأَرطي ويُبـدي عُروقـاً ثئــداتٍ مثــلَ الاعِنَّــةِ خُورا[٢٣]
وأشجاتٍ حُمراً كأنّ بأظلاف يــديــهِ من مــائهنَّ عَبــيرا[٢٤]
كمطيـفِ الـدُّوَّارِ حتى إذا مـا ساطـعُ الفجرِ نبَّـه العُصفورا[٢٥]

---

(٢٠) الوشوم: سوادٌ في ذراعه، والشّوى: القوائم، والديابيج: جمع ديباج، وهو ثوب لحمته وسداه من الحرير، ونمور: ثياب من صوفٍ مسبّحة، أي فيها سوادٌ وبياض، أراد أنّ هذا الثور تلمع وشومه في قوائمه الأربع فشبّهها بالدّيباج أو بجلود النمور.

(٢١) أخرجته: أي ألجأته، والرجوس: ذات الصوت، يقال: رجس الرّعد يرجس، وهو شيء الشيء المختلط كالرّعد والجيش والسّيل وليلة: من صفة الرجوس نصبت على الحال، وهاجها السِّماك: مُطرت بنوئه، والسِّماك: من نجوم الصيف تكون له دفعة شديدة بعد دفعة مثلها، ودرور: دائمة المطر، وهو مأخوذ من استدرار الحلب.

(٢٢) غسلته: الهاء راجعة على الرّجوس أو على الليلة، والفريد: المتساقط من نظامه، والفريد والفرائد: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذّهب واحدته فريدة، والفريد أيضاً: الدرّ إذا نظم وفصل بغيره، أو هو الجوهرة النفيسة كأنّها مفردة في نوعها والفرّاد صانعها، والجمان: من الفضّة، شبّه تحدّر القطر عن بياض جلده وصفاء أديمه بالجمان أو الدرّ المنحدر عن سلكه.

(٢٣) الأرطي: شجر عروقه حمر، فلذلك شبّهها بالأعنّة، قال إبن الأعرابي: الأرطاة تنشق عروقها بنصفين فلذلك شبّه عروقها بالعنان، وثئدات: نديّات، والثأد: النّدى، والخور: الضعاف.

(٢٤) الواشحات: يعني العروق، جمع واشحة وهي المشتبكة، وقال: بأظلاف يديه ولم يقل بأظلاف رجليه لأنّه إنّما يحتفر بأظلاف يديه فينالها من حمرة العروق التي للأرطى، والعبير: الزعفران، شبّه ما على أظلافه من حمرة عروق الأرطى بالعبير، والضمير في مائهن يعود على العروق.

(٢٥) المطيف: من الطواف، والدّوّار: صنم كان يطاف به في الجاهلية ويدار حوله، أراد: كمطيف بالدّوّار، فلقد شبّه دوران هذا الثور بهذه الأرطاة بدوران الناس حول ذلك الصنم.

رابَـــهُ نبـــأةٌ وأضمرَ منهـــا   في الصِّماخينِ والفؤادِ ضمـــيرا(٢٦)
من خَفيّ الطِّمرينِ يَسعى بغضفٍ   لم يُؤَيِّـــــه بهنّ الا صفـــيرا(٢٧)
مُقيعـــاتٍ إذا عَلونَ يَفـــاعـــاً   زرُقـــاتٍ عيونُهـــا لتغـــيرا(٢٨)
كـالحـاتٍ معـاً عَوارضَ أشداقٍ   ترى في مشَقِّهـا تـأخـيرا(٢٩)
طـافيـاتٍ كـأنهنّ يعـاسيـبُ   عَشيٌّ بـــارينَ ريحـــاً دَبورا(٣٠)
مـا أَرى ذائـداً يزيـدُ عليـه   غـابَ عنـه أنصـارُه مَكثورا(٣١)
بـــأسيـــلٍ صَـــدقٍ يُثقِّفـــه   فيهنّ لا نـابيـاً ولا مـأطورا(٣٢)
فكـــأني كسوتُ ذلـــك رحـــلي   أو مُمَرَّ السراة جـأبـاً دريرا(٣٣)

---

(٢٦) رابه: الضمير يعود على الثور والمعنى أنه أحسَّ بصوت فأوقع في نفسه الريبة، والنبأة: الصوت الخفيّ، والصماخ: داخل سمّ الأذن ممّا يلي الرأس والحلق.

(٢٧) الطمران: مثنّى طمر، وهو الثوب الخلق البالي، وخفي الطمرين: يعني القانص، والغضف: الكلاب، والتأييه: الزّجر والدُّعاء، وأصله زجر الإبل، ثمَّ استعير لإغراء القناص الكلاب في الصيد، وقوله: إلاّ صفيرا: أي قد عكّمت فحدقت فهي تكتفي بالإشارة والصفير.

(٢٨) مقعيات: من الاقعاء وهو القعود على الذنب والانتصاب، واليفاع: المرتفع من الأرض، وزرقات عيونها: من الغضب، وتغير: تهجم وتشنّ الغارة.

(٢٩) الكالح: العابس الفاتح فاه، والعوارض: الرّباعيات والأنياب، يقول: هي واسعة الأشداق متمرّنة على الصيد ومستعدّة له.

(٣٠) طافيات: شديدة العدو والوثوب تبدو لخفتها وسرعتها وكأنّها تطفو على الأرض لرفعها قوائمها كما يطفو الشيء فوق الماء، واليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النّحل، والدّبور: الريح الغربية.

(٣١) الذّائد: المدافع، ومكثور: قد كوثر وقد غاب عنه أنصاره، ويروى: «ما أرى رائداً».

(٣٢) الأسيل: القرن، ويثقّفه فيهن: يقوّمه فيطعن في الكلاب، والنابي: أي لا ينبو عن الطّعن، والمأطور: المعطوف، يقول: تحمل الكلاب عليه فيذود عن نفسه بقرنٍ صلبٍ يطعن به الكلاب المهاجة فيصيبها.

(٣٣) ممرَّ السّراة: مدمج السّراة يعني عيراً، شبّه ناقته بالثور ثم قال: أو كسوته أي كسوت ممرّ السراة يعني حماراً وهو الجأب، والممرّ أيضاً: الشديد الفتل من الحبال، وسراته: ظهره، والجأب الغليظ والدّرير: السّريع في عدوه.

أو أَقَبَّا تَصيَّفَ البقلَ حتى طارَ عنه النَّسيلُ يَرعى غريرا[٣٤]
يرتعي بالقنانِ يَقْرو أريضاً فانتحى آنُناً جَدائدَ نورا[٣٥]
أَلصَقَ العذمَ والعذابَ بقبَّاء ترى في سَراتِها تحسيرا[٣٦]
سَمحةٍ سمحجِ القوائمِ حَقباءَ مِن الجونِ طُمِّرت تطميرا[٣٧]
فوقَ عُوجٍ مُلسِ القوائِمِ أُنعلنَ جلاميدَ أو حُذينَ نُسورا[٣٨]
دأب شهرينِ ثم نِصفاً دميكاً بأريكينِ يَكدُمانِ غميرا[٣٩]

---

(٣٤) الأقبّ: اللطيف البطن، وتصيّف البقل: رعاها صيفاً، والنّسيل والنّسال: واحد وهو الوبر الذي يطرحه، ويرعى غريراً: أي في مكانٍ لا يذعره فيه شيء، ويروى: «أخدريّاً تصيّف البقل» كما يروى أيضاً «ذا كدوم تصيّف البقل» والأخدري: منسوب إلى أخدر، ويقال: إن أخدر فحلٌ من الخيل أفلت في أوّل الجاهلية فضرب في الحمر الوحشية ونسله بين الرّمل وكاظمة، وذو كدوم: أراد أن الفحول عضضته وعضضها مما تصاوله ويصاولها عن أتنه.

(٣٥) القنان: جبلٌ لبني أسد بن خزيمة ولبْني تميم أيضاً، ويقرو: يتبع وانتحى: اعتمد، والجدائد: اللواتي لا لبن لهنّ، والنّور: النوافر ويروى:

ينتحي بالقنان يقرو رياضاً آلفاً آتُناً جدائد نورا

(٣٦) العذم: العضّ، والقبّاء: الضامر، والسّراة: الظّهر وأعلى كلّ شيء، والتحسير من الوبر: سقوطه من العضاض، وتحسَّر اللحم عن أعلاها: أي ذهب.

(٣٧) السمحة: المواتية السهلة، والسّمحج الطويلة والحقباء: التي في حقبها بياض، والأحقب: الذي في بطنه بياض، والحقب في النجائب: لطافة الحقوين وشدّة صفائها، والجون: التي ألوانها سود، والجون من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض معا، وطمّرت تطميرا: طوّلت وثبّتت قوائمها على وجه الأرض، يقال: مرقبة طمّرة: أي طويلة، وفرس طمّرة: أي وثابة.

(٣٨) العوج: يعني الأيدي والأرجل الشديدة، والملس: اللواتي لا كدوح فيهنّ ولا أثر، والجلاميد: الصخور الصلبة، والنسور: جمع نسر وهي لحمة كالنواة في باطن الحافر.

(٣٩) الدأب: الجدّ والاستمرار، ودأب شهرين: أي رعيه النبات لشهرين بجدٍّ واستمرار، والدّميك: التام، وأريكان: مثنّى أريك، وهو موضع، وقيل: أريك اسم جبل بالبادية، قال أبو عبيدة: أريك إلى جنب النقرة وهما أريكان أسود وأحمر، وهما=

فهي مَلساءُ كالعسيبِ وقد بان نُسيلٌ عن مَتنِها ليطيرا[٤٠]
قد نحاها بشَرِّه دونَ تِسعٍ كانَ ما رامَ عندَهنّ يسيرا[٤١]
كالقِسيِّ الاعطالِ أفردَ عنها آتُناً قُرَّحاً ووَحشاً ذُكورا[٤٢]
مُرتجاتٌ على دعاميصَ غَرقى شُمسٌ قد طوينَ عنه الحُجورا[٤٣]
ترَك الضربُ بالسنابكَ منهنَّ بضاحي جَبينهُ توقيرا[٤٤]

= جبلان، ويكدمان: من الكدم وهو عضّ النبات وقطعه لأكله، والغمير: قيل هو الذي ينبت بعد اليبس، وقيل: هو القتّ اليابس مع الرَّطبة، وقال الأصمعي: هو أن ييبس البقل ثم يصيبه المطر فينبت عنه بقلٌ أخضر، قال زهير:

«قد اخضرّ من لسّ الغمير جحافله»

(٤٠) فهي ملساء: أراد اللين وشدّة الانطواء، والعسيب: يعني عسيب النحل، وهو قضيب نزع عنه ورقه، وقوله: بان نسيلٌ: أي تهيّأ للسّقوط لما أكلت وسمنت والنسيل والنسال: الوبر والشعر المتساقط.

(٤١) نحاها: وجّهها وانحرف بها ورام: أراد واليسير: القليل: يقول: تلك التِّسع قد حملن فهو لا يقربهن فنجون من شرّه وغيرته، وكان ذلك يسيراً عندهنّ قبل أن يحملنّ.

(٤٢) القسيّ: جمع قوس، والأعطال: التي أوتار عليها، والقرّح: من القارح، مستعار وأصله في الإبل يقال: ناقة قارحٌ: إذا حملت، يقول: تلك التّسعُ الأتن قد حملن فهو لا يقربهن، ويروى: «قزّماً» بدلاً من«قرّحاً» والقزم: الصغار، ويقال: إنه إنّما قال: ذكوراً لأنّها تصاوله وتريد أن تفعل بالأتن كما يفعل، ويقال: إنه إذا ظفر بجحشٍ منها قرض أذنيه.

(٤٣) المرتجات: اللاّمحات اللائي اغلقن أرحامهن على أولادٍ مثل الدّعاميص، والدعاميص: جمع دعموص وهو دويبة تكون في الماء ثمَّ تنسلخ فتكون فراشة والشُمس: جمع شموس وهو الجموح والنافر، وإنّما جعلهنّ شُمُساً لأنهنّ لا يقررن له بحملهنّ، وقوله طوين الحجور: مثلٌ، أي لقحت فامتنعت عليه، وروى الأصمعي:

مرتجاتٌ على دعاميص عوناً شُمُساً قد لوين عنه حجور

والعون: أي لسن بأبكار ولا مسانّ.

(٤٤) السّنابك: جمع سنبك وهو مقدّم الحافر، وضاحي الجبين: ما ظهر منه وبرز، والتوقير: الآثار، والوقرة: الصدع في العظم، يقول: لّما حملن وامتنعن عليه صار إذا أراد واحدة منهنّ منعته من نفسها ونسفته بسنبكها.

عَلِقت مُخلِفاً جَنيناً وكانت مُنحت قبلَهُ الحيالَ نَزورا[٤٥]
مِثلَ دِرص اليربوعِ لم يَربُ عنه غَرقاً في صُوانِه مَغمورا[٤٦]
فإذا ما دنا لها مَنحتهُ مُضمَراً يَفرِص الصفيحَ ذكيرا[٤٧]
ذكرَ الوردِ فاستمرَّ اليهِ بعشيٍّ مُهجِّراً تهجيرا[٤٨]
جعلَ السعدَ والقنانَ يميناً والموراةَ شأمةً وحفيرا[٤٩]
عامِداً للقَنانِ ينضُو رِياضاً وطِراداً من الذِّنابِ ودُورا[٥٠]
ويَخافانِ عامِراً عامِر الخُضْـرِ وكان الذِّنابُ منه مَصيرا[٥١]

---

(٤٥) علقت مخلفاً: أي علقت جنيناً في حال إخلافها، والمخلف: التي لم تلقح ثم لقحت بعد، ومنحت: أعطيت، والحيال: الحائل وهي التي لم تحمل، والنّزور: القليلة الولد.

(٤٦) الدّرص: ولد الفأرة، واليربوع: نوعٌ من الفأر طويل الرّجلين قصير اليدين، ولم يربُ عنه: أي لم يزد عليه، والصّوان: الرَّحم، وروي «في صيانة» أي ما صانه، والمغمور: الذي غمره الماء الذي هو فيه، يريد أن رحمها اشتملت على ولدٍ كالدّرص.

(٤٧) دنا: اقترب، ومنحته: أعطته وهنا بمعنى نسفته ورفسته، والمضمر: يريد الحافر، ويروى «مدمجاً يقرض»، ويفرص الصفيح: أي يكسر الحجارة، والمفراص: آلة تقطع بها الحجارة والحديد والفضّة، والذّكير: الذّكر، أي ضربنه بحافر يشبه حافر الحمار الذّكر.

(٤٨) الورد: الماء الذي يورد، واستمرّ: سعى بجدٍّ إليه والتهجير: سير الهاجرة وقت اشتداد الحرّ، يقول: إنه ذكر الورد لمّا قلّ الحرّ عشيّاً واحتاج أن يرد الماء.

(٤٩) السّعد: ماءٌ على طريق المدينة، والقنان: جبلٌ لبني أسد، والمروراة: موضع كان فيه يوم المروراة ظفر فيه ذبيان ببني عامر، قال زهير:

تربّص فإنْ تُقو المروارة منهمُ وداراتها لا تقو منهم إذا نخل

وقوله شأمه: أي عن شماله، وحفير: موضع بين مكة والمدينة.

(٥٠) ينضو رياضاً: يجوزها، والطّراد: مياهٌ لم يدرَ واحدها، وروى الأصمعي «وصماداً» بدلاً من «ورياضاً» والصّماد: المكان الغليظ لا يبلغ أن يكون جبلاً، والذّناب: موضع، والدّور: من دارات الرّمل، وقيل الدّور: فجوات الرّمل.

(٥١) عامر: قانصٌ مشهور بالصيد، والخضر: بطنٌ من محارب، وقيل: إنه عامر الرّامي أخو الخضر الصحابي وفيه يقول الشّماخ:

«وحلأها عن ذي الأراكة عامرٌ أخو الخضر يرمي حيث تكوى النواحز»

والذّناب: موضع، والمصير: المكان الذي يأوي إليه.

راميـاً أخشَنَ المَنـاكِـبِ لا يُشْـ خِصُ قد هَرَّه الهوادي هَريرا(٥٢)
ثـاويـاً مـاثِـلاً يُقلِّـبُ زُرْقـاً رَمَّهـا القَيْنُ بـالعُيون حُشُورَا(٥٣)
شَرِقـــاتٍ بـــالسُّمّ من صُلَّـــبيٍّ وركُوضـــاً من السَّراءِ طحُورا(٥٤)
ذاتَ حِنْوٍ مَلْسَاءَ تسْمَـــعُ مِنهـــا تحتَ مـا تَنْبِضُ الشمالُ زَفِيرا(٥٥)
يُبْعَـــثُ العَزْفُ والتَّرَنُّمُ منهـــا ونَـذِيرٌ إلى الخَمِيسِ نَـذِيرا(٥٦)
لاصــقٌ يكــلأُ الشَّريعَــةَ لا يُغْـ ـفي فُوَاقـاً مُـدَمِّراً تَـدْمِـيرَا(٥٧)

* * *

---

(٥٢) لا يشخص: يقال: قد أشخص الرّامي السّهم إذا رمى فارتفع سهمه عن الهدف، والهوادي: أوائل الوحش، وهرّه: كرهه، يريد أن هذا الرّامي إذا رمى مضى السّهم قاصداً نحو الرّمية.

(٥٣) ثاوياً: مقيماً ينتظر مرور الصيد، والماثل: اللاطىء بالأرض يتربّص الفريسة، والزرق: النّصال أو السّهام، ورمّها: أصلحها وثقّفها، والقين: الحدّاد والحشر: الملصق القذذ وهو ريش السّهم، وقوله بالعيون: أن ينظروا إليها نصالاً زرقاً صافية قد جليت.

(٥٤) شرقات بالسّم: أي كثر السُّمُّ فيها، والمعنى: أنها نصال قاتلة، والصلّبيّ: حجارة المسنّ يسنُّ عليها، يقول: حدّدها على أحجار صلبة حتى كأنّ فيها سمّاً قاتلاً، والرّكوص، القوس، والسّراء: شجرٌ تتخذ منه القسيّ والطحور: التي تقذف السهم إلى مكانٍ بعيد.

(٥٥) الحنو: الجانب، وذات حنو: هي القوس، والملساء: التي لا أُبن فيها، والأبن: جمع أبنة وهي العقدة في العود أو في العصا، والأبنة: العيب، وتنبض: لعلّها تقبض، والشّمال: اليد الشّمال، والزفير: أنين القوس من موضع الكبد أي الوسط، ويروى ذات جرس» والجرس: الصوت، ويروى «كبداء» بدلاً من «ملساء» والكبداء: الضخمة الوسط.

(٥٦) العزف: صوت الوتر، والترنّم: صوته أيضاً، والنّذير: الصوت أو شيء يستدلّ به، وقال الأصمعي: إنما أراد منذراً إلى الصّيد، قال: والترنّم: أقل صوتاً من العزف وأخفض، وهو نذيرها.

(٥٧) اللاّصق: المتضابىء، يقال: ضبأ بالأرض: لطىء واختبأ، ويكلأ الشريعة: يراعيها ويترقبها، والشريعة: الماء، ولا يغفي: أي لا ينام، والفواق: ما بين الحلبتين يقال: لا تنتظر فلاناً أكثر من فواق ناقة، ومدمراً تدميراً: أي مهلكاً للوحش، وهذا من صفة الرّامي.

صَدْرٌ غير واغر

« من الطويل »

أَلِمَّا على رَبْعٍ بذَاتِ المزَاهِرِ مُقيمٍ كأخلاقِ العَبَاءةِ داثِرِ(١)
تُرَاوِحُهُ الأرواحُ قَدْ سَارَ أهْلُهُ وما هو عن حيٍّ القَنَانِ بسائرِ(٢)
ونَارٍ قُبَيْلَ الصُّبْحِ بادرْتُ قَدْحَها حَيا النارِ قدْ أوقَدْتُها لِمُسافِرِ(٣)
فَلَوَّحَ فيها زَادَهُ وَرَبأْتُهُ على مَرْقبٍ يعْلو الأحِزَّةَ قاهرِ(٤)
ولَمَّا أجنّ اللَّيلُ نقباً ولَمْ أَخَفْ على أثرٍ مِني ولا عَيْنَ ناظرِ(٥)

(١) ألمّا: من الإلمام وهو الاتيان، والرّبع: المكان والدّار، وذات المزاهر: موضع في ديار بني فقعس، والدّاثر: الدّار، شبه الرّبع في ذلك المكان بأخلاق العباءة.

(٢) تراوحه: تختلف عليه، والأرواح: الرياح، أي أن الرّياح هبّت عليه فمحته وعفّت آثاره، والقنان: جبل لبني أسد ورد ذكره كثيراً في شعر كعب، وقوله: وما هو عن حيّ القنان بسائر: أي أنّ الرّسم مقيم بهذا الموضع لم يَرِمْه.

(٣) بادر قدحها: أي أوقدها، وحيا النار: أي الإحياء النّار، يقول: أوقد النار قبيل الصبح أي في الليل يستدلّ الضّال بنورها فيأمن، والنار تحيا بالليل وينتفع بضوئها وترى على البعد، وقال بعضهم: إنّما أوقدها في آخر الليل لئلا يراه من يأتي من الخراب ليلاً، فيراها فيقصده ويتنوّر ناره، وقيل: المسافر الذي ذكره هو صاحبه، وهما شريكان، اتخذ أحدهما ناراً لصاحبه فاختبز فيها ما يأكلانه، وصعد الآخر يربأ له لئلا يجيئه شيءٌ يريبه.

(٤) لوّح: أي جعل في النار ما أراد من خبز ولحم، وقيل: لوّح بمعنى شوى شواءً لم ينضجه، وربأته: رقبت له، والمرقب: المكان المشرف، والأحزّة: جمع حزيز، وهي أماكن غلاظ، وقاهر: عالٍ مشرف.

(٥) أجنّ الليل: ستر وأظلم، والنقب: الطريق في الجبل، وعلى أثرٍ مني: يريد أن لا أحد يَقْفُ أثره ويتبعه.

أخذتُ سلاحي وآنحدرتُ الى آمرئٍ قليلٍ أذاه صَدْرُهُ غيرُ واغرِ[٦]
فطِرْتُ بِرَحْلي وآستَبَدَّ بِمثْلِهِ على ذاتِ لَوْثٍ لَوْثٍ كالبَلِيَّةِ ضامِرِ[٧]
تُعَادي مَشَكَّ الرَّحلِ عنْها وتَتَّقي بِمثْلِ صَفيحِ الجدْوَلِ المتَظاهرِ[٨]
فَأصبَحْ مُمْسانا كأنَّ جِبالَهُ مِنَ البُعْدِ أعنَاقُ النِّساءِ الحَواسِرِ[٩]

★ ★ ★

---

(٦) انحدرت: نزلت عن المرقبة، والواغر: الحاقد، يقول: لما أجنّ اللّيل نزل من مرقبته إلى صاحبه حاملاً سلاحه.

(٧) طرت برحلي: أي ركب فوق رحل راحلته وأسرع، واستبدّ بمثله: أي فعل صاحبي ما فعلت، وذات لوث: أي على ناقة ضامرة كالبليّة في ضمرها، ويقال: هذه الناقة ذات لوث: إذا كانت شديدة، والبليّة: الناقة التي تعقل على قبر صاحبها ولا تعلف ولا تسقى حتى تموت.

(٨) تعادي: أي تجافي، يقول: تتّقي الزمام برأسها وهو صلبٌ مثلُ الصفيح، ومشكّ الرحل: ملتقى الحنوين على الظهر، وشكُّ الرحل بعضه إلى بعض، ومتظاهر: ظهر بعضه على بعض، والجدول: ما بين الحوض إلى الركيّة، وقال آخر: إنما أراد كأن سنامها صفيح جدول يميل بعضه فوق بعض، وقال آخر: مشكُّ الرحل: ما شُكَّ من خشبة بعضه ببعض، وقال آخر أيضاً: وتتّقي بمثل صفيح، يريد معنق مثل الصفيح وهي حجارة طوال يرصف بعضها إلى البعض ويُجرى الماء عليها.

(٩) النّساء الحواسر: اللائي قد ألقين خُمُرَهُنّ، يقول: خلّفنا الموضع الذي كنّا نكتمن فيه وجاوزناه حتى صرنا لا نرى منه الأشخاص الضعيفة.

المرء وطول الأمل

« من البسيط »

لو كنتُ أعجَبُ مِن شيءٍ لأعجبَني سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ[1]
يسعى الفتى لأُمورٍ ليسَ مُدركُها والنفسُ واحــدةٌ والهمُّ مُنتشرٌ[2]
والمرءُ مـا عـاشَ ممـدودٌ لـه أمـلٌ لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثرُ[3]

قاصمة الظهر[4]

« من الطويل »

كـأنّ امرأً لم يلــق عيشاً بنعمــةٍ إذا نزلت بالمرء قاصمة الظهر[5]

(١) سعي الفتى: عمله وجدّه لاكتساب العيش، ومخبوء عنه القدر: أي خافٍ عنه، يقول: إنه يعجب من امرئٍ يسعى في هذه الدنيا بكلّ قواه وجهده وكأنه يحسب أنها خالدة لا شيء يأخذها منها، وينسى ما تخبّىء له الأقدار من نهاية.

(٢) ليس يدركها: أي لا ينالها، يقول: إن المرء يسعى لكثير من الأمور وهو لا يدركها جميعاً لأنّه واحدٌ ومشاغل الدنيا كثيرة ومتشعبة والعمر أقصر من أن يحيط بها.

(٣) ممدودٌ له أمل: أي أن المرء يكبر وتكبر معه الآمال وتطول، وفي الحديث: يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان: الحرص، وطول الأمل، وقوله: لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر: أى أنّ أمله مبسوط له، وإنّما يأتيه ما قدّر له ومن ورائه الموت.

(٤) ذكر الخليل بن أحمد هذا البيت في كتابه العين شاهداً ونسبه إلى كعب بن زهير.

(٥) قاصمة الظهر: وهي المصيبة المهلكة، يقول: المصائب الشديدة تنسي الانسان كلّ عيش رغيد ومنعّم.

خير الناس مفتخراً(١)

« من البسيط »

هل حبلُ رملة قبل البين مبتورُ | أم أنت بِالحلم بعد الجهل معذورُ(٢)
ما يجمع الشوقُ إن دارٌ بنا شحطت | ومثلُها في تداني الدار مهجور(٣)
نشفى بها وهيَ داءٌ لو تُصاقُبنا | كما اشتفى بعياد الخمر مخمور(٤)
ما روضةٌ من رياضِ الحزن باكرها | بالنَّبتِ مُختلفِ الألوان ممطور(٥)
يوماً بأطيبَ منها نشر رائحةٍ | بعد المنام إذا حُبَّ المعاطير (٦)

---

(١) قال كعب هذه القصيدة في مدح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، وكانت بنو أميّة تنهى عن روايتها وإضافتها إلى شعره.

(٢) الحبل: أي حبل الودّ والوصال، ورملة اسم علم، والبين: الرحيل، والمبتور: المنقطع، والحلم: العقل، والمعذور: من العذر.

(٣) شحطت: نشأت وبعدت، وتداني الدور: تقاربها، يقول: الديار النائية والديار القريبة المهجورة سيّان فإنّها لن تستطيع أن تجمع بين المشتاقين والمحبّين.

(٤) نشفى بها: أي بالدّور، وهي داء: أي فيها الدّاء، وتصاقبنا: تقاربنا، واشتفى: نال الشفاء، وعياد الخمر: الرجوع إليها، يقول: إنّ هذه الدّور شفاء لما في نفوسنا من العشق والشوق إلاّ أننا كلّما تداوينا بها ازداد عشقنا وحبّنا لأنها تفتح لنا أبواب الذّكريات والأشواق.

(٥) الرّوضة: الأرض المخضرَّة بأنواع النبات، والحزن: اسم موضع، وباكرها: أي أتاها بكرة وأمطرها المطر.

(٦) النشر: الرائحة الطيّبة، والمعاطير: جمع معطار، وهو الذي من عادته أن يتعهّد نفسه بالطيب ويكثر منه.

ما أنس لا أنسها والدمعُ منسربٌ كأنه لؤلؤٌ في الخد محدور[٧]
لمّا رأيتهمُ زُمّتْ جِمالُهمُ صدّقتُ ما زعموا والبينُ محذور[٨]
يحدو بهنَّ أخو قاذورةٍ حذرٌ كأنَّه بجميع الناس موتور[٩]
كأن أظعانهم تُحدى مُقفّيةً نخلٌ بعينينِ ملتفٌّ مواقير[١٠]
غُلْبُ الرقابِ سقاها جدولٌ سربٌ أو مشعبٌ من أتيٍّ البحر مفجور[١١]
هل تُبلغنّي عليّ الخير ذِعلِبةٌ حرفٌ تزلَّلَ عن أصلابها الكُور[١٢]
من خَلْفِها قُلُصٌ تجري أزمَّتُها قد مسّهنَّ مع الإدلاج تهجير[١٣]
يخبطن بالقوم أنضاء السريح وقد لاذتْ من الشمس بالظلِّ اليعافير[١٤]

---

(٧) ما: شرطيّة، والمنسرب: السائل على الخدّ، والمحدور: المتساقط في انحدار.

(٨) زمّت جمالهم: أي جعل لها أزمّة وأعدّت للسفر والرّحيل، والبين: الفراق.

(٩) يحدو: من الحدو، وهو غناء سائق الجمال، والقاذورة: الناقة التي تبرُك ناحيةً من الإبل، وتستبعِد وتنافرها عند الحلب والموتور: من الوتر، وهو الظلم في العداوة والانتقام، والموتور: من قتل له قريب فلم يطالب بدمه.

(١٠) الأظعان: النوق التي تحمل الظعائن من النّساء، وتحدى: تساق، ومقفّية: مبتعدة في تتابع، وبعينين: بقرية من قرى البحرين فيها نخلٌ كثير، والمواقير: الكثيرة الحمل، وقال الجوهري: نخلةٌ موقر على غير القياس لأنّ الفعل ليس للنخلة وإنّما قيل موقِر على قياس قولك امرأة حامل لأنّ حمل الشجر مشبهٌ حمل النّساء.

(١١) غلبُ الرقاب: غلاظها، والسّرب: الذي تسرّب ماؤه وسال، والمشعب: الطريق الذي تساق الماء به، والأتيّ: السّيل والماء المنساب بغزارة يساق إلى الأرض فتسقى به.

(١٢) عليّ الخير: يعني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، والذعلبة: الناقة السّريعة، والحرف: الناقة الضامرة الصلبة، وتزلّلَ: تنحرف وتزيح، والأصلاب: عظام الظهر، والكور: الرّحل وهو ما يجعل على ظهر الجمل كالسّرج.

(١٣) القلُص: جمع قلوص، وهي الناقة الفتيّة، وأزمتها: ما تقاد به من الزّمام، وتجري أزمتها: أي تترك ولا تشدّ فتسير، ومسّهنَّ: أصابهن ولحق بهن، والإدلاج: سير أوّل الليل أو سير آخر النّهار، والتهجير: سير الهاجرة أي وقت اشتداد الحرّ.

(١٤) يخبطن بالقوم: يسرن على غير هدىً وقصد، والسّريح: السير الذي تشدّ به الخزمة فوق رسغ البعير، وأنضاء السَّريح: أي بقاياه الخلقة البالية يقول: إنّ إدراجها وتهجيرها قد أنضى هذا السَّير وأخلقه، ولاذت: احتمت، واليعافير: جمع يعفور، وهو الظبي الذي لونه كلون العفر وهو التراب.

حتى إذا انتصب الحرباءُ وانتقلت   وحان اذ هجَّروا بالدوِّ تغوير(١٥)
قالوا تنحَّوا فمسُّوا الأرض فاحتولوا   ظِلاًّ بمنخرقٍ تهفو بـه المُور(١٦)
ظلُّوا كـأنَّ عليهم طـائراً عَلقـاً   يهفو اذا انسفرت عنه الأَعاصير(١٧)
لوجهةِ الريح منه جانبٌ سلِبٌ   وجـانـبٌ بـأكـفِّ القوم مضبور(١٨)
حتى اذا أبردوا قاموا الى قُلصٍ   كـأنهنَّ قِسيُّ الشّوحـطِ الزور(١٩)
عواسلٌ كرعيـلِ الرُّبـد أفزعهـا   بالسيِّ من قانصٍ شلٌّ وتنفير(٢٠)
حتى سقى الليل سقْي الجنِّ فانغمست   في جوزه، إذ دجا، الآكامُ والقُور(٢١)

---

(١٥) انتصب: عرّض نفسه للشمس، والحرباء: دويبة نحو العظاءة أو أكبر، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيف دارت ويتلوّن بحرّها، وانتقلت: لعلّ الضمير في انتقلت يعود على الشمس، وهجّروا: ساروا وقت الهاجرة، والدوّ: المفازة، والتغوير: يريد هنا القيلولة من حرّ الهاجرة.

(١٦) تنحّوا: أي أناخوا رحالهم ناحيةً فيها الفيء والظلّ وتجنّبوا حرّ الهاجرة، واحتولوا: احتوشوا، والمنخرق: مهبّ الرّياح، والمور: التراب تثيره الريح: أي أنّهم قصدوا مكاناً ظليلاً تتسرب إليه الرياح.

(١٧) العلق من الطير: الذي وقع في الحبالة والأشراك، ويهفو: يطير، وانسفرت: انكشفت، والأعاصير: الرّياح التي تعصف.

(١٨) المضبور: المقيّد والمشدود، لعلّه يريد أنّ الرّيح لشدّتها قيّدت جانحيه ومنعته من الطيران فهو في جانبٍ منه أسيرٌ للتريح وفي الجانب الآخر أسيرٌ للقيد والأشراك.

(١٩) ابردوا: أي زال عنهم حرّ الهاجرة مساءً، والقلص: النوق الفتيّة، والقسيّ: جمع قوس، والشوحط: ضرب من النبع تتخذ منه القسيّ، وهو ينبت في السهل، والزّور: المنعطفة المائلة.

(٢٠) عواسلٌ: رفعت على القطع، ويجوز جرّها على أنّها صفة للقُلُص، والعواسل: التي في سيرها اضطراب واهتزاز لخفتها وسرعتها، والرّعيل: الجماعة، والرُّبد: النعام، وهي ما كان لونها كلون الرّماد، يقال: ظليمٌ أربد وأرمد، ونعامةٌ ربداء ورمداء، والسِّيّ: ما استوى من الأرض، أو هو موضع بعينه، والشلُّ: الطرد، والتنفير: النفور عن المكان بذعر.

(٢١) سقى الليل: أي اصطبغ بالظّلام، يقال سقى الثوب أو نحوه أي أشبعه صبغاً، واصطباغ الليل: اشتداد ظلامه، وانغمست: أي انحجبت الأشياء عن الرؤيا بسبب =

غطّى النّشاز مع الآكام فاشتبها　　كِلاهما في سوادِ الليـل مغمور[٢٢]

* * *

إنَّ عليَّـــا لميمونٌ نقيبتُـــه　　بالصالحات من الأفعال مشهور[٢٣]
صِهرُ النبيِّ وخير الناس مُفتخراً　　فكلُّ من رامه بالفخر مفخور[٢٤]
صـــلّى الطهور مـــع الأُميِّ أوَّلهمْ　　قبل المعادِ وربُّ الناس مكفور[٢٥]
مُقـــاومٌ لطغـــاةِ الشركِ يضربُهم　　حتى استقاموا ودينُ الله منصور[٢٦]
بالعدلِ قمت أميناً حين خالفهُ　　أهلُ الهوى وذوو الأهواء والزور[٢٧]
يا خيرَ مَنْ حملتْ نعلاً له قدمٌ　　بعد النبيِّ لديه البغيُ مهجور[٢٨]

= الظلام، وجوز الليل معظمه ووسطه، ودجا: أظلم، والآكام: جمع أكَم وأُكُم: جمع أكمة، وهي ما ارتفع من الأرض، والقور: جمع قارة وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال.

(٢٢) النّشاز: ما نشز عن الأرض وارتفع، والمغمور: المستور، يريد أنّ الليل غطى بظلامه الأشياء وغمرها فحجبها عن الأعين.

(٢٣) الميمون: المبارك، من اليمن، والنقيبة: النفس والطبيعة والخليقة والفعل، يقال: رجل ميمون النقيبة، إذا كان مبارك النفس مظفّراً بما يحاول، يقول إنّ عليّاً عليه السلام ميمون النقيبة والفعل.

(٢٤) رامه: قصده وطلبه، ومفخور: أي أنّ عليّاً سيسبقه بالفخر ويعلو عليه، يقول: إنّ عليّاً صهر النبيّ ﷺ وخير الناس قاطبة فلا يمكن لأحدٍ أن يتقدّم عليه في موضع فيه تفاخر.

(٢٥) الطّهور: يعني عليّاً، والأمّيّ يعني محمّداً عليه الصلاة والسّلام، والمكفور: المستور، يقول: إن عليّاً عليه السّلام أوّل من صلّى مع النبيّ الأميّ عليه الصلاة والسّلام وعرف الله قبل أن يعرفه أحد، فهو أسبق الناس اسلاماً وإيماناً.

(٢٦) الطغاة: جمع طاغية وهو الكثير الظلم والعناد، والشّرك: أي الاشراك بالله وعدم التوحيد، واستقاموا: اهتدوا وسلكوا الطريق القديم وهو الاسلام.

(٢٧) أهل الهوى: أي أهل الضّلال والكفر، والزُّور: الكذب والبهتان، وفي البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرّويّ عمّا قبله وبعده في سياق القصيدة.

(٢٨) البغي: الظلم والعدوان، ومهجور: مفارق، يقول: إنّ عليّاً خير الناس بعد الرسول عليه الصلاة والسّلام طريقه طريق الحق والعدل والايمان.

أعطاكَ ربُّكَ فضلاً لا زوالَ لـه   من أين أنّى لـه الأيام تغييرُ[٢٩]

لا تفش سرّك

« من البسيط »

لا تُفْشِ سِرَّكَ إلا عنـد ذي ثِقةٍ   أوْ لا ،فأفضَلُ مااستَودعتَ أسرارا[٣٠]
صَدراً رَحيباً وقلباً واسعاً صَمِتاً   لم تَخْش منه لما استودعتَ إظهارا[٣١]

★ ★ ★

---

(٢٩) لا زوال له: أي لا نهاية له فهو خالدٌ مرَّ الأيام والدّهور ولا تستطيع الأيّام أن تغيّره وأنّى باستطاعتها ذلك، لأن الفضل كالشمس لا يخفي نورها شيء.

(٣٠) أفشى السرّ: أذاعه وأعلمه، وذو الثقة: ذو العقل والأمانة وحفظ الأسرار، واستودعت: استكتمت واستأمنت.

(٣١) نصب صدراً وما بعدها، وحقّها أن ترفع على أنّها خبر لأفضل، ولعلّه نصبها على تقدير قوله: لا تفش سرَّكَ إلاّ صدراً رحيباً وقلباً واسعاً، والإظهار: الإعلان للأسرار.

تمارى بها

« من الطويل »

تمارى بها رأْدَ الضُّحى ثم زدَّها   الى حُرَّتيهِ حافظُ السَّمْعِ مُقْفرُ[1]

★ ★ ★

ليلة المشتاق

« من الطويل »

وليلةِ مُشتاقٍ كأنّ نُجومَها   تَفَرَّقنَ عنها في طيالسةٍ خُضرِ[2]

★ ★ ★

---

(١) تمارى بها: أي شكَّ فيها، ورأد الضّحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط النور في أول النّهار، وإلى حرّتيه: أي إلى أذنيه، يقال: حفظ الله كريمتيك وحرّتيك، والكريمتان: العينان، وحافظ السّمع: أي الذي يعي سمعه كلّ مسموع، والمقفر: الذي صار إلى القفر، يريد أنه يعي ما يسمع ولكنّه لا يذيعه.

(٢) المشتاق: الكثير الشوق، وتفرّقن: توزّعن وتبدّدن، والطيالسة: جمع طيلسان، وهو كساء أخضر لا تفصيل له ولا خياطة، يلبسه خواص العلماء والمشايخ.

سأدعوهم إلى البرِّ والتُّقى

« من الطويل »

رحَلـــتُ إلى قومي لأَدعو جُلَّهم ... الى أمرِ حزمٍ أحكمته الجوامعُ[1]
ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا ... بخيفِ مِنىً والله راءٍ وسامِعُ[2]
وتوَصـــلَ أرحـــامٌ ويُفرجَ مُغرمٌ ... وترجعَ بالوُدِّ القديمِ الرواجعُ[3]
فأبلِغْ بها أَفناءَ عُثمانَ كلها ... وأوساً فبلِّغها الذي أنا صانعُ[4]
سأدعوهُم جُهدي الى البرِّ والتقى ... وأمر العُلا ما شايَعتَني الأصابعُ[5]

---

(١) جلّهم: معظمهم، أو سادتهم وعظماءهم، وأحكمته: جعلته أمراً محكم الضبط والاتقان، والجوامع: جمع جامعة وهي قيد أو طوق أو غيره يشدّ اليدين إلى العنق، والجوامع هنا: بمعنى الأمور، والمعنى أن الذي أراد أن يدعو إليه هو أمرٌ محكم لا يأتيه الباطل.

(٢) تعاقدوا: اتفقوا وجعلوا بينهم ميثاقاً أو عهداً، والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل، ومنه سمّي مسجد الخيف من منىً، ومنىً: اسم موضع، وهو في درج الوادي الذي ينزله الحاجُّ ويرمي فيه الجمار من الحرم الشريف، سمّي بذلك لِما يُمنى به من الدماء أي يراق راجع معجم البلدان لياقوت الحموي وفيه أقوال عدّة.

(٣) المغرم: المثقل بالدين، والرّواجع: المطيُّ من الإبل، أو ما يردُّ إلى الودّ، والمعنى أنه رحل إلى قومه ليدعوهم إلى ما فيه وصل الأرحام وتفريج المغارم وإعادة ما انقطع من حبال المودّة والقربى.

(٤) أفناء عثمان: أي جمعها وأخلاطها وبطونها، وعثمان وأوس: هما ولدا عمرو بن إدّ بن طابخة، وأمُّها مزينة بنت كلب بن وبرة، فغلبت عليهم مزينة، والشرف والبأس في عثمان.

(٥) البرّ: الخير والمعروف والاحسان، وشايعته: أطاعته وتبعته.

فكونوا جميعاً ما استطعتُم فإنه سيلبَسُكم ثوبٌ من الله واسعُ[٦]
وقومُوا فآسوا قومكم فأجمعوهُمُ وكونوا يداً تَبني العُلا وتُدافِعُ[٧]
فإن أنتمُ لم تفعلوا ما أمرتُكُم فأوفوا بها، إن العُهودَ ودائعُ[٨]
لشتَّانَ مَن يدعو فيوفي بعهدِه ومن هو للعهد المؤكدِّ خالعُ[٩]
اليكَ أبا نصرٍ أَجازتْ نصيحتي تُبَلِّغها عَنيِّ المَطيُّ الخواضِعُ[١٠]
فأوفِ بما عاهدتَ بالخيفِ من منىً أبا النصرِ إذ سُدَّت عليكَ المطالعُ[١١]
فنحنُ بنو الاشياخِ قد تعلمونه نُذبِّبُ عن أَحسابنا ونُدافِعُ[١٢]
ونحبُسُ بالثغرِ المخوفِ محلُّه ليُكشَفَ كربٌ او ليطعَمَ جائعُ[١٣]

---

(٦) يلبسكم: أي يشملكم، وثوب الله: أي رحمته.
(٧) آسوا قومكم: أي أصلحوا بينهم، وكونوا يداً: دعوة إلى الوحدة والتماسك.
(٨) أوفوابها: دعوة إلى الوفاء بالعهود، ويروى: «فأوفوا بعهدٍ والعهود ودائع».
(٩) شتّان: إسم فعل بمعنى «بَعُد» نحو شتان ما بينهما: أي عظم الفرق بينهما، والعهد المؤكدّ: العهد الموثّق، والخالع: الناكث.
(١٠) أجاز النصيحة: أنفذها وأرسلها، والمطيُّ: ما يمتطى من الإبل وغيرها والخواضع: المطيعة.
(١١) سُدَّت عليك المطالع: أي عميت عليك الأمور وخفي وجهها الذي يؤتى منه.
(١٢) نذبّب: من ذبَّ يذبّ: أي يحمي ويدافع، والأحساب: الشّرف الثابت في الآباء والأجداد.
(١٣) ونحبُسُ: نرابط، والثغر: الفرجة في الجبل أو غيره، والمرابطة عادة تكون في الثغور لمنع الأعداء من اجتيازها، والكرب: البلاء يقول: إنّه من قوم يتحلّون بالشجاعة والكرم.

لولا رحمة الله

« من الطويل »

لعَمرُكَ لولا رحمةُ اللهِ إنني لأمطوْ بجدٍّ ما يُريدُ لِيرفَعا[١]
فلو كنتُ حوتاً ركّضَ الماءُ فوقه ولو كنتُ يربوعاً سَرى ثم قصَّعا[٢]
إذا ما نتجنا أربعاً عامَ كُفأةٍ بَغاها خناسِيرٌ فأهلَكَ أَربعا[٣]
إذا قُلتُ إني في بلادِ مَضلَّةٍ أبى أنَّ مُمسانا ومُصبَحنا معا[٤]

---

(١) لعمرك: تستعمل في القسم تقول: لعمري: أي لديني، وأمطو: آخذ وأمد، والجدّ: الحظّ، وإنّما يشكو هنا حظه.

(٢) ركّض: يقال: ارتكض الماء في البئر إذا اضطرب، ولعلّه يريد «ركّد» أي سكنت الماء وتوقفت عن الحركة، واليربوع: حيوان قاضم يشبه الفأر قصير اليدين طويل الرجلين والذّنب، وقصّع: أي دخل القاصعاء وهو أحد حجرة اليربوع.

(٣) الكفأة: نتاج عام واحدٍ، وبغاها: قصدها معتدياً وظالماً، والخناسير: الدواهي، يقول: انّه من شؤم جدّه إذا نتج أربع نوقٍ أتت الدّواهي فأهلكتهن فلم يبق له شيء.

(٤) المضلّة: التي يضلّ الناس فيها، وبلادٌ مضلّة: أي لا يهتدى لها، يقول: إنّي إذا ظننت أنّي قد تخلصت من جدّي المشؤوم في بلادٍ لا يهتدى لها كان معي صباحاً ومساءً ولم يفارقني.

تصفّقها هوج الرّياح[1]

« من الطويل »

وبيضٍ من النّسجِ القديم كأنَّها نِهاءُ بقاعٍ ماؤها مُترايعُ[2]
تُصَفِّقُها هُوجُ الرّياحِ اذا صَفَتْ وتَعْقُبُها الأَمطار فالماءُ راجعُ[3]

★ ★ ★

(١) هذان البيتان في وصف الدّرع وقد قال: أبو عبيدة: إنَّها أحسن ما قيل فيها.
(٢) البيض: يقصد الدروع، والنسج القديم: أي الصناعة القديمة، والعرب تفتخر بقدم الدرع فتذكر أن أفضله ما كان سابغاً من نسج داود عليه السّلام، ونهاء: جمع نهي بفتح أوّله وكسره، وهو الغدير حيث يتحيّر فيه السّيل فيوسع، ومترايع: متردّد.
(٣) تصفّقها: يقال: صفقت الرّيح الماء أي ضربته فصفّقته، والرّياح الهوج: الشديدة العصف، وتعقبها: تتلوها، يقول: إن الرّياح بعصفها تصفي الماء ولكنها تحمل معها المطر الذي يضيف إلى الماء ماءً جديداً.

بان الشباب

« من البسيط »

بان الشبابُ وأمسى الشيبُ قد أزِفاً ... ولا أرى لشبابٍ ذاهبٍ خلفا[١]
عاد السوادُ بياضاً في مفارقهِ ... لا مرحباً هابذا اللونِ الذي رَدِفا[٢]
في كلِّ يوم أرى منه مُبيِّنةً ... تكاد تُسقِطُ مني مُنَّةً أَسفا[٣]
ليت الشبابَ حليفٌ لا يُزايِلُنا ... بل ليْتَه ارتَدَّ منه بعضُ ما سلَفا[٤]
ما شرُّها بعد ما ابيضَّت مسائحُها ... لا الودَّ أعرفُه منها ولا اللَّطَفا[٥]

---

(١) بان الشّباب: ذهب وابتعد، وأزف الشيب: دنا واقترب والخلف: البدل والعوض.

(٢) أراد: لا مرحباً بهذا اللون، ففرّق بين « ها » و« ذا » بالاسم كقولك هاأنذا، والهاء للتنبيه، وردفاً: يقال: جعله ردفاً: أي جاء بعد ولم يكن، وردف الشيب الشباب: تبعه.

(٣) المبيِّنة: الدليل الظاهر، والمنّة: القوّة، والأسف: الحزن، يقول: في كل يومٍ أرى للشيب دلائل واضحة تشير إلى ذهاب الشباب فأفتقد قواي أسفاً على فراقه.

(٤) لا يزايلنا: لا يفارقنا ويبتعد عنا، وسلف: مضى، وكلّ قديم فقد سلف.

(٥) ما شرُّها: ما دهاها، أو ما بقي فيها من شرّ، وهي للاستفهام والمسائح: ما يمرُّ الماسح يده عليه من الرأس، قال الأصمعي: المسائح: ما نبت على أعراض الرأس، وقيل أيضاً: المسائح: ما ارتفع عن أعلى الأذنين إلى الفودين، ويقال: المسائح: الذوائب، والمعنى أنه لا يدري ما أصاب تلك المرأة من شرّ حتى لا تقابله بالودّ واللطف وهي ترى أنّ شبابها بدت تباشير زواله.

لو أنها آذنت بكراً لقلتُ لها | يا هيدَ مالكِ أَو لو آذَنت نَصَفا[٦]
لولا بَنوُها وقولُ الناس ما عُطِفت | على العتاب وشرُّ الودّ ما عُطفا[٧]
فلن أزالَ وان جاملْتُ مُضْطغناً | في غيرِ نأرةٍ ضبّاً لها شَنَفا[٨]
ولاحِبٍ كحصير الراملاتِ ترىَ | من المطيِّ على حافاتهِ جِيَفا[٩]
والمرذياتِ عليها الطير تنقُرها | إما لَهِيداً وإما زاحفاً نَطِفا[١٠]
قد ترك العاملاتُ الراسماتُ به | من الأَحزّة في حافاته خنُفا[١١]

---

(٦) آذنت: أعلمت، والبكر: الشابة العذراء، وقوله: يا هيد: بمنزلة ما شأنك وما بالك، يقال: ضربته فما قال لي يا هيد ما لك أي لم يعبّر ولم يقل ما شأنك، وآذنت نصفا: أعلمت وهي بين الشباب والشيب في المرحلة الوسط، يقول: إنها لو أعلمتنا بنشوزها عنا وهي بكر أو في منتصف العمر لزجرتها ولكنّها نشزت بعد أن حلّ بها الهرم فإنّي لا أدري لذلك النشوز سبباً وهي على تلك الحال.

(٧) عطفت على العتاب: أي استميلت بالمعاتبة، يقول: لولا بنيَّ منها وعذل الناس لي على مفارقتها ما عطفت عليها ولا عاتبتها ولكان فراقها هيّنا عليَّ.

(٨) جاملت: من المجاملة وهي المعاملة بالجميل والاحسان دون إخلاص الودّ والإخاء، والمضطغن: الحاقد، والنائرة: النافرة، والضبّ: الحقد، وشنف: أبغض، يقول: إن اضطغانه عليها في غير نائرة ولا عداوة بل هو اضطغان عتبٍ وملامة.

(٩) اللاحب: الطريق البيّن الموطوء قد لحبته السابلة، شبّهه بالحصير المرمل لأنّ به أثر الوطء، والمرمل: المنسوج، والراملات: الناسجات للحصر من لحاء الجريد، والمطيّ: الإبل، وما يمتطى، وحافاته: جنباته والجيف: الإبل النافقة وغيرها من الحيوانات، والمعنى أنّ ذلك الطريق قد نفقت على جنباته المطيّ لقلّة رعيه ومائه وطوله.

(١٠) المرذيات: النوق التي أهزلها السّفر وأتعبها من يمتطيها، وتنقرها: تنال منها بالنقر، واللهيد: التي قد لهدها الحمل في جنبها فنقبت عنه وثقل عليها فأصابها فسخ في لحمها، والزّاحف: المعيي الذي لا يقدر على المشي، والنطف: البعير إذا هجم الدّبر على جوفه وقيل: على كاهله، والدِّبر: جماعة النحل والزنابير.

(١١) العاملات: النوق الدّائبات في السير، والرّاسمات: اللواتي يرسمن في سيرهن فيتركن في الأرض أثر وقع مناسمهن، والأجزّة: ما اشتدَّ من الأرض وغلظ، والخُنُف: جمع خنيف وهو الثوب الأبيض، شبّه الطرق بالخنف في وضوحها وبيان معالمها، وروي: «الناقلات الراسمات».

يهدي الضَّلولَ ذَلولٍ غير مُعترفٍ إذا تكـاءدَه دَوِّيُّـهُ عَسَفـا[١٢]
سمحٌ دريرٌ اذا ما صُوَّةٌ عرضتْ له قريباً لسهلٍ مال فانحرفا[١٣]
يجتاز فيه القطا الكدْريُّ ضاحية حتى يؤوبَ سِمالاً قد خَلَتْ خُلُفا[١٤]
يسقينَ طلْساً خفيـاتٍ تَراطنهـا كما تراطنُ عُجم تقرأ الصُّحُفـا[١٥]
جوانـحٌ كـالأفـاني في أفـاحِصها ينظرْن خَلفَ رَوايا تستقي نُطَفا[١٦]
حُمرٌ حواصِلُها كالمغدِ قد كُسِيتْ فوقَ الحواجبِ مما سَبَّدت شَعَفا[١٧]
يومـاً قطعـتُ وموماةٍ سَريَـتُ إذا ما ضاربُ الدُّفِّ مِن جِنّانِها عزفا[١٨]

(١٢) يهدي الضَّلول: أي أنّ الطريق واضحٌ يهتدي به الضّال، والذّلول: المعبّد لكثرة السَّير عليه، والمعترف: الذي يكره كلّ شيء يعني الطريق وتكاءده: شقّ وصعب عليه، والدَّوّيّ من الأرض: الصحراء الواسعة والعسف: السّير على غير هدى، يقول: إنّ ذلك الطريق واضح المعالم لا يضلّ به السفر كغيره من طرق الصحراء.

(١٣) السمح: السهل، والدّرير: المستقيم، والصوّة والصّوى: الاعلام أو الناشز من الأرض، يقول: إنّ هذا الطريق سهل مستقيم ينحرف عن الاماكن الناشزة والغليظة.

(١٤) يجتاز: يقطع، والقطا: طائرٌ يشبه الحمام، والكدريُّ: جنس من القطا وضاحية: من الضّحى وهي أوّل النهار، ويؤوب سمالاً: أي يرد ماءها ليلاً، وخلت: أي خلت من الأنيس، والخليف: الطريق في الجبل يقول: يجتاز القطا تلك الطريق صباحاً ويعود ليلاً حيث تكون قد خلت من الناس فيرد السّمال أي الماء القليلة.

(١٥) الطُّلس: أفراخ القطا، والطلسة: الغبرة إلى السّواد في اللّون، وتراطنها: أصواتها: ورطن رطانة: تكلّم بالأعجميّة أو بكلام لا يفهم، شبّه أصوات القطا برطانة الاعجمي.

(١٦) الجوانح: الموائل اللاّئي ينظرن إلى أمهاتهنّ إذا طرن ليردن الماء، والأفاني: الواحدة أفانية، وهي شيء ينبت كأنّه حمضة يشبَّه بفراخ القطاحين يُشوِّك، تبدأ بقلّة ثم تصير شجرة خضراء غبراء، وأفاحصها: حيث تبيض القطا واحدها أفحوص، والخلف: الاستقاء، والرّوايا: يعني أمهاتها اللائي يحملن الماء إليهنّ، والنطف: الماء القليل والكثير.

(١٧) المغد: شجرة مثل القثاء يقال لها الفشغة، وسبّدت: نبتت والشعف: أول ما ينبت من ريشها.

(١٨) الموماة: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها، الجنّان: يعني الجنّ وعزف: صوّت، وذلك أن الحرّ إذا اشتدّ وتغوّلت الأرض صار للحرِّ صوتٌ من التوهّج يظنُّ عزفاً وليس هناك عزف.

كلَّفتُهــا حُرةَ اللَّيتَينِ نــاجيــةً   قَصرَ العشيِّ تُباري أيْنُقاً عُصُفا[١٩]
أبقى التهجُّرُ منها بعد ما ابتُذِلتْ   مخيلةً وهِبـابـاً خـالَطـاً كَثفا[٢٠]
تنجو وتَقطُر ذِفراها على عُنُقٍ   كالجذع شذَّب عنه عاذِقٌ سَعَفا[٢١]
كأن رَحْلي وقد لانتْ عريكتُها   كَسوْتُه جوْزَفاً أقرابُه خَصِفا[٢٢]
يجتازُ أرضَ فَلاةٍ غيرَ أن بها   آثــارَ جِنٍّ ووسماً بينهم سلفــا[٢٣]
تبري لـه هِقلةُ خَرجاءُ تَحسَبُها   في الآل مخلولةً في قَرطفٍ شرفا[٢٤]

---

(١٩) اللَّيتان: صفحتا العنق من عن يمين وعن شمال، والناجية: السريعة، وقصر العشي: أوّل العشي حين يبتدىء البصر يقصر عن الرؤيا إلى مسافةٍ بعيدة، وتباري: تعارض. والأينق: جمع ناقة، والعصف: السّراع أخذه من عصف الرّياح، وإنّما جعلها تباريهنّ في هذا الوقت لأن كلّ ذي سيرٍ يكلّ في هذا الوقت ويفتر.

(٢٠) التهجُّر: سير الهاجرة أي في حرّ منتصف النهار، وابتذلت: من الابتذال وهو ضدّ الصيانة، والمعنى هنا: بعدما أعطت وجادت بكلّ قوّتها في سيرها، والمخيلة: الخيلاء، والهباب: النشاط، والكثف: الشدَّة والغلظ يريد أنها ناقة قويّة لا يؤثّر فيها سير الهاجرة.

(٢١) تنجو: تسرع من النّجاء، وتقطر: تعرق وترشح، العظم الناتىء خلف الأذن وهو أول شيء يعرق عند التعب، والجذع: ساق النخلة شبّه به عنق الناقة لطوله، وشذّب: قشّر، والعاذق: الذي يعنى بالنّخل فيسوّي عذوقه ويذلّلها للقطاف، والعِذق: عنقود النخلة، والعذق: بفتح العين: النخلة بعينها، والسَّعف: أغصان النخيل.

(٢٢) الرّحل: ما يوضع على ظهر البعير ليركب، والعريكة: السنام، والجوزف: الظليم وهو ذكر النّعام، والجوزف: الذي فيه بياض وسواد، ويقال: الجوزف: الحمار، والأقراب: جمع قرب، وهو الخاصرة، يقال: شاةٌ ضخمة الخواصر، وإنّما لها خاصرتان، وقيل: القرب من لدُن الشاكلة إلى مراق البطن، وخصف الفرس أو البعير: ابيضّت خاصرتاه أو صار لونها كلون الرّماد.

(٢٣) يجتاز: يقطع، والفلاة: الصحراء الواسعة المقفرة التي لا ماء فيها والوسم: كالوشم وهو الأثر، وسلف: ذهب وتقدّم.

(٢٤) تبري: تعرض، والهقلة: الفتيَّة من النعام، والخرجاء: التي في لونها بياض وسواد، وتحسبُها: تخالها، والآل: السّراب، والمخلولة: التي خلت عليها قطيفة، والقرطف: كساءٌ له خمل بمنزلة القطيفة، شبّه ما عليها من الرّيش بكساء مخمل.

ظـلاًّ بـأقريـةِ النفّـاخِ يومَها يحتفِران أصولَ المغـدِ واللَّصفا(٢٥)
والشَّرْىَ حتى اذا اخضرَّتْ أُنوفُها لا يـألوانِ من التَّنُّومِ مـا نَقَفا(٢٦)
راحـا يَطـيران مُعوَجَّين في سرَعٍ ولا يريعـان حـتى يهبطـا أُنُفـا(٢٧)
كـالحبشيِّين خـافـا من مَليكهما بعضَ العذاب فجالا بعد ماكُتِفا(٢٨)
كـالخـاليَين اذا مـا صوَّبـا ارتفعا لا يحقرانِ من الخُطبانِ ما نقفا(٢٩)
فـاغـترَّهـا فشآهـا وهي غـافلةٌ حتى رأته وقد أوفى لها شرَفا(٣٠)
فشمَّرتْ عن عمودي بـانـةٍ ذَبـلا كأنّ ضاحيَ قِشرٍ عنهما انقرفا(٣١)

---

(٢٥) الأقرية: مسايل الماء إلى الرياض، والنفَّاخ: إسم موضع، والمغد: نبت مثل القثاء تقدّم ذكره، واللّصف: نوع من النبات يشبه الخيار.

(٢٦) الشّرى: شجر الحنظل واحدته شرية، ويألوان: يقصِّران، والتنوُّم: شجرٌ صغار له ثمر مثل الشهدانج، قال الأصمعي: شهدانج البرّ إلاّ أنّ حبّه مثل الحمص وورقه يسوّد اليد، ونقف الحنظل ونحوه: شقه: عن حبّه، يقول: إن أنوفهما قد اخضرت من كثرة ما يأكلان.

(٢٧) يطيران مُعْوَجِّين: أي منحرفين نحو بيضهما، ولا يريعان: لا يرجعان أو لا ينعطفان، والأنف: يقال روضةٌ أنف: أي أنها لم ترعَ من قبل، وكأس أنف: لم يشرب بها من قبل.

(٢٨) الحبشيّ: العبد، وجالا: هربا، وكتفا: قيّدا، شبّه النعامة والظليم بعبدين حبشيين أسرعا في الهرب من مليكهما بعدما فكَّ قيداهما وأطلقا.

(٢٩) الخاليان: اللذان يقطعان الخلى وهو العشب والرّطب من النبات، وصوّبا: خفضا رأسيهما لينالا من العشب والمعنى أن رأسيهما كان في خفض لنيل العشب وارتفاع لنيل أوراق الشجر، والخطبان: الحنظل، وهو نبات شديد المرارة يمتدُّ على الأرض ثمره يشبه البطيخ إلاّ أنه أصغر منه، وإذا كان الحنظل صغاراً فثمره الحدج، فإذا اصفر وفيه خضرة فهو خطبان، فإذا تمّت صفرته فالواحدة صراية، والنقف: استخراج حبّه، ويقال لحبّه الهبيد.

(٣٠) اغترَّها: خدعها وغافلها، وشآها: سبقها، وأوفى لها: ارتفع، والشّرف: المكان المشرف العالي.

(٣١) شمّرت: من التشمير: وهو الجدّ والاسراع، والبانة: شجرة البان ورقها طويل وزهرها أبيض، شبّه ساقي النعامة بعمودين من شجر البان يابسين، والضاحي من القشر: ما ظهر منه، وانقرف القشر والجرح: أي قُشِر ما جفَّ عليه من لحاء.

وقاربَتْ مِن جَناحيها وجُؤجئها سكاءُ تثني إليها ليّناً خصِفا[٣٢]
كـانـتْ كـذلِـكَ في شأوٍ ممنَّعـةً ولو تكلَّف مِنها مِثلهُ كَلفا[٣٣]

---

(٣٢) وقاربت من جناحيها: أي أنها أسرعت، والجؤجؤ: الصدر والسِّياء: من الدروع الضيقة الحلق، والسّكك: صغر الأذن ولصوقها بالرأس، وتثني إليها ليناً: قالوا هو عنقها، والخصف: بياضٌ في الشاكلتين، أو هو كالرّماد يضرب في لونه إلى البياض والسّواد تقدّم ذكره.

(٣٣) الشأو: الشّوط، وبلغ الشأو: أي الغاية، وبعيد الشأو: أي الهمّة والممنّعة: التي هي في سرعتها يمتنع التحاق بها، وتكلّف: تحمّل ما ليس بوسعه، وكلف: حمل نفسه مشقة.

لا هالك جزعاً

« من الكامل »

انيْ أَلَمَّ بـــكَ الخيـــالُ يَطيـــفُ ومطـــافُــه لــك ذِكرةٌ وشعْوفُ[١]
يَسري بحـــاجـــاتٍ إليَّ فَرُعنني من آلِ خولـــةَ كُلُّهـــا معروفُ[٢]
فـــأبيـــتُ مُحتضراً كـــأنيَ مُسلمٌ للجِنّ ريــــعَ فُؤادُه المخطوفُ[٣]
فعزَفتُ عنهـا إنمـا هو أن أرى مــا لا أنــالُ فــانني لعزوُفُ[٤]
لا هــالــكٌ جَزعـاً على مـا فـاتَني ولِما ألَمَّ من الخُطُوبِ عَروفُ[٥]
صفراءُ آنسةُ الحـــديـــث بمثلِهـــا يشفي غليــــلَ فُؤادِه الملهوفُ[٦]

---

(١) ألَمَّ: أتى وحلّ، ويطيف: بمعنى أتى وألم، وذكرةٌ: أي تذكار، والشعْوف: من الشغْف، وهو ذهاب الفؤاد والولوع بالشيء حتى لا يعقل غيره.

(٢) يسري: أي يأتي ليلاً، يعني الخيال، ورعنني: أخفنني، وقوله: كلّها معروف: أي معروف عندي، يقول: إن الخيال يحمل إليه أطيافاً من الذكريات تريع القلب.

(٣) المحتضر: الذي أصابه الاحتضار، والاحتضار هنا من الجن وليس من الموت، ومسلمٌ: متروك، وريع فؤاده: اضطرب من الخوف، والمخطوف: الذي خطف عقله وفقد اتزانه.

(٤) عزفت عنها: أي انصرفت عنها وسلوت، يقول: إنه عزف عن تذكّر حبيبة لا يستطيع أن يراها أو ينالها، ويروى: «ما لا أحبُّ» بدلاً من «ما لا أنال».

(٥) الجزع: عدم الصبر على المكروه أو نحوه، وألَمَّ: حضر ونزل، والخطوب: الأمور الشديدة، والعروف: الصابر.

(٦) الصفراء: المتطيّبة بأنواع الطيب، والغليل: العطش والملهوف: المتأسف على ما فاته، أو المحترق قلبه من العشق والشوق.

ولَوَانَّهــا جــادت لأَعصَمَ حِرزُه مُتمنِّـــعٌ دون السماءِ مُنيـــفُ[٧]
لاستنزلتـــه عيطـــلٌ مكحولـــةٌ حوراءُ جادَ لها النِّجادَ خريفُ[٨]
دعهـا وسَلِّ طِـلابَهـا بُجـلالـةٍ اذ حـانَ منـكَ ترَحُّـلٌ وخُفوفُ[٩]
حَرفٍ توارثهـا السِّفارُ فجسمُهـا عـارٍ، تَساوَكُ والفؤادُ خَطيـفُ[١٠]
وكـأنّ موضِعَ رحلِهـا من صُلبِهـا سيـفٌ تَقـادمَ جفنُـهُ مَعجُوف[١١]
أو حَرفُ حِنوٍ من غبيـطٍ ذابـل رفقـت بـه قينيَّـةٌ معطوفُ[١٢]

(٧) جادت: تكرّمت وبذلت العشق، والأعصم: الوعل، والعصمة في الوعل أن يكون في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر، وحرزه: مكانه الذي يحترز به، يعني به الجبل والمنيف: المشرف.

(٨) استنزلته: أي جعلته يترك معقلة ويسرع إليها، والعيطل: الطويلة العنق، والحوراء: التي في عينيها حور وهو أن يشتدّ بياض البياض في العين ويشتدّ سواد سوادها والنجّاد: ما ارتفع من الأرض، وخرفت البهائم: أصابها الخريف أو أنبت لها ما ترعاه.

(٩) دعها: أتركها، وسلّ طلابها: أي آسلُ عن طلبها واصطبر، والجلالة: الناقة الضخمة القويّة، والحقوف: الذّهاب والاسراع.

(١٠) الحرف: الناقة الضامرة الصلبة، والسِّفار: كثرة السفر مرّةً بعد مرّة، وقيل: توارثها السّفار: أي تقسَّم جسمها وبراها من اللحم، وتساوك: ضعف وهزل، وتساوك تساوكاً: سار سيراً ضعيفاً، والفؤاد خطيف: أي كان بها جنوناً من خفتها، وخطيف: أي مخطوف.

(١١) الرحل: ما يوضع على ظهر الناقة ليُركب عليه، والصلب: الظهر، وجفن السيف: غمده، والمعجوف: الناحل الذي قد لطف من النحول: يقول: قد برى طول السّفار لحمها ولحب ظهرها فبدى سناسنُها كأنه حرف سيف، ولحب ظهرها: أي أثر فيه، والسناسن: جمع سنسنة وهي حرف فقار الظهر.

(١٢) الحنو: كلّ ما فيه اعوجاج، والحنو: الجانب، وحنو الغبيط: جانباه، وقال أبو عبيدة: إن لكلّ رحل أحناء، والواحد حنو، ولكلّ حنو ظلفة وهي أسفله، والغبيط: شبيه بالقتب على ظهر البعير، والذابل: الجاف، والقينيّة: نسبها إلى بني القين والقين: الحدّاد ومعطوف: أي منحنٍ، وإنما شبّه صلبها بسيفٍ صقيل أو حرف حنو.

فـاذا رفعـتْ لهـا اليمينَ تزاوَرَتْ | عن فرجٍ عوجٍ بينهنّ خَليـفُ(١٣)
وتكون شكواهـا إذا هي أنجـدتْ | بعـد الكَـلالِ تلَمُّكٌ وصَريـفُ(١٤)
وكـأنَّ أقتــادي غَــدَا بشِوارِهـا | صَحاءُ خـدَّدَ لحمهـا التسويـفُ(١٥)
كــالقوسِ عطَّلهــا لبيــعٍ سائمٌ | او كـالقنـاةِ أقَـامَهـا التثقيـفُ(١٦)
أفتِلـك أمْ ربَـداءُ عـاريـةُ النَّسا | زجّـاءُ صـادقـةُ الرَّواحِ نسوفُ(١٧)

---

(١٣) تزاورت: تمايلت بصدرها، والفرج: ما بين يديها ورجليها، وكان ينبغي أن يقول: عن «فروج» والعوج: الطوال، والخليف: الطريق خلف الجبل، في أصله، يقول: إذا رفعت يميني فأشرت إليها بالسّوط إشارة كفتها دون الضرب فإنّها تتزاور لأنها روعاء الفؤاد لا تحتاج إلى الضرب.

(١٤) أنجدت: ارتفعت، والنّجد: ما ارتفع من الأرض، وأنجدت أيضاً: علت نجداً أي مرتفعاً، والكلال: التعب والاعياء، والتلمُّك: مثل التلمّظ: وهو أن تمرّ بعض أنيابها على بعض، والصريف: صوت أنيابها، والصريف أشدّ من التلمّظ، وإنّما تفعل ذلك من الضجر والتذمُّر وهو شكواها إلى من يمتطيها.

(١٥) الأقتاد: الرّحل بأداته، والأقتاد: جمع قتود: وهي عيدان الرّحل، والشّوار: متاع الرّحل، والصحاء: أتانٌ في لونها الصحمة، والصحمة: سواد في صفرة، وقيل: بياض تدخله حمرة أو سواد، وخدّد لحمها: أخره فصار لحمها طرائق، والتسويف: شمّ الفحل إياها، ينتظر الفحل ليفسدها وهي تفرّ منه وتمنعه، وقيل: التسويف: الشمّ، وذلك أنه إذا كرفها أي شمّ بولها رفع رأسه وقلب شفته، عضّها، وليس شيء من السّباع ولا الوحش أشدّ غيرة من الحمار الوحشي.

(١٦) كالقوس: أراد أنّها في خورها كالقوس، وعطّلها: أخلاها من الوتر، لأنّ الوتر يلينها، فإذا أراد بيعها تركها عطلاء أيّاماً لتشتدّ، والسَّائم: البائع، والقناة: الرّمح، والتثقيف: التقويم.

(١٧) الرّبداء: يعني النعامة، والرّبدة: بياض إلى سواد، يريد: أفتلك الأتان أم هذه النعامة الرّبداء أشبهت ناقتي، والنّسا: عرق يجري في الفخذ ثم يجري في الساق، وقوله: عارية النّسا: أي عارية موضع النّسا فلا لحم عليه ولا ريش، والزّجاء: واسعة الخطو بعيدته، دليلٌ على سرعتها، ونسوف: أي التي تنسف الأرض برجلها فتثير التراب والغبار، ويروى: «صادقة النّجاء» بدلاً من «صادقة الرّواح» والنجاء: أي السُّرعة.

خرجَاءُ جَوَّفها بياضٌ داخلٌ لِعفائها لونانِ فهو خصيفُ[١٨]
ظلّت تُراعي زوجَها وطَباهُا جزِعٌ قد امرعَ سَربُه مَصيوفُ[١٩]
ينجو بها خَربُ المُشاشِ كأنَّهُ بخزامِهِ وزِمامِه مَشنوفُ[٢٠]
قرِعُ القَذالِ يطيرُ عن حَيزومِه زَغبٌ تُفيِّئه الرياحُ سخيفُ[٢١]
وكأنها نُوبيَّةٌ وكأنهُ زوجٌ لها من قومِها مَشغوفُ[٢٢]

---

(١٩) طباها: دعاها، والجزع: ما انثنى من الوادي، وأمرع: أخصب وكثر نبته، والسّرب: القطيع من الحيوان، والجماعة من الطير، والمصيوف: الذي قد أصابه مطر الصيف.

(٢٠) ينجو بها: يسرع، والخرب: الذي لا مخّ له، يقال: إنّ الظليم أجوف العظام أي ليس في عظامه مخّ، والمشاش: المفاصل، أو العظم الذي لا مخّ فيه، والخزامة: حلقةٌ من شعر تشدُّ في وترة أنف البعير والزّمام: ما يقاد به البعير، والمشنوف: الذي شُدَّ زمامه فرقع رأسه.

(٢١) قرِعُ القذال: لا ريش على قذاله، والقذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس، والحيزوم: الصدر والجؤجؤ، وريش هذين الموضعين زغب رقيق، فإذا ناله من الرّيح أدنى شيء رأيته يذهب ويجيء من كلّ وجه، وتفيِّئه الرّياح: تتلاعب به وتذهب به وتجيء، والسخيف: الرقيق الذي ليس بغليظ.

(٢٢) النوبية: نسبة إلى النوبة، والنُّوب جماعة من السُّودان يسكنون بلاد النوبة شبّه النعامة والظليم بامرأة ورجل من بلاد النوبة في لونيها، والمشعوف: الإلف الذي لا يفارق، والشعف: الولوع بالشيء حتى لا يعقل غيره.

كفى بالله كافٍ(١)

« من الوافر »

[نَفَى أهلَ] الحَبَلَّقِ يومَ وَجٍّ ... مُزَيْنَةُ جَهْرَةً وبنُو خُفافِ(٢)
صَبَحنَاهُمْ بألْفٍ من سُلَيْم ... وألفٍ مِنْ بني عُثمانَ وافِ(٣)
[حَدَوْا] أكتافَهُمْ ضَرْباً وطعْناً ... ورَمْياً بالمرَيَّشَةِ اللِّطافِ(٤)
[رَمَينَا]هم بشُبَّانٍ وشِيبٍ ... تُكَفْكِفُ كل مُمْتَنِعِ العطافِ(٥)
[تَرَى بينْ] الصُّفُوفِ لهن رشقاً ... كما انصاعَ الفَواقُ عن الرِّصافِ(٦)

---

(١) قال كعبُ هذه الأبيات في يوم فتح مكّة وفي غزوة حنين والطائف وكنّ في غزوة واحدة غزاهنّ النبيّ ﷺ.

(٢) الحبلّق: غنم صغارٌ لا تكبر، وأهل الحبلّق: يريد أهل أرض: يرعى أصحابها الغنم، وقيل: الحبلّق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس، ووجّ: يريد الطائف، وبنو خفاف: بطنٌ من سليم، وفي السيرة ص٨٣١ ط أوروبا. بيتٌ يتلو هذا البيت وهو:
ضربناهم بمكه يوم فتح النبـ ... ـيّ الخـير بـالبيـض الخفـاف

(٣) صبحناهم: أي فاجأناهم صباحاً، وسليم: قبيلة، وبنو عثمان: من مزينة، والوافي: التام.

(٤) عدوا: تبعوا، والضرب: يكون بالسيوف، والطعن: يكون بالرّماح، والرّمي: يكون بالسّهام، والمريّشة: السهام التي ألصق عليها الرّيش.

(٥) اتكفكف: من كفكف الدمع: أي مسحه مرّة بعد مرّة، أو هي بمعنى: تصرف وتدفع، والعطاف: جمع عطف، وعطفا الرّجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه.

(٦) الرّشق: الرمي بالسّهام، وانصاع: نصل وخرج من موضعه، والفواق: أراد به الفوق، وهو موقع الوتر من رأس السّهم، والرّصاف: عقبٌ يشدُّ على الفوق.

تَرى الجُرْدَ الجيـــادَ تَلوحُ فيهم بـأرْمـاحٍ مُقَوَّمـةِ الثِّقـافِ(٧)
ورُحْنـا غـانمين بمـا أردنـا وراحوا نـادِمِينَ على الخلافِ(٨)
وأَعطَيْنـــا رَسُولَ اللهِ منـــا مواثيقـاً عـلى حُسنِ التصـافي(٩)
فَجُزْنـا بَطنَ مكَّـةَ وٱمْتَنَعنـا بتَقْوى اللهِ والبيـضِ الخِفـافِ(١٠)
وحَـلَّ عَمُودُنـا حجَراتِ نَجْـدٍ فَـأَلْيَةَ فَـالْقَـدوسَ إلى شَرَافِ(١١)
أرادُوا الَّـلاتَ والعُزَّى إلٰهـاً كفى بـاللهِ دونَ اللاَّتِ كـافِ(١٢)

---

(٧) الجرد: جمع أجرد وهو الفرس القصير الشّعرة وهذا مدح. وطول الشعرة في الخيل هجنة، وقوله بأرماح: يريد مع أرماح، والمقوّمة: التي أصلح اعوجاجها، والثقاف: الرّماح التي قوّمت وسوّيت، والثقاف: حديدة أو خشبة تقوَّم بها الرّماح.

(٨) رحنا: عدنا وأبنا، والخلاف: يعني مخالفتهم الرسول عليه الصلاة والسلام، يقول: عدنا من حربنا لهم بالأجر والنّصر، وعادوا بالخسران والهزيمة والنّدم على محاربتهم الرسول ﷺ ومخالفتهم له.

(٩) المواثيق: العهود، يقول: اعطينا الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه المعركة شهادة تثبت حسن إسلامنا وإخلاصنا له وللدّين الحنيف، ويتلو في السيرة هذا البيت بيتٌ آخر هو:

وقـد سمعوا مقـالتنـا فهمّوا غـداة الرّوع منّـا بـانصراف

(١٠) جزنا: أي اجتزنا وقطعنا، وبطن مكة: وهو بطن الوادي الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح إذ قال وعزّ من قائل: ﴿وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملـون بصيرا﴾. الآية ٢٤ وامتعنا: أي تسلّحنا واحترسنا، والبيض الخفاف: السيوف.

(١١) العمود: كلّ خباء يضرب على أعمدة كثيرة فيقال لأهله عليكم يأهل ذلك العمود، ويريد هنا بعمودنا: مضارب جمعنا، وحجرات نجد: نواحيها والحجرة: الناحية والجمع حجرٌ وحجرات، وأليه: ماءة من مياه بني سليم، والقدوس: أراد هنا بالقدوس قدس أوارة، وشراف: اسم موضع بين وافصة والقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء التي لبني وهب.

(١٢) اللاّت والعزّى: من أصنام العرب في الجاهلية وآلهتهم.

الدّهر مفنٍ للشّباب

« من الطويل »

نَفَى شَعَرَ الرّأسِ القَديمَ حَوالِقُهْ ... ولاحَ بِشَيْبٍ في السّوادِ مَفارِقُهْ[1]
وأفنَى شبَابي صُبْحُ يومٍ وليلةٌ ... وما الدهرُ إلا مُسْيُهُ ومَشارِقهْ[2]
وأدركتُ ما قد قالَ قبلي لِدَهرهِ ... زهيرٌ وإنْ يَهْلِكْ تُخلَّدْ نواطِقُهْ[3]
تَبصّرْ خَليلي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائنٍ ... كنَخْلِ القُرى أو كالسّفينِ حَزائقُهْ[4]
تَرَبَّعْنَ رَوْضَ الحَزَنِ ما بين لِيَّةٍ ... وسَيْحَانَ مُسْتَكّاً لَهُنَّ حَدائقُهْ[5]

---

(١) حوالقه: جمع حالق، وإنّما أراد ما حلق شعره من مرّ السنين، وأذهبه وردّه إلى الصّلع، ويقال في الشعر: حلقت ولا يقال: حزرت.

(٢) مسيُهُ: إمساؤه، ومشارقه: يعني: إصباحه، يقول: لقد أفنى الشّباب هذا الدّهر بكرٌ أيامه ولياليه.

(٣) أدركت: علمت ووعيت، وزهير: والد الشاعر، والنواطق: يريد الكلام والقصائد، يقول: أدركت من الدّهر ما أدرك والدي وعلمت أنّ الجسد يفنى ويبقى خالداً ما دوّن عن المرء من كلامٍ وحكم.

(٤) تبصَّر: تأمّل، والخليل: الصاحب والصديق، والظعائن: النّساء على الإبل يرتحلن عن ديارهن إلى أخرى، وقوله: كنخل القرى: شبّه ما على هوادجهنّ من الزينة والوشي بنخلٍ فيه حمله الأحمر والأصفر والأخضر، وقال آخر: بل شبّه الظعائن بالنخل الملتفّ عند اجتماعهن، والحزائق: الجماعات.

(٥) تربّعن: رعين في الربيع، والحزن: موضع معروف، والحزن أيضاً: ما غلظ من الأرض، وليّة: موضع بالحجاز معروف، وسيحان: ماءٌ لبني تميم، ومستكّاً: ملتفاً.

فَلَمَّــا رأَين الجزْءَ وَدَّعَ أهْلَــهُ وَحَرَّقَ نيرانَ الصَّفيحِ وَدائقُهْ(٦)
عَزَمنَ رَحِيلاً وانْتَجَعْنَ على هَوىً وخِفْنَ العِرَاق أنْ تَجيشَ بوائقُهْ(٧)
وخُبِّرْنَ ما بينَ الأخادِيدِ واللِّوى سَقَتْهُ الغَوادي ،والسَّواري طَوَارِقُهْ(٨)
وبَاكَرْنَ جوْفاً تَنْسجُ الريحُ مَتْنَهُ تَنَـاءمُ تَكْليمَ المجوسِ غَرانِقُـهْ(٩)
إذا ما أَتَتْهُ الرِّيحُ مِنْ شَطَرِ جانِبٍ الى جانبٍ حازَ التُّرابَ مَهَارِقُهْ(١٠)

---

(٦) الجزء: أن تجتزىء بالرُّطب من الكلأ عن الماء ما أمكنها الرُّطب، ويقال: اجتزأت وتجزّأت: أي اكتفت بالرّطب عن الماء وقالوا: إنما يقال قد جزأت إذا جاز من ظمئها عشران فهي حينئذ جوازىء لأنّ العشر أقصى ما توصف به الأظماء فاذا بلغ إلى العِشْرَيْن فهو الجزء، والعشر: ورد الجمال اليوم التاسع أو العاشر، وقالوا: إذا جزأت خثرت أبوالها وكثرت ثلوطها: والثلط: الرقيق من الرجيع وهو الرّوث، فإذا هاج البقل أي جفّ فلا جزء حينئذٍ ورجع الناس إلى مياههم ومحاضرهم فحينئذٍ يكون تفرُّق الجيران عن المرتبع، والصّفيح: الحجارة، والودائق: الهواجر جمع هاجرة وهي وقت اشتداد الحرّ من النهار.

(٧) عزمن: صمَّمن، وانتجعن: من النجعة وهو طلب الكلأ، وتجيش: تفور وتغلي وتأتي بأمر منكر، والبوائق: الدواهي والشرور، جمع بائقة، يقول: انهم عزموا على الرحيل وانتجاع أماكن أخرى للكلأ وخفن الاقامة بالعراق لما في ذلك من مرضٍ وشرور.

(٨) خبِّرن: أنبئن، والأخاديد واللِّوى: اسمان لموضعين، والغوادي: ما أمطر بالغداة أي ما بين الفجر وطلوع الشمس، والسّواري: ما أمطر بالليل، أراد السَّحائب التي تسري طورقها، والطوارق: ما طرق ليلاً من ضيفٍ وغيره يريد: إنهم أعلمن أن هذه المواضع قد سقاها المطر فأنبتت الكلأ فصمّمن على الارتحال إليها.

(٩) باكرن: من التبكير، والجوف: المنخفض من الأرض، وقوله: تنسج الريح متنه: أي ترى عليه حباباً إذا هبّت عليه، ومتن الشيء: ما ظهر منه، ومتن الأرض: ما صلب منها وارتفع واستوى، وقيل: تنسج الريح متنه: أي أنّها تُصفّقه وتختلف عليه يميناً مرّة وشمالاً مرّة، فيكون اختلاف الريح كالنسيج، وتناءم: من النئيم وهو صوت خفيٌّ وليس بالعالي المفهوم، وتكليم المجوس: أي زمزمتهم على الطعام بأصواتٍ خفيّةٍ لا تفهم، والغرانق: جمع غرنوق وهو طائر أبيض طويل الرّجلين، ويروى: باكرن جوناً، والجون: ماء.

(١٠) أتته الرّيح: هبّت عليه، ومن شطر جانب: يريد: من نحو المهارق، والمهارق: الصحاري، الواحد مهرق، والمهرق أيضا: الطريق والأرض الواسعة، يقول: إن الريح إذا سفت التراب ملأت ذلك الماء أو محت معالم ذلك الطريق.

بجَافَتِـهِ مَنْ لا يَصيـحُ بمَنْ سَرى وَلا يَـدَّعي إلا بمـا هوَ صـادِقُـهْ(١١)
عـلى كـلِّ مُـعْـطٍ عِطْفَـهُ مُتَزَيِّـدٍ بفَضْلِ الزِّمامِ أو مَرُوحٍ تُواهقُهْ(١٢)
وقدْ يَنْبَري لي الجَهْلُ يوماً وأَنبَري لِسرْبٍ كَحُرَّاتِ الهِجَانِ تُوافقُهْ(١٣)
ثـلاثٌ غَريراتُ الكـلامِ ونـاشصٌ على البَعْلِ لا يَخْلو ولا هي عاشقُهْ(١٤)

★ ★ ★

---

(١١) الحافة: الجانب، يريد أن القطا بجافة هذا الماء، وسرى: سار ليلاً، وقوله: ولا يدّعي: يريد أن القطا لا يصيح إلاّ باسم نفسه لأنه إنّما يقول إذا هاج: قطا. قطا.. ومن ذلك يقال: فلانٌ أصدق من قطاة، لأنها تنسب نفسها إذا صاحت، قال الشاعر:

تدعو القطا وبه تُدعى إذا نسب يا صدقها حين تدعوها فتنتسب

ويروى العجز: ولا يدّعي إلاّ الذي هو صادقه.

(١٢) على كلّ معطٍ: يريد الجمل الذي يعطيك ما شئت، والعطف: الناحية، وإنّما يريد حسن الطواعية والمواتاة، والزّمام: ما تقاد به الدّابة والمروح: الناقة المرحة النشيطة، والمواعقة: المباراة في السّير.

(١٣) ينبري: يعرض، والجهل: اعتقاد الشيء على غير حقيقته، وأنبري: أتصدّى، وأتعرّض، والسّرب: النّساء، والوحش، وقوله: كحرّات الهجان: أي مثل كرائم الإبل وفاقاً ومشاكلة، وقال بعضهم: توافق الهجان: أي في سعة الأعين، وجعلها هجاناً لبياضها، وجاء في الحديث: «إن الدّجّال أبيض هجان».

(١٤) غريرات الكلام: أي في كلامهن حسنٌ وجمال، والناشص: أي الناشز المتمرّدة على طاعة زوجها، والبعل: الزوج، ولا يخلو: أي هو يحبّها ويتعلّق بها، يقال: خاليت الرّجل إذا فارقته، ويقول الرجل لزوجته أنت خليّة: أي طالقة والمعنى: إنها امرأة ناشز لا هي وامقة لزوجها ولا زوجها بمتخلٍّ عنها.

لا تخافي الفقر

« من البسيط »

أعلمُ أني متى ما يأتني قدري　　فليسَ يحبُسهُ شُحٌّ ولا شَفَقُ[1]
بينا الفتى مُعجبٌ بالعيشِ مُغتبط　　إذا الفتى للمنايا مُسلمٌ غَلِقُ[2]
والمرءُ والمالُ ينمي ثم يُذهِبهُ　　مرُّ الدهور ويُفنيه فينسحِقُ[3]
كالغُصنِ بينا تراهُ ناعماً هَدِباً　　إذ هاجَ وانحتَّ عن أفنانهِ الورَق[4]
كذلك المرءُ إن يُنسأ له أجلٌ　　يُركب به طبقٌ مِن بعدِهِ طبقُ[5]
قد يُعْوِزُ الحازمُ المحمودُ نيَّتُه　　بعدَ الثراءِ ويُثري العاجِزُ الحمقُ[6]

---

(١) القدر: ما يقدر للمرء في علم الغيب، ويحبسه: يمنعه والشحُّ البخل، والشّفق: الخوف والاشفاق.

(٢) بينا: أثناء وخلال، والمغتبط: الفرح والسعيد، ومسلم: منقاد، والغلق: المستحق: يقال غلق الرهن في يد المرتهن إذا استحقه، وذلك إذا لم يفتكّ في الوقت المشروط، والمعنى أنّ تأتي الانسان فتقيّده وهولاءِ مغتبط في عيشه، وكأنّه وديعة آن أن تردّ.

(٣) ينمي: يزداد ويكثر، مرّ الدّهور: تعاقبها، وينسحق: يزول ويندثر.

(٤) الهدب من العيون والأشجار: ذو الهدب، وهنا يعني الغصن المورق الأخضر، وهاج: يبس، وانحتّ: سقط وتناثر، والأفنان: الغصون.

(٥) ينسأ: من النسيء وهو التأخير، والأجل: الوقت المقدّر للحياة، ويُركب به طبق: أي حالٌ بعد حال.

(٦) الحازم: ذو الحزم، والعوز: الحاجة والفقر، يقول: قد يفتقر الغنيّ الحازم وقد يثري الأحمق الضعيف الرأي وذلك لتصرّف الأقدار بالناس.

فلا تخافي علينا الفَقرَ وانتظري فضلَ الذي بالغِنى من عِنده نثق[٧]
إن يفْنَ ما عِندنا فاللهُ يرزقُنا ومَنْ سِوانا ولسنا نحنُ نرتزِق[٨]

(٧) نثق: من الثقة، وهنا يقصد أنّه ينتظر الفضل من عند الله الذي أودعه ثقته وأوكله أمره.

(٨) يفنى: يذهب ويزول ويندثر، يقول: إنْ ذهب ما لنا فالله يرزقنا وجميع الناس لأنّه هو الذي يقسّم الأرزاق للعباد.

أمثل عشقي يلاقي كلّ من عشقا

« من البسيط »

أمِنْ نوارَ عرفــتَ المنزلَ الخَلَقــا ... إذ لا تُفارقُ بطنَ الجوِّ فالبُرَقا[1]
وقفتُ فيهـا قليـلاً ريْـثَ أسألُهـا ... فانهلّ دمعي على الخدين مُنسحِقا[2]
كادت تُبيِّنُ وَحْياً بعض حاجتِنا ... لو أنَّ منزلَ حيٍّ دارساً نطقــا[3]
لا زالتِ الريحُ تُزجْي كلَّ ذي لجبٍ ... غيثــاً إذا مـا وَنتْـه ديمةٌ دفقا[4]

---

(١) نوار: اسم علم، والخلق: الدّارس لطول عهده بالأنيس واختلاف الأرواح عليه، والجوّ: مكان منهبط أو اسمٌ لموضع معيّن، والبرق: جمع برقة وهي أرض يخلطها حجارة وطين، وقد ذكر ياقوت في معجمه مائة برقة من براق العرب أضيف كلٌّ منها إلى موضع معيّن.

(٢) الرّيث هنا: المقدار، أي وقفت فيها مقدار سؤالي إيّاها، وهي لغة فاشية في الحجاز، قال ابن الأثير: وما أكثر ما رأيتها واردة في كلام الشافعيّ، وأخرى مقروناً «بما» أو «أن» يقال: فلم يلبث إلاّ ريثما قلت، أي ما قعد إلاّ قدر ذلك، وانهلَّ: تصبّب، والمنسحق: السائل والمنحدر.

(٣) تبين: تظهر، والوحي: الإشارة والكلام الخفي، يقول: كادت وقفتي في ذلك المكان تظهر ما أنا فيه من حاجة ورغبة.

(٤) تزجي: تسوق وتدفع، وكلّ ذي لجب: كلّ سحابٍ له صوتٌ أي سحاب مصحوب بالرّعد:، وونته: يريد ونت عنه أي فترت، والدّيمة: المطر يتساقط في سكون لأيّامٍ وليالي.

فأنبتَ الفغْوَ والريحانَ وابلـه   والأيهُقانَ مع المُكنانِ والذُّرَقا(٥)
فلم تزَلْ كلُّ غنّاءِ البُغامِ به   من الظِّباء تُراعي عاقِداً خَرِقا(٦)
تقروُ به منزل الحسناءِ إذ رحَلتْ   فاستقبلتْ رُحبَ الجوفين فالعُمقا(٧)
حلَّتْ نوارُ بأرضٍ لا يُبلِّغُها   الا صمُوتُ السُّرى لا تسأمُ العَنَقا(٨)
خطَّارةٌ بعد غِبِّ الجهدِ ناجيةٌ   لا تشتكي لِلحفا مِن خُفِّها رققا(٩)
ترى المَرِيءَ كنصلِ السيفِ اذ ضمنت   أو النضيّ الفضا بطّنْته العُنقا(١٠)
تنفي اللُّغامَ بمثلِ السِّبتِ خصَّره   حاذٍ يمانٍ إذا ما أرْقلتْ خَفقا(١١)

---

(٥) الفغو: نبت له ورد يشبه ورد الحنّاء، وقيل هو نور الحنّاء خاصة، والرّيحان: كلّ نباتٍ طيب الرّائحة، والوابل: الواسع القطر، والضمير في وابله يعود على المطر، والأيهقان: الجرجير البرّي وله نورٌ أصفر، والمكنان: نبت إذا أكلته الماشية حسُن حالها، ويغزر لبنها، والذرق: الحندقوق، الواحدة ذرية.

(٦) الغناء: من الغنّة وهي صوت يخرج من الأنف في رقـّةٍ وحسن، والبغام: حنين الظبية والناقة إلى ولدها، وتراعي: تحفظ وتسهر وتتفقّد، والعاقد: الذي عقد عنقه ونام، والخرق: الضعيف القيام لصغره والذي ليس له تجربة بعد.

(٧) تقروبه: تتبعه وترعاه، ورحب الجوفين: إسم موضع، وقيل: متسعه، والرّحب: ما اتسع من الأرض، والعمق: مكان بطريق مكة.

(٨) حلّت: نزلت وأقامت، ويبلّغها: يوصل إليها، وحموت السُّرى: ناقة لا ترغو عند السُّرى ولا تضعف إذا كلّ كلُّ معتمل، والسُّرى: سير آخر الليل، والسأم: الكلال والاعياء والعنق: سيرٌ فيه سرعة وهو كذلك أول السّير ثم التزيّد بعده.

(٩) الخطّارة: التي تخطر في سيرها وتجمع بين قطريها، ذغبّ الجهد: بعده وهذا دليلٌ على نشاطها وقوتها، والناجية: السريعة، والرّقق: أن ينهك الخفُّ فيحفى لكثرة السير.

(١٠) المريء: الأنبوب الذي يجري فيه الطعام والشّراب من الحلقوم إلى المعدة، ونصل السيف: حدّه، وضمنت: أصابها داء في جسدها من بلاء أو كبر، والنّضي: قدح السهم بلا ريش ولا نصل، والفضا من القدح: المهمل وغير المحكم، وبطنته العنق: أي جعلته بطانة العنق.

(١١) تنفي: تبعد وتدفع، واللغام: زَبَدٌ فيها، والسّبت: كلُّ جلدٍ مدبوع، أو هو المدبوغ بالقرظ خاصة، ونعال سبتيّة: لا شعر عليها وقد شبه مشفرها بالسّبت، وخصّره: أدقّه، والحاذي: الحذّاء، والأرقال: سيرٌ سريع، وخفق: اضطرب.

تنجو نجـاء قَطـاةِ الجوِّ افزعهـا بذي العِضاهِ أحسّت بازياً طرقا[١٢]
شهْمٌيكُبُّ القطاالكُدْريَّ مختضِبُالـ أَظفارِ حرٌّ ترى في عينهِ زرقا[١٣]
بـاتـت لـه ليلةٌ جمٌّ أَهاضِبُها وباتَ يَنفُضُ عنه الطلَّ واللثقا[١٤]
حـتى إذا مـا انجلت ظلماءُ ليلتـهِ وانجابَعنه بياضُالصبحِ فانفلقا[١٥]
غـدا علـى قـدرٍ يَهوي ففـاجـأهـا فانقضَّوهو بوْشكِ الصيدِقدوَثِقا[١٦]
لا شيءَ أجوَدُ منهـا وهي طيِّبـةٌ نفساً بما سوفَ يُنجيها وإن لَحقا[١٧]
نفَّرَها عن حِياض الموتِ فانتجعتْ ببطنِ لينـةَ مـاءً لم يكن رنِقـا[١٨]
يا ليتَ شعري وليتَ الطيرَ تخبرني أمثلَ عِشقي يُلاقي كلُّ مَن عشِقا[١٩]

---

(١٢) تنجو: تسرع، والقطاة: طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً، شبّه سرعتها بسرعة ذلك الطائر، وذو العضاه: مكان، والعضاه: كلُّ شجر عظيم له شوك، يقول: تسرع مذعورة وكأنها قطاة أحسّت بازياً فتجنّبته بالفرار.

(١٣) الشهم: حديد الفؤاد، وقد رفعه على القطع، ويجوز نصبه على أنّه نعت لقوله: «أحسّت بازياً» ويكبُّ القطا: يصرعها، ومختضب الأظفار: داميها، وحرٌّ: تنصب أيضاً على أنّها نعت، والزرق: اللون الأزرق.

(١٤) باتت له: مضت عليه، وجمٌّ: كثير، والأهاضب: جمع هضبة وهي الدفعة الشديدة من المطر، وينفض: يطرد، واللثق: الندى والبلل.

(١٥) انجاب: انخرق وصار إلى بياض الفجر، أي أنار وضح الصبح وانفلق ضوؤه.

(١٦) غدا: يعني البازي، وعلى قدرٍ: أي على مقدار وقت، ويهوي: يطير مسرعاً منقضّاً على فريسته، وفاجأها: أي القطاة، والوشك: السرعة والقرب يقول: إنه انقضّ عليها وهو واثق من اصطيادها.

(١٧) يقول: تطيب نفسها بالنجاء من ذلك البازي الذي يلاحقها، فالضمير في منها: يعود على القطاة، وفي «لحقا»: على البازيّ.

(١٨) نفّرها: جعلها تنفر أي البازي، وحياض الموت: مكان وروده، يقول: نفرت عن حياض الموت لأنها لو وردته شغلت بالشُّرب، ولو شُغلت بالشّرب لصادها، ولينة: بئر بطريق مكّة من أعذب الآبار، والرّنق: الكدر.

(١٩) يا ليت شعري: أي يا ليتني شعرت أو علمت، وليت: حرف تمنٍّ من أخوات إنّ، يتساءل هنا عن عشقه وهل الذي هو ملاقيه منه، كالذي يلاقيه كلُّ من عشق.

إذا سمعْتُ بذكرِ الحُبِّ ذكَّرني — هِنداً فقد عَلِق الأَحشاءَ ما عِلِقا[20]
كم دونها مِنْ عَدُوٍّ ذي مُكاشحةٍ — بادي الشّوارةِ يُبدي وجههُ حنقا[21]
ذي نيربٍ نزعٍ لو قد نصبتُ له — وجهي لقد قالَ كُنتَ الحائِنَ الحَمِقا[22]
كالكلبِ لا يسْأمُ الكلبُ الهريرَ ولوْ — لاقيتَ بالكلبِ ليثاً مُخدِراً أذرَقا[23]
ومرهَقٍ قد دعاني فاستجبتُ له — أجزتُ غُصّتهُ مِنْ بعدِ ما شَرِقا[24]

---

(٢٠) علق الأحشاء: مازجها، يقول: إنّ ذكر الحبّ يذكّره هنداً، وذكر هندٍ يثير في أحشائه ما يثير من همٍّ وحزنٍ وقلق.

(٢١) كم: استفهامية، وهنا يستفهم بها عن العدد، وذو مكاشحة: أي عدو طوى كشحه على حقدٍ وبغض، وبادي الشوارة: أي يظهر لك الزينة وكشحه يبطن خلاف ما يبدي، يقول: كم دون هندٍ من الأعداء الذين يظهرون لك الزّينة ولكنّ وجوههم تظهر ما انطوت عليه أنفسهم من الحنق والبغض والأحقاد.

(٢٢) النّيرب: النميمة والعداوة، والنّزاع: المتسرّع إلى الشرّ، ونصبت له الوجه: أي قابلته، وأظهرت له غايتي، والحائن: الأحمق، والحائن أيضاً من الحين: وهو الهلاك والمحنة.

(٢٣) يسأم: يملّ، والهرير: صوت الكلب دون النّباح، والليث المخدر: أي الأسد المقيم في عرينه، وذرق: من الذّرق وهو السّلح للطائر، ويستعار للسّبع والإنسان أيضاً.

(٢٤) المرهق: المدرك بالشرّ، وأجزت غصّته: أي أعنته عليها يقول: كم من رجل أدركه الشرّ وأحاط به فرّجت عنه وأغثته فأبلعته ريقه من بعد ما كان غصّ به من الخوف.

بانت سعاد

« من البسيط »

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبولُ ... متيم إثرها لم يُجزَ مكبولُ[1]
وما سُعاد غداةَ البين اذ رَحلوا ... الا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحول[2]
تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ اذا ابتسمت ... كأنه مُنهَلٌ بالراح معلول[3]
شُجَّت بذي شبمٍ من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول[4]

---

(١) بانت: فارقت، ومتبول: أسقمه الحبّ وكاد يذهب بعقله، والمتيّم: الذي ذلّلهُ الحب، والمكبول: المقيَّد والأسير، والمعنى أن سعاد فارقته فتركت قلبه سقيماً ذليلاً مقيّداً لا يجد لما هو فيه من خلاص، ويروى لم يفْدَ: من الفداء، ولم يجز: من الجزاء.

(٢) غداة البين: ساعة الرحيل، والغداة: وقت ما بين الفجر وطلوع الشمس، وهي أفضل أوقات الرّحيل، والأغنّ: الذي في صوته غنّة وهي هنا بمعنى غزالٌ أغنّ، وغضيض الطرف: فاتر الطرف ومسترخي الأجفان، والمكحول: من الكحل ويروى: غداة البين إذ برزت.

(٣) تجلو: تكشف وتظهر، والعوارض: الأسنان ما بين الثنيّة والضّرس، والظلم: ماء الاسنان، والمنهل: الذي ارتوى، والرّاح: الخمرة، والمعلول: الذي سقي مرّتين، من العلل: وهو الشرب ثانية أو تباعاً بعد الشرب الأوّل، والمعنى انها إذا ابتسمت تكشف عن ثغرٍ تفوح منه رائحة الخمر الذكيّة.

(٤) شجّت: خلطت ومزجت، والشّبم: الماء البارد، والمحنية: ما انحنى وانعطف من الوادي، وخصّ ماء المحنيّة لأنه يكون أصفى وأبرد، والأبطح: من البطحاء وهي مكان متّسع منبسط يسيل فيه الماء فيخلّف التراب والحصى الصغار.

تجلو الرياحُ القذى عنه وافرطَه | من صوب ساريةٍ بيضٍ يَعاليل(٥)
ياويحها خُلَّةً لو أنها صدقتْ | ماوعدت أو لوأَن النُّصحَ مقبول(٦)
لكنها خُلة قد سيط من دمِها | فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ(٧)
فما تدومُ على حالٍ تكون بها | كما تلوَّن في اثوابها الغولُ(٨)
وما تمسَّكُ بالوصلِ الذي زعمت | الا كما تُمسكُ الماء الغرابيلُ(٩)
كانت مواعيد عُرقوبٍ لها مثلا | وما مواعيدها الا الأَباطيل(١٠)

(٥) تجلو الرّياح: تكشف، والقذى: ما يقع في العين أو في الشّراب من تبنةٍ ونحوها، والقذى: بكسر القاف: التُّراب المدقَّق، وأفرطه: ملأه والصوب: المطر، والسّارية: السّحابة تسري فتمطر ليلاً، وبيضٍ: نعت للسارية واليعاليل: يقال للغدير يعلول، وهو هنا سيل مطر السحاب الذي ملأ مواضع الماء في الأبطح، وقيل: يعاليل: أي مرّةً بعد مرة.

(٦) يا ويحها: الياء حرف نداء يفيد التوجُّع، وويح: كلمة ترحُّمٌ وتوجع، وهي هنا تفيد التعجُّب والمدح، والخلّة: الخليلة.

(٧) سيط: خُلط، والفجع: المصيبة، والولع: الكذب، والاخلاف: عدم الوفاء بالوعد، والمعنى أنّ هذه الصفات طبيعةٌ ملازمةٌ لها.

(٨) تدومُ على حال: تثبت، وتلوَّن: تتغيَّر ألوانها حيناً بعد حين، والغول: السُّعلاة، والجمع أغوالٌ وغيلان، وهي حيوان وهميّ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول، وكانت العرب تقول: إن الغيلان في الفلوات تراءى للناس، فتغوَّل تغوّلاً أي تلوّن تلوّناً فتضلُّهم عن الطريق وتهلكهم.

(٩) وما تمسَّك بالوصل: أي هي لا تتمسَّك بوعدٍ للّقاء، والغرابيل: جمع غربال وهو ما يغربل به الحبّ لتنقيته، فالغربال لا يمسك الماء لأن فيه فروجاً صغيرة ينساب منها.

(١٠) عرقوب: قيل: هو رجلٌ من خيبر، كان يهودياً، وكان يعد ولا يفي، فضربت به العرب المثل، وقيل: هو رجل من العماليق أتاه أخٌ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلمّا أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير بلحاً، فلمّا أبلحت قال: دعها حتى تصير رطباً، فلمّا أرطبت قال: دعها حتى تصير تمراً، فلمّا أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذّها ولم يعط أخاه منها شيئاً فصار مثلاً.

أرجو وآمـلُ ان يَعجَلنَ في أَبـدٍ وما لهنَّ طوالَ الدهر تعجيل[١١]
فلا يغرَّنكَ ما منّت وما وعدتْ ان الامـانيَ والاحـلامَ تضليـل[١٢]
أمست سُعـاد بـأرض لا يبلِّغهـا الا العتاقُ النجيباتُ المراسيل[١٣]
ولن يبلِّغهـــا الا عُـــذافِرةٌ فيها على الأَين إرقالٌ وتبغيل[١٤]
من كلِّ نضّاخةِ الذفرى اذا عرقت عُرضتُها طامِسَ الاعلام مجهول[١٥]
ترمي الغيوبَ بعينيْ مُفردٍ لهـقٍ اذا توقـدتِ الحُزَّانُ والميـل[١٦]
ضخمٌ مُقلَّـدهـا فعمٌ مقيَّـدهـا في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ[١٧]

---

(١١) الأبد: الدَّهر، وطوال الدهر: أي طوال العمر،
ويروى هذا البيت:

أرجو وآمـل أن تـدنو مودّتها وما إخال لدينا منك تنويلُ

(١٢) لا يغرَّنك: لا يخدعنك، ومنّت: أنعمت به من كلام، والتضليل: الخداع.

(١٣) لا يبلِّغُها: أي لا يوصل الانسان إليها، والعتاق: النّوق الكريمة، والمراسيل: الخفاف التي تعطيك ما عندها عفواً.

(١٤) العذافرة: الناقة الشديدة الغليظة، والأين: التعب، والارقال: ضربٌ من العدو فيه سرعة، والتبغيل: ضربٌ من الهملجة، وهي السّير السهل السريع الحسن.

(١٥) النضّاخة: التي يفور ماؤها، وفي القرآن الكريم: فيهما عينان نضّاختان، أي فوّارتان. والذّفري من الناس ومن جميع الدّواب: من لدُن المقذّ إلى نصف القذال وقيل: هو العظم الشاخص خلف الأذن، والعرضة: الهمّة، والطامس: ما طمس من الاعلام يقول: إن عرضتها خرق ما توارى وبعد.

(١٦) ترمي الغيوب: تنظر ما غاب عنك، والمفرد: النرد الذي خذل عن صواحبه، واللهق: الشديد البياض، والحزّان: ما غلظ من الأرض، واحدها حزيز، والميلُ من الأرض: مدّ النظر، والمعنى أن هذه الناقة تصل بك إلى غايتك ولا يثنيها حرٌّ أو بعد مسافات.

(١٧) مقلّدها: عنقها حيث توضع القلادة، والفعم: المليء، ومقيّدها: رسغها وبنات الفحل: يعني النوق، والمعنى أنها تفضل غيرها من مثيلاتها في عظم خلقها.

حرفٌ اخوها ابوها من مهجَّنةٍ … وعمها خالها قوداءُ شمليلُ[١٨]

يمشي القُرادُ عليها ثم يزلقه … منها لبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ[١٩]

عيرانةٌ قُذفت في اللحم عن عُرُضٍ … مِرفَقها عن بنات الزَّور مفتولُ[٢٠]

كأن ما فات عينيها ومَذبَحها … من خَطمِها ومن اللحيين برطيلُ[٢١]

تمرُّ مثل عسيب النَّخل ذا خُصَلٍ … في غارزٍ لم تخوَّنه الأحاليلُ[٢٢]

قنواء في حُرَّتيها للبصير بها … عِتقٌ مُبينٌ وفي الخدَّين تسهيلُ[٢٣]

تخدي على يَسراتٍ وهي لاحقة … ذوابلٌ وقعهنَّ الارضَ تحليلُ[٢٤]

---

(١٨) الحرف: الناقة، والمهجّنة: أي من إبل كريمة، أخذت من الهجان، والقوداء: الطويلة العنق، والشمليل: الخفيفة، يقول: جمل حمل على أمه فوضعت ناقةً فصار الجمل أخاها وأباها، وقوله: عمّها خالها: يريد أن ثلاثة أجمال من ناقة ذكرين وأنثى، فترى أحد الذّكرين على أمّه فوضعت ثلاثة، فصار أحد الأخوين أباها، والآخر عمُّها وخالها.

(١٩) القراد: حشرة صغيرة تتعلّق بالدواب، ويزلقه: يبعده ويزيله، واللبان: الصدر، والأقرب: الخواصر، والزّهاليل: الملس.

(٢٠) عيرانة: أي تشبه العير لصلابتها، وقذفت: رميت، وعن عُرُضٍ: أي رميت باللحم اعتراضاً، وقيل قذفت باللحم: يعني لم تحلب فهي تامة الخلق لم يهزلها الحلب أي اللبن، ويروى: قذفت بالنحض، والمرفق: من الانسان والدّابة: أعلى الذّراع وأسفل العضد، وبنات الزّور: العضلاتان والملاطان والمذبح، والزور: عظام الصدر وقيل: بنات الزور: الأضلع المقدّمات من الزّور، وهي ستة أضلع.

(٢١) الخطم: الأنف أو مقدّم الأنف، واللحيان: عظام الحنك الذي عليه الاسنان والبرطيل: واحد البراطيل، وهي حجارة إلى الطول ما هي، وقد يكون: المعول قال الأصمعّي: الوجه كلّه فائت العينين إلاّ الجبهة، ويقال: هو ما يقطع من المذبح.

(٢٢) تمرُّ: يريد تمرُّ بذنبها على ضرها، وعسيب النخل: كناية عن الذنب، وهو قضيب من النخل نزع عنه ورقه، والعسيب من الذّنب: منبت الشّعر منه والغارز: الضرع، ولم تخوَّنه: لم تنقصه، والأحاليل: مجاري اللبن.

(٢٣) القنواء: التي في أنفها احديداب، وحرّتاها: اذناها والعتق: الكرم، وعتق الأذنين: هو أن تكونا مؤللتين أي محدّدتي الطرف.

(٢٤) تخدي: الخديُ: ضرب من السّير، وخدى البعير: أسرع وزجّ بقوائمه واليسرات: قوائم الناقة الخفاف، والذوابل: أي ليست برهلة أراد أنها ضحية والتحليل: مثل تحلة =

سُمرُ العجايات يتركنَ الحصى زيماً لم يقِهنَّ رؤوسَ الأكُم تنعيل[٢٥]
يوماً يظلُّ به الحرباء مُصطخماً كأن ضاحيه بالنار مملول[٢٦]
كأن أوبَ ذراعيها وقد عرقت وقد تلفَّع بالقور العساقيل[٢٧]
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورقُ الجنادِبِ يركضن الحصى قيلوا
شدَّ النهار ذراعا عيطلٍ نصفٍ قامت فجاوبها نُكدٌ مثاكيل[٢٨]
نواحةٌ رخوةُ الضبعين ليس لها لما نعى بِكرها الناعون معقول[٢٩]
تفري اللَّبانَ بكفَّيها ومِدرعها مشقّقٌ عن تراقيها رعابيل[٣٠]

= اليمين، أي قليل كما يحلف الانسان على الشيء أن يفعله، فيفعل منه اليسير يحلّل به اليمين، وقال الجوهري: وقع مناسم الناقة على الأرض من غير مبالغة، ويروى: وهي لاهية، و«غير فائرة» والفائرة: المنتشرة.

(٢٥) العجايات: عصب باطن اليدين، وزيماً: أي متفرّقة، ولم يفهن التنعيل رؤوس الأكم: أي لا يحتجن أن ينعلن لأنهنّ غلاظ والمعنى: أن أخفافها تفرّق الحصى وهي صلبة لا تحتاج أن تنتعل.

(٢٦) الحرباء: مسمار الدّرع، وقيل: هو رأس المسمار في حلقة الدّرع، وهنا دويبة نحو العظاءة أو أكبر، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيف دارت، يقال: إنه إنما يفعل ذلك ليقي جسده برأسه ويتلوّن ألواناً بحرّ الشمس، والمصطخم: المنتصب من الحر، وضاحيه: ما ظهر منه للشمس، والمملول: من الملّة ويقال: هي النار، والمعنى: أن الحرباء قد شوى ظهره بالنار من شدّة حرّ الشمس وصهرها عليه.

(٢٧) أوب: رجع، وتلفّع: تلحّف، والقور: جمع قارة وهي جبلٌ يرتفع طولاً ولا يرتفع عرضاً، والعساقيل: قيل لا واحد لها، وقيل واحدها عسقل وهو السّراب.

(٢٨) شدّ النهار: ارتفاع النّهار، والعيطل: الطويلة في حسن، والنصف: هي التي قامت تنوح، والنكد: قليلات الأولاد بسبب الموت ومثاكيل: من الثكل، وهو فقد الزوج أو الأبناء، اشبّه يديّ ناقته في حركتها بتحريك يدي نائحةٍ فقدت زوجاً أو ابناً.

(٢٩) الضّبعان: مثنى ضبع وهو ما بين الإبط الى نصف العضد، وبكرها أوّل ولدها، والمعقول: أي العقل، يريد أن فقدها لبكرها أفقدها عقلة فهي في حركة نواحٍ دائم.

(٣٠) تفري: تشق، واللّبان: الصدر، والمدرعة: جبّة من صوف مشقوقة المقدّم، والتراقي: واحدها ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر، والرّعابيل: المتخرّقة المتمزّقة، شبه ناقته بتلك الثاكل التي أخذت تفري ثيابها عن صدرها بما هلك من ولدها.

يَسعــى الوشاةُ بجنبيهـــا وقولُهمُ ... انك يا بن أبي سلمى لمقتـولُ(٣١)
وقـال كـل خليـلٍ كنـت آمُلـه ... لا أُلفينَّـك اني عنـك مشغول(٣٢)
فقلـتُ خُلّوا طريقي لا أبــالـكم ... فكـل مـا قـدّر الرحمن مفعول(٣٣)
كل ابن أُنثى وإن طالت سلامته ... يومـاً عـلى آلـةٍ حَـدبـاء محمول(٣٤)
أُنبئـــتُ أَن رسول الله أوعــدني ... والعفو عنـد رسول الله مـأمولُ(٣٥)
مهلاً هداكَ الذي اعطاكَ نافلةَ الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ(٣٦)
لا تـأخُـذنّي بـأقوال الوشاةِ ولم ... أُذنب ولو كثُرت عني الاقاويل(٣٧)
لقـد أقومُ مقـامـاً لو يقومُ بـه ... أرى واسمعُ ما لو يَسمعُ الفيل(٣٨)
لظـلَّ يُرعــدُ إلا ان يكون لـه ... من الرسول بـإذن الله تنويـل(٣٩)
حتى وضعتُ يميني لا أُنـازعـه ... في كفٍّ ذي نقماتٍ قيلهُ القيل(٤٠)
لـذاك أهيَـبُ عنـدي إذ أُكلّمـه ... وقيـل إنـكَ مسبور ومسؤول(٤١)

---

(٣١) ويروى: وقيلهم، والوشاة: الذين يشون بالكذب ويزيّنونه.
(٣٢) الخليل: الصاحب والصديق، ولا ألفينَّك: أي لا أكون معك في شيء ولا أستطيع نفعك، والمعنى أن أخلاّءه ابتعدوا عنه وانشغلوا لأنّهم لا يستطيعون فيما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أيّ مراجعة.
(٣٣) خلّوا طريقي: أي ابتعدوا عنها، ولا أبالكُمْ: دعاءٌ عليهم.
(٣٤) الآلة: سرير الميت، وحدباء معوجة.
(٣٥) أنبئت: أخبرت وأعلمت، وأوعدني: هدّدني.
(٣٦) مهلاً: مفعول مطلق بمعنى رفقاً، والنافلة: العطيّة.
(٣٧) لا تأخذني: أي لا تحكم علي وتقتصَّ مني، والأقاويل: الأقوال المبتدعة الكاذبة.
(٣٨) يروي: «إنّي أقوم مقاماً» ولمّا كان الفيل في نظره ضخماً توهم أنه أسمع الأشياء.
(٣٩) يرعد: يرتجف من الخوف، والتنويل: الأمان والعفو.
(٤٠) لا أنازعه: أي لا ينكث في بيعته، وقيله القيل: أي قوله الصّدق.
(٤١) المسبور: المخبّر والممتحن.

من ضَيغمٍ من ضِراء الاسد مُخدَره ... ببطن عثَّر غيلٌ دونه غيل[٤٢]
يغدو فيلحَم ضِرغامين عيشهما ... لحم من القوم معفورٌ خراذيلُ[٤٣]
اذا يُساور قِرناً لا يحل له ... ان يترك القِرنَ إلا وهو مفلول[٤٤]
منه تظل حمير الوحش ضامرةً ... ولا تُمشِّي بواديه الاراجيل[٤٥]
ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ ... مُطرَّحُ البزِّ والدِّرسان مأكول[٤٦]
ان الرسولَ لسيف يُستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول[٤٧]
في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا[٤٨]
زالوا فما زال انكاس ولا كُشفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل[٤٩]
شُمُّ العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل[٥٠]

---

(٤٢) الضيغم: من صفات الأسد، مشتقٌ من الضغم وهو العضّ، ومن ضراء الأسد: أي مما ضرى منها بأكل الناس، ومخدره: مكمنة الذي يستتر فيه، وعثّر: موضع قبل تبالة، والغيل: الغيظة، يقول: رسول الله ﷺ أهيب عندي من الأسد.

(٤٣) يلحم: يطعم اللحم، والضرغامين: مثنّى ضرغام، وهما هنا شبلي الأسد والمعفور: المطروح في التراب، والخراذيل: المقطّع.

(٤٤) يساور: ينقضّ ويثب، والقرن: المقاوم له، والمغلول: المنهزم.

(٤٥) الضامرة: الساكنة التي لا تصوّت خيفة أن يسمعها، والأراجيل: الرجالة: يقال: راجل ورجل وأراجل ورجالة، والرّاجل: الذي يمشي على رجليه.

(٤٦) البزّ: الثياب، والدّرسان: ثياب خلقان، ويروى: أخو سفرٍ كما يروى العجز: مطرّح اللحم والدرسين مقتول.

(٤٧) المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند وهو خير السيوف، والمسلول: المشرع في وجه الكفر، والهاء في به عائدة إلى الرسول ﷺ.

(٤٨) العصبة: الجماعة، وزولوا: هاجروا.

(٤٩) زالوا: هاجروا لغير خوف، والأنكاس: جمع نكس وهو الضعيف الذليل وكشف: جمع أكشف وهو الذي ينكشف في القتال وينهزم، وميلٌ: جمع أميل وهو الجبان، والمعازيل: جمع معزال: وهو الذي ينعزل في الحرب عن صحبه ومن يستغيث به.

(٥٠) شمّ العرانين: كناية عن عزّتهم وإبائهم، والشّمم: حدّة في طرف الأنف مع تشمير، والعرانين: الأنوف، ونسج داود: كناية عن الدروع والهيجا: الحرب، والسّرابيل: جمع سربال وهو القميص وهنا يعنى الدّرع التي يتسربل بها المقاتلون في الحرب.

بيض سوابغُ قدْ شكَّت لها حلقٌ كــــأنها حلق القفعاء مجدول
يمشون مشي الجمالِ الزهرِ يعصمهم ضرب اذا عرَّدَ السودُ التنابيل(٥١)
لا يفرحون اذا نالت رِماحهم قوماً وليسوا مجازِيعاً اذا نيلوا(٥٢)
لا يقــــعُ الطعنُ الا في نُحورهم ماإن لهمعن حِياض الموتتهليل(٥٣)

---

(٥١) الزّهر: البيض، ويعصمهم: يمنعهم ويحميهم، والضرب: القتال بالسيوف والرّماح، وعرّد: جبن ونكل، والتنابيل: القصار، ويقال: إنه عرّض بالأنصار في هذا البيت.

(٥٢) إذا نالت رماحهم: أي إذا أصابت الخصوم مقاتلاً، والمجازيع: الذين يخافون الموت، وإذا نيلوا: إذا أصيبوا برماح الأعداء، والمعنى أنهم لا يفرحون من نيل عدوّهم فتلك عادتهم، وليسوا هم بجازعين إذا نالهم العدو لأنّهم عادتهم الصبر والثبات.

(٥٣) عن حياض الموت: أي عن ورود حياضه للنهل منه، والتهليل: التكذيب، يقال: هلّل الرجل إذا أجبن في حملته، والمعنى أنهم قوم لا يفرون من مواجهة الموت بل هم يقدمون عليه بشجاعة ويستقبلونه بثبات فلا يقع الطعن إلاّ في نحورهم.

بكرت تلوم وتعذلُ

« من الطويل »

ألا بَكُرتْ عِرسي تلومُ وتعـــذِلِ وغير الذي قالتْ أعفُّ وأجملُ[١]
ولمـــا رأت رأسي تبـــدَّل لونُــه بياضاً عن اللون الذي كانَ أوّلُ[٢]
أَرنَّتْ من الشيب العجيبِ الذي رأت وهل أنتِ منّي وَيبَ غيرِك أمثلُ[٣]
كِـلانـا عَلتـه كـبرَةٌ فكـأنمـا رمتـه سهـامٌ في المفـارقِ نُصَّـلُ[٤]
وقد أَشهدُ الكأسَ الروّيةَ لاهياً أُعلُّ قُبيلَ الصُّبح منها وأُنهلُ[٥]
يُنـازعُنيهـا لِيِّنٌ غـيرُ فـاحِشٍ مُبـادرُ غـايـاتِ التِّجـار معـذَّلُ[٦]

---

(١) بكرت: أسرعت، وعرسُ الرجل: حليلته.

(٢) تبدّل لونه: تغيّر من سواد إلى بياض.

(٣) أرنّت: صوتت وأظهرت جزعاً، والويب: الويل بمعنى الذّم يقول: قد أصابك ما أصابني من الكبر والشيب فلستِ بأمثلِ منّي في ذلك.

(٤) الكبرة: الكبر في السنّ، وعلته كبرة: أي كبر وأسنّ، والسِّهام: كناية عن الشيب الذي حلّ في مفارقه، والنّصل: حديدة السهم، والمعنى أن الزّمن قد رماه بسهام ذهبت نصالها وبقيت في مفارقه فحلّ الشيب مكان الشعر الأسود الفاحم.

(٥) الكأس: الاناء، والرّوية: الممتلئة والغزيرة، ولاهياً: من اللهو، وأُعلُّ: أُسقى منها مرّة بعد مرة، وأُنهل: أشرب.

(٦) ينازعنيها: من المنازعة، وهي المعاطاة وقيل: المجاذبة، والليّن: السهل الخلق، وغير فاحش: أي غير عابس أو متجهم، ومبادر: مسرعٌ، والغايات: الرّايات، قال الأصمعي: كان أصحاب الخمر إذا نزلوا ضربوا رايةً ليعرفوا بها، والتِّجار: المتاجرة والمساومة في البيع والشّراء، والمعذّل: الملوم والمعنى أنه كان يتعاطى كؤوس الخمر مع ندماء يتميّزون بالكرم وحسن الخلق والاسراع إلى ملذّات الشّراب.

اذا غلبتــه الكــأسُ لا متعبِّسٌ حَصورٌ ولا من دونهـــا يتبسَّلُ(٧)
لنا حاجةٌ في صرحةِ الحيِّ بعدَ ما بَـــدا لهمُ أَن يَظعَنوا فتحمَّلوا(٨)
نَشاوى نـديمُ الكـأس منَّـا مرنـحٌ وعِيسٌ مُناخاتٌ عليهنّ أرحُلُ(٩)
وجحـلٌ سلـيمٌ قـد كشفنـا جِلالـه وآخر في انضاء مِسحٍ مُسربلُ(١٠)
وصرمـاءَ مِـذكـارٍ كـأنَّ دوِّيهـا بُعيـد جنـانِ الليـلِ مما يُخيَّـلُ(١١)
حـديـثْ أنـاسيٌّ فلما سمعتُـهُ اذا ليسَ فيه ما أبينُ فأعقلُ(١٢)
قطعتُ بماشيني بها متضـائـلٌ من الطلسِ أحياناً يَخبُّ ويعسِلُ(١٣)
يُحـبُّ دُنوَّ الانسِ منـه ومـا بـه إلى أحدٍ يوماً من الأنس منزلُ(١٤)

---

(٧) غلبته الكأس: أخذت برأسه وأفقدته الخمرة عقله، والمتعبّس: المتجهّم، والحصور: الضيّق والبخيل، والمتبسِّل: الكريه المنظر أو الوجه، والمعنى أن نديه ممّن اعتاد الشراب وعرف آدابه فهو لا يعبس ولا يبخل ولا يعربد.

(٨) صرحة الحيّ: ساحته، والظّعن: الرحيل، وتحمّلوا: تهيّأوا للرحيل.

(٩) نشاوى: من النشوة وهي السعادة التي يحسُّها شارب الخمر، والمرنّح: الذي يتمايل من السّكر، والعيس: النّوق، والأرحل: جمع رحل وهو ما يوضع على ظهر الناقة ليُركب.

(١٠) الجحل: الزِّق، وكشفنا جلاله: أي كشفنا ستوره وفضضنا ختمه والأنضاء: جمع نضو وهو الثوب البالي، والمسح: الثوب من شعر والمسربل: الذي يتسربل بالثوب.

(١١) الصّرماء: الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء، والمذكار: الأرض المخوفة التي لا يسلكها إلاّ الذّكر من الرجال، والدَّويّ: الصوت، وجنان الليل: ظلمته التي تواري الأشياء، ويُخيَّل: يتراءى.

(١٢) أنـاسي: وتجمـع أيضـاً فيقـال: الإنس والآنـاس كلهـا بمعنـى إنسان وجمعٌ لـه، والمعنى انه سمع همهمة أو حديثاً لم يفهمه، وربّما أراد أن عزيف الجنّ كحديث أناسيّ في تلك الصرماء.

(١٣) قطعت: اجتزت، والمتضائل: النحيف، ومن الطلس: من الذئاب وسميّ الذئب أطلس لأن في لونه طلسة أي غبرة تعلوها كدرة، ويخبُّ: من الخبب، وهو نوعٌ من العدو، يقال: خبَّ الفرس أو الجمل أي نقل أيامنه وأياسره في العدو، وخبّ في السَّير: أي أسرع، ويعسل: أي يعدو، والعسلان: عدو الذّئب.

(١٤) دنوّ الأنس: قربهم، ومنزل: يريد نزولا.

تقرَّبَ حتى قلتُ لم يدنُ هكذا ... من الانسِ إلا جاهلٌ أو مضلّلُ(١٥)
مَدى النبلِ، تغشاني اذا ما زجرتُه ... قُشعريرةٌ من وجهه وهو مُقبلُ(١٦)
اذا ما عوى مُستقبلِ الريحِ جاوبتْ ... مَسامِعُه فاهٌ على الزادِ مُعولُ(١٧)
كسوبٌ إلى أن شبَّ من كسبِ واحدٍ ... مُحالِفُه الإقتارُ لا يتموَّلُ(١٨)
كأنَّ دخانَ الرِّمثِ خالطَ لونَه ... يُغلُّ به من باطنٍ ويجلِّلُ(١٩)
بصيرٌ بأدغالِ الضَّراءِ اذا خَدا ... يَعيلُ ويَخفي بالجهاد ويَمثُلُ(٢٠)
تراه سميناً ما شَتا وكأنهُ ... حميٌّ ذا ما صافَ او هو أَهزلُ(٢١)

---

(١٥) يقول: إنّ الذئب اقترب منه حتى أصبح على مرمىً منه، وهذا هو الجهل والتغرير بالنفس ويروى:
«تقرّب حتى قلت ما كان فائتا».
و «تقرّب حتى قلت ما كان كائناً مكانك... ... ...
(١٦) مدى النبل: أي مرمى النبل، ويروى أيضاً: مدى الرمح، و«مدى الصوت» وتغشاه: تعتريه، والزّجر: الطّرد بالصياح وغيره، والقشعريرة: التقبُّض والارتعاد في الجلد.
(١٧) عوى: من العواء وهو صوت الذئب، ومستقبل الريح: أي باتجاه هبوبها الذي يحمل الصوت نحوه، وجاوبت مسامعه: أي إذا قابل الريح دخلت في فمه ثم خرجت من مسامعه لخلاء جوفه، ومعول: مصوّت.
(١٨) كسوبٌ: من الكسب، وكسب واحدٍ: قيل: إن كعباً كان في غنيمات له فأولع الذئب بها حتى أتى على أكثرها وأفناها، فقال: من كسب واحدٍ، أي أنّ الذئب شب متغذّياً على أغنام كعب حتى أفناها، والضمير في محالفه: يعود على كعب، والإقتار: الفقر.
(١٩) الرِّمث: نباتٌ بّريٌّ يشبه الغضا، ودخانه أبيض تعلوه غبرة فتكون إلى الزرقة، وخالط لونه: مازجه وداخله، ويغلُّ به: يدخل، وبه سمّيت الغلالة لأنها تغلل تحت الثياب، والباطن: الداخل، ويجلّل: أي يعلى ويظهر على متنه.
(٢٠) بصيرٌ: خبير، والأدغال: جمع دغل وهو ما واراك من الشجر من الأرض، والضَّراء: الشجر الملتفُّ الذي يستر، وخدا: لم نجد في اللّسان خدا من الخدو، وإنّما خدى من الخدي، يقال: خدى البعير والفرس: أي أسرع وزجّ بقوائمه، ويعيل: يميل في ناحيته، والجهاد: الأرض الصلبة، ويمثل: يظهر وينتصب.
(٢١) الحميّ: الممتنع عن الطعام، وصاف: من الصيف، والهزال: الضعف قال الأصمعي: وصفه بالسمن في الشتاء لأنه يأكل من الأشلاء، وإذا جاء الصيف جهد، يعني أنه محتم، قال: وكلُّ السباع تهزل في الصيف.

كـأنَّ نَساه شِرعــةٌ وكـأنــه اذا ما تمطَّى وجهة الريح محمِلُ[٢٢]
وحمشٌ بصــيرُ المقلتين كـأنــهُ اذا مامشىَ مُستكرهَالريحِ أقزلُ[٢٣]
يكاد يَرى ما لا ترى عينُ واحدٍ يُثيرُ له ما غَيَّبَ التُّربَ مِعولُ[٢٤]
اذا حَضراني قلــتُ لو تعلمانــهِ ألم تعلما أني من الزاد مُرمِــلُ[٢٥]
غُرابٌ وذئـبٌ ينظرانِ مـتى أرى مُناخَ مَبيتٍ أو مقيلاً فأنزلُ[٢٦]
أغـارا عـلى مـا خيَّلتْ وكِـلاهُما سيُخلِفهُ مني الذي كان يأملُ[٢٧]
كـأن شُجـاعيْ رملـةٍ درَجـا معاً فمرَّا بنـــا لولا وقوفٌ ومنزلُ[٢٨]

---

(٢٢) النّسا: عرق في الساق ينحدر من الورك، والشرعة: وتر، شبّه نساه بالوتر لظهوره من الهزال، وتمطّى: امتدّ وطال، وتمطّى في مشيته: تبختر، والمحمل: من السيف: علاقته، يقول: هو دقيقٌ لطيف كمحمل السيف.

(٢٣) الحمش: الدقيق الساقين، ويعني به هنا الغراب، والعرب تقول: أبصرُ من غراب، ولذلك قال: وحمشٌ بصير المقلتين، ومستكره الريح: أي يستقبل الريح فترده لأنه يضعف عنها وتراه كالأقزل: وهو الأعرج، ويروى:

وحَمْشٌ بصــــير المقلتين إذا رأى لــــه طعماً يومي إليــــه ويحجــــلُ

(٢٤) عين واحدٍ: أي عينُ أحد، أي أنه يرى ما لا يراه أحد لحدّة بصره ويروى: «عين ناظرٍ» ويثير له: يستخرج له، والمعول: الآلة التي تثير الترب شبه منقار الغراب بالمعول الذي يحفر الأرض.

(٢٥) المرمل: الذي نفد زاده، يخاطب الشاعر هنا: الذئب والغراب اللذين يأملان أن يسقط منه شيئاً من الزّاد ليأكلانه.

(٢٦) المناخ: من أناخ البعير أي أبركه، وأناخ بالمكان: أقام به وحطَّ رحاله، والمقيل: من القيلولة، وهي الاستراحة عند الظهر حيث يشتدُّ الحرّ، ويروى العجز: مقيل نهارٍ أو مبيتاً فأنزل.

(٢٧) أغار: أي الذئب والغراب، من الغارة، وخيّلت: توهّمت أنّ لها طعاماً حيث كان ينزل في قيلولته، يقول: بأنّها لن يجدا مكان قيلولتي إلاّ ما يخلف ظنّهما.

(٢٨) الشجاعان: مثنى شجاع وهو الحيّة، ودرجا معا: مشيا شبه الذئب والغراب بحيتين مدّتا عنقيها وهما تدرجان نحو غايتهما.

فلم يَجدا إلا مناخَ مطيةٍ — تجافى بها زورٌ نبيلٌ وكلكلُ(٢٩)
ومَضربَها تحت الحصىَ بِجرانِها — ومثنى نَواجٍ لم يخنهنّ مَفصِلُ(٣٠)
وأتلعَ يُلوى بالجديل كأنه — عَسيبٌ سقاه من سُميحةَ جدولُ(٣١)
وموضعَ طوليٍّ وأحناءَ قاترٍ — يئطُّ إذا ما شُدَّ بالنِّسع من عَلُ(٣٢)
وسمرٌ ظِماءٌ واترتْهُنَّ بعدَما — مضت هجعةٌ من آخر الليلِ ذُبَّلُ(٣٣)
سفى فوقهنَّ الترب ضافٍ كأنه — على الفرج والحاذين قِنوٌ مذلَّلُ(٣٤)
ومُضطمرٌ من خاشعِ الطرفِ خائف — لِما تَضعُ الارضُ القواءُ وتحمِلُ(٣٥)

---

(٢٩) لم يجدا: أي الذئب والغراب، ومناخ مطيّة: مبركها، وتجافى: أي لم ترم بنفسها، والزّور: الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين، والكلكل: الصدر.

(٣٠) الجران: باطن العنق وهو ما ولي من الأرض من عنقها، ومثنى نواج: أي عطفها يديها ورجليها في البروك، ولم يخنهنّ مفصل: أي هنّ صلابٌ لم تخنهن مفاصلهن والضمير هنا على اليدين والرجلين.

(٣١) الأتلع: العنق الطويل، والجديل: الزّمام، والعسيب: تشبيهٌ للعنق وهو القضيب من النخل، وسميحة: بئرٌ قديمة بالمدينة غزيرة الماء وقال يعقوب: سميحة بئر بالمدينة عليها نخلٌ لعبيد الله بن موسى.

(٣٢) طوليّ: قطع يكون مع البرذعة وقيل: يعني الزّمام، والأحناء: من الرّحل عيدانه، وقاتر: واقع، وقيل: القاتر من عتاد الملوك، ويئط: يصوّت، والنّسع: سيرٌ من الجلد عريضٌ تشدّ به الرّحال، ومن علُ: أي من فوق أو من أعلى.

(٣٣) السُّمر: البعر يخرج من الناقة، والظماء: أي اليابسة لأنها لم تشرب الماء أيّاماً، وواترتهن: أي أخرجتهنّ الواحدة بعد الأخرى، ولو كانت رطبة لجاءت معاً دون تواترٍ وإفراد، وذبّل: يابسات صفة للبعر.

(٣٤) سفى التراب: نثره وأذراه، وضافٍ: يعني به الذنب الطويل، والفرج: ما بين الفخذين، والحاذين: مؤخّرة الفخذين، والقنو: العذق والمذلّل: المهيّأ المستوي، شبه ذنب الناقة بقنو النخلة.

(٣٥) المضطمر: شخص الرجل نفسه، واضمطاره: انضمامه، وقوله: لما تضع الأرض: أي هو خائف أن يقع على الأرض إذا كان على هذه الناقة والأرض القواء: القفراء التي لا نبت فيها، وتحمل: أي تضمّ من حيوان أو غيره والمعنى: أنه متجمعٌ على ظهر ناقته خوفاً من أن يقع عنها في تلك الأرض المهلكة.

أَنَختُ قلوصي واكتلأتُ بعينِها		وآمرتُ نفسي أَيّ أَمرَيَّ أفعَلُ(٣٦)
أأكلؤُهـا خوفَ الحوادثِ إنهـا		تريبُ على الإنسانِ أَم أَتوكلُ(٣٧)
فأقسمتُ بالرَّحمنِ لا شيء غيرهُ		يمينَ امرئٍ بَرٍّ ولا اتحلَّـلُ(٣٨)
لاستشعرنْ أعلى دريسيَّ مُسلِماً		لوجهِ الذي يُحيي الأنامَ ويقتُلُ(٣٩)
هو الحافظُ الوَسنانَ بالليل ميِّتا		على أنه حيٌّ من النومِ مُثقلُ(٤٠)
منالأسودِ الساريوإن كانثائراً		على حدِّ نابيه السِمامُ المثمَّلُ(٤١)
فلما استدار الفَرقدانِ زَجرتُها		وهبَّ سِماكٌ ذو سِلاحٍ وأعزلُ(٤٢)
فحطَّت سريعاً لم يَخنْها فؤادُها		ولاعَينُها من خشيةِ السوطِ تغفلُ(٤٣)

---

(٣٦) أناخ قلوصه: أبرك ناقته، واكتلأ: احتمى واحترس، وآمر نفسه: شاورها، يقول أناخ ناقته واحتمى في تلك الأرض المفزعة بنظرها الذي أخذ يراقب ما يرتسم عليه من علامات فإن رأى القلق والرّوع رحل وإلاَّ فإنه ينام.

(٣٧) أأكلؤها: أأحفظها، والكالىء: الحافظ، وتريب: تأتي بريب، والرّيب كلّ حادث يؤذي، يقول: أأحفظها مخافة الحوادث والحوادث ترمي الإنسان بما يكرهه.

(٣٨) أقسم: آلى، والبرَّ: الصادق بيمينه، أتحلّل: أي أجد ليميني تحلّةً منها بعذرٍ أو سبب.

(٣٩) لأستشعرنْ: لألبسن، والدّريس: الثوب الخلق، يقول: لألبسنّ ثوبي على الإسلام فكنّى بذلك عن حسن إسلامه وتوكّله على الله الذي يحي ويميت.

(٤٠) هو الحافظ: أي الله سبحانه وتعالى، والوسنان: الذي أصابه الوسن وهو النوم، وشبَّه الذي ينام بالميت.

(٤١) الأسود: الحيّة، والسّاري: الذي يسعى في الليل، والثائر: الزاحف للثأر والذي لا يبالي من يصيب بنهشه، والسّمام: السُّم، والمثمَّل: المجمَّع.

(٤٢) استدار الفرقدان: مالا إلى الغروب وذلك عند الصّباح، والفرقد: نجمٌ قريبٌ من القطب الشمالي يُهتدى به، زجرتها: أي صاح بها وهيّأها للرحيل، والسّماك الرامح، الذي بين يديه كواكب مستطيلة كالرّمح، والسماك الأعزل: الذي لا كوكب أمامه، والسِّماكان: نجمان نيِّران أحدهما في الشّمال: وهو الرامح، والثاني في الجنوب: وهو الأعزل.

(٤٣) فحطّت: أي اعتمدت في الزّمام على أحد شقّيها عند السّرعة ولم يخنها فؤادها: أي لم تجبن أو تضعف.

يقطِّـع سيرَ النـاعجـاتِ ذميلُهـا نجاءً اذا اختبَّ النجاءُ المعوَّلُ[٤٤]
منفَّجـةُ الـدفَّينِ طُيِّن لحمُهـا كما طينَ بالضّاحي من اللِّبنِ مجدَلُ[٤٥]
ودَفٌّ لها مثـلُ الصَّفاة ومرفـق عن الزَّورِ مفتولُ المُشاشةِ أفتلُ[٤٦]
وسالفـةٌ ريَّـا يُبَـلُّ جـديلهـا إذا ما عَلاها ماؤها المتبزِّلُ[٤٧]
وصـافيـةٌ تنفي القـذاةَ كـأنها على الأَين يجلوها جلاءٌ وتُكحَلُ[٤٨]
فمن للقَوافي شانَهـا من يحوكُهـا إذا ما ثوىَ كعبٌ وفوَّزَ جروَلُ[٤٩]
يقولَ فـلا يَعيـا بشيءٍ يقولـهُ ومِن قائليها من يُسيء ويعملُ[٥٠]
يقوِّمهـا حـتى تقوم مُتونُهـا فيقصُرُ عنها كلُّ ما يُتمثَلُ[٥١]

---

(٤٤) الناعجات: الإبل البيضاء أو السّريعة التي يصاد بها نعاج الوحش والذّميل: سرعة السير، والنجاء: السرعة في السّير أيضاً واختبَّ: يقال: اختب الفرس في عدوه إذا راوح بين يديه ورجليه، أي قام على إحداهما مرّة وعلى الأخرى مرَّة، والمعوّل: المحمّل، يقال: عوّل عليَّ في حاجتك: أي حمّلنيها.

(٤٥) المنفّجة: المنتفخة، والدّفّين: الجانبين، والضاهي: الظاهر للشمس، والمجدل: القصر يقول: إنها بنيت باللحم والشحم كما يبنى القصر بالطين واللّبن.

(٤٦) الدفّ: الجانب، والصفاة: الصخرة الملساء، والمرفق: الموصل بين السَّاعد والعضد، والزّور: الصدر، والمشاشة: رأس العظم الليّن الذي يمكن مضغه، يقول: إنها سمنت حتى صارت مثل الصخرة الملساء، كما جعلها فتلاء لئلا تمسّ مرافقها زورها فيصيبها حازٌ أو ناكتٌ أو ضاغط فإذا كانت فتلاء أمنت هذه الأدواء.

(٤٧) السّالفة: صفحة العنق، والريّا: المكتنزة اللحم، والجديل: الزّمام وماؤها: يعني العرق الناضح منها أثناء السير، والمبتزِّل: السائل.

(٤٨) الصافية: يعني عينها، وتنفي: تطرد وتخرج. والقذاة: ما تقع في العين كالتبنة وغيرها، والأين: التعب.

(٤٩) القوافي: الأشعار، ويحوكها: ينظمها، وثوى وفوّز: مات وهلك، وجرول: الحطيئة الشاعر.

(٥٠) يقول: أي يقول القصائد والأشعار، ويعيا: يعجز أو لا يستطيع الإحكام.

(٥١) يقوِّمها: يعدلها ويصلح اعوجاجها، والهاء عائدة على القوافي، يريد أنه يقوّم القوافي كما تقوّم السّهام، والمتون: جمع متن، وهو حدّ السيف والسهم، ويقصد هنا القوافي في القصائد.

كفيتكَ لا تلقىَ من الناس شاعراً تنخَّلَ منها مثلَ ما أتنخَّلُ[٥٢]

(٥٢) كفيتك: أغنيتك علماً وأقنعتك، وتنخّل: اختار وصفّى شعره.

امن أمِّ شدّادٍ

« من الطويل »

أَمِنْ أُمِّ شدّادٍ رسُومُ المنـــــازلِ توهّمتها من بَعدِ سافٍ ووابلِ(١)
وبعــدَ ليــالٍ قــد خلونَ وأشهُرٍ على إثرِ حَولٍ قدْ تجرَّمَ كاملِ(٢)
أرى أُم شدادٍ بهــا شبــهَ ظبيــةٍ تُطيفُ بمكحولِ المدامعِ خاذلِ(٣)
أغنَّ غضيضِ الطرفِ رخصٍ ظُلوفُه ترودُ بمعتَمٍّ من الرَّملِ هائلِ(٤)
وترنو بعينيْ نعجــةٍ أمِّ فَرقَــدٍ تَظلُّ بوادي روضةٍ وخمائلِ(٥)

---

(١) رسوم المنازل: آثارها الباقية بعد الرحيل، والسّافي: الريح التي تسفُّ التراب فتمحو معالم الدّيار، والوابل: المطر الغزير، يقول: إنه توهّم رسوم الدّيار توهّماً بعد أن عفت الرياح والأمطار والأتربة معالمها.

(٢) الحول: العام، وتجرم: انقضى.

(٣) الظّبية: أنثى الظبي، وهي الغزالة التي شبّه الشعراء محبوباتهم بها، وتطيف: تتخيّل إليه، والمدامع: مجرى الدّمع، والخاذل: المتخلّف عن أمه، يقول: إنّ أمّ شدّاد بدت له وكأنَّها ظبية كحيلة تسير خلف أمها.

(٤) الأغنّ: الذي في صوته غنّة لصغره، وغضيض الطرف: فاتره، والرّخص: الليّن الناعم، والظلوف: جمع ظلف، وهو ظفر ضخم مشقوق يكون لبعض الحيوانات كالبقر والشاة والظباء، وترود: تذهب وتجيء للرَّعي، والمعتمّ: التام، والهائل: الذي لا يتماسك إذا وطيء.

(٥) ترنو: تديم النظر، والروضة: البقعة يجتمع فيها الماء تنبت البقل، والخمائل: البقعة التي نجم شجرها ونباتها.

وتخطو عـــلى بَرديَّتين غَـــذاهُما أهاضيبُ رجّافِ العشيات هاطل(٦)
وتفــترُّ عن غُرِّ الثنــايــا كــأنهــا أقاحٍ تروّى من عُروقٍ غلاغِلِ(٧)
ليــالي نحتــلُّ المراضَ وعيشُنــا غريرٌ ولا نُرعى الى عَذلِ عاذلِ(٨)
فأصبحتُ قد أنكرتُ منها شمائلاً فما شئتَ مِن بُخلٍ ومِن منعِ نائلِ(٩)
وما ذاكَ عن شيءٍ اكونُ اجترمتهُ سِوى أنّ شيباً في المفارقِ شاملِي(١٠)
فإن تصرِميني ويبَ غيرُكِ تُصرمي وأُوذنتِ إيذانَ الخليطِ المزايلِ(١١)
إذا مـا خليـلٌ لم يَصِلكَ فلا تُقِم بتلعتـهِ واعمـدْ لآخرَ واصلِ(١٢)

---

(٦) البرديّتان: مثنّى برديّة وهي نبات معروف قال الأعشى:
«كبرديّة الغيل وسط الغريسف ساق الرّصاف إليه غديرا»
والأهاضيب: جمع هضبة وهي الدفعة من المطر، والرجّاف: صوت الرّعد الذي يصحب البرق وهطول المطر، والهاطل: المطر الليّن الوقع شبّه ساقي أمِّ شداد ببرديّتين لبياضها وصفائها واستوائها.

(٧) تفترُّ: تبتسم، والغرّ: البيض والثنايا: أسنان مقدّم الفم، والاقاح: نبات له زهرة صفراء في الوسط تحيط بها أوراق من الزّهر الأبيض يشبّه الشعراء بها الأسنان، وتروّى: أي ترتوي، وعروقٍ غلاغل: أي عروقٍ متغلغلة في الأرض فهي تسقيه ليشرق ويضوع.

(٨) نحتلُّ: نتزل، والمراض: اسم موضع، والغرير: الناعم الهادىء، ونرعى: نستمع، والعذل: اللوم.

(٩) الشّمائل: الخلائق والطباع، واحدها شمال، والنائل: العطاء، يريد أن أمّ شدّاد تغيّرت وأبدلته صدوداً بعد وصالٍ وإقبال.

(١٠) اجترمته: اقترفته، والجرم: الذنب، يريد أن ذلك الانكار ليس لقاء جرمٍ اقترفه ولكنّه نفور من ذلك الشيب الذي شمل مفارقه.

(١١) الصّرم: الهجر والقطيعة، وويت: بمعنى ويحٌ وويل وويس، والخليط: الشريك في الجوار وغيره، والمزايل: المفارق، يقول: إن تصرميني فأنا أيضاً أردُّ على ما بدا منك بالهجر والفراق.

(١٢) الخليل: الصاحب والزوج والحبيب، والوصل: الاقبال وتبادل المودّة، والتلعة: ما ارتفع من الأرض، أو ما انهبط من الأرض والحدر، وهي هنا مكان الاقامة، يقول: إذا أبدى الخليل لك صدوداً فلا تقم حيث يقيم واهجره إلى آخر تجد لديه الحبّ والوصال.

ومُستهلكٍ يهدي الضلولَ كأنه حصيرُ صَناعٍ بينَ أيدي الرواملِ(١٣)
متىَ ما تشأ تسمعْ إذا ما هَبطته تراطُنَ سِربٍ مَغربَ الشمسِ نازلِ(١٤)
رَوايا فِراخٍ بالفلاةِ توائمٍ تحطَّمَ عنها البيضُ حُمرِ الحواصلِ(١٥)
توائمَ أشباهٍ بغيرِ علامةٍ وُضِعْنَ بمجهولٍ من الارضِ خاملِ(١٦)
وَخرقٍ يخافُ الركبُ ان يُدلجوا بهِ يَعضُّونَ مِن أهوالِه بالانامِلِ(١٧)
مَخوفٍ بهِ الجِنَّانُ، تعوي ذئابهُ قطعتُ بفتلاءِ الذراعينِ بازلِ(١٨)
صَموتِ السُّرى خرساءَ فيها تلفُّتٌ لِنبأةِ حقٍّ أو لتَشبيهِ باطلِ(١٩)

---

(١٣) المستهلك: الطريق الواضح المستوي، والضلول: الضال التائه، والصناع: المرأة الحاذقة بالعمل، والروامل: النواسج للحُصر، وقد تقدّم ما يشبه ذلك حين قال:

وراحبٍ كحصير الراملات ترى من المطيّ على حافاته جيف

(١٤) هبطته: نزلته وسرت فيه، والتراطن: الأصوات الأعجمية التي لا تفهم، والسّرب: القطيع من القطا.

(١٥) روايا فراخ: أي أنّها تحمل الماء إلى فراخها لترويها، وتوائم: جمع توءم، وتحطَّم: تكسَّر، وحمر الحواصل: أي لم ينبت عليها ريش ولا زغب، يقول: إن اسراب القطا تجتاز ذلك الطريق لتحمل الماء إلى أفراخها الحديثة الولادة.

(١٦) أشباه: أي متشابهة، والمجهول: المكان الذي لا يعرف، والخامل: المجهول.

(١٧) الخرق: المتسع من الأرض، والمهمة، ويدلجوا: يسيروا في الليل، والإدلاج سير الليل كلّه، ويعضّون من أهواله الأنامل: كناية عن الرُّعب والأسف.

(١٨) الجنّان: جمع جنّ، وقدر أن العرب يعتقدون بوجوده في الأماكن النائية الموحشة، وتعوي ذئابه: تصوّت من الجوع والهزال، وفتلاء الذراعين: يريد أنَّ ذراعي ناقته قد مالا عن زورها، والبازل: الذي طلعت نابه من الابل، ويكون في العام التاسع من عمره، وليس بعد البزول سنّ.

(١٩) الصموت: التي لا ترغو من ضجر السُّرى والتعب، والسُّرى: السير ليلاً، والنبأة: الصوت الخفيّ، يقول: إنها ناقة صموت كثيرة التلفّت والانتباه واليقظة، روعاء ممّا ترى وممّا لا ترى.

تظلُّ نُسوعُ الرحلِ بعدَ كلالِها لهنَّ اطيطٌ بين جوزٍ وكاهلِ(٢٠)
رفيعِ المحالِ والضلوع نمتْ به قوائمُ عُوجٌ ناشِزاتُ الخصائلِ(٢١)
تُجاوبُ أصداءً وحيناً يَروعُها تضوَّرُ كسَّابٍ على الركبِ عائلِ(٢٢)
عُذافرةٍ تختالُ بالرحلِ حُرةٍ تُباري قِلاصاً كالنَّعامِ الجوافلِ(٢٣)
بوقعٍ دِراكٍ غيرِ ما مُتكلَّفٍ إذا هبَطتْ وعَثاً ولا مُتخاذلِ(٢٤)
كأنّ جريري ينتحي فيه مِسحَلٌ مِنَ القُمرِ بين الانعمينِ فعاقلِ(٢٥)
يُغرِّدُ في الارضِ الفلاةِ بعانةٍ خِماصِ البطونِ كالصِّعادِ الذوابلِ(٢٦)

---

(٢٠) النّسوع: الحبال واحدها نسع، وهو سيرٌ من جلدٍ عريض تشدُّ به الرِّحال. والرّحل: ما يوضع على ظهر الجمل ليُركب، والكلال: التعب والإعياء، والأطيط: الصَّرير: والرحل يئطُّ إذا شدّ بالأنساع، والجوز: الوسط من كلّ شيء، والكاهل: ملتقى فروع الأكتاف، يقول: هي على كلالها ودأبها لا تقلق نسوعها لإجفار جنينها واكتناز لحمها.

(٢١) المحال: فقار الظهر، الواحدة محالة، ونمت بها: ارتفعت، وقوائم عوج: أي قوائم طوال. والناشزات: المرتفعات أو الخصائل: جمع خصيلة وهي كلّ عضلة أو لحمة منبترة في سائر الجسد.

(٢٢) الأصداء: جمع صدى، وهو طائرٌ كالبوم كان العرب يزعمون أنّه يخرج من رأس القتيل يصيح مطالباً بالثأر، وتجاوب أصداءً: يعني الناقة، ويروعها: يخيفها، والتضوّر: صوت الذئب، وهو أن يلويه تلوية عند الجوع، والكسَّاب: المحترف، والعائل: المحتاج وذو العيال.

(٢٣) العذافرة: الناقة القوية الشديدة، وتختال: من الخيلاء، والرّحل: ما يوضع على ظهرها ليركب عليه، والحرّة: الكريمة، وتباري: تعارض في السّير، والقلاص: الفتيّ من الإبل، والجوافل: المذعورات اللائي يسرعن في الفرار.

(٢٤) التكلّف: تحمّل الأمر على مشقة أو على غير عادة، والوعث: كلُّ ليّن الموطىء وليس بكثير الرمل جداً، ولا متخاذل: أي السير الذي لا تخذلها فيه قوائمها، يقول: إنها تباري القلوص بوقعٍ من سيرها متدارك ليس فيه تكلّف أو انخذال لفضل كرامتها ونجابتها.

(٢٥) الجرير: الزّمام من الجلد، وينتحي: يعتمد: والمسجل: العير، والقُمر من الحمير: للبيض البطون، والأنعمان: اسم موضع، وعاقل: جبل.

(٢٦) يغرّد: يصوّت، والعانة: الجماعة من الحمير، والخماص: الضوامر، والصّعاد: واحدتها صعدة وهي القناة القصيرة، والذوابل: التي ذبلت بعض الذبول.

ونازحةٍ بالقيظِ عَنها جحاشُها وقد قَلصتْ أطباؤها كالمكاحلِ(٢٧)
وظَــلَّ سَراةَ اليوم يُــبرمُ أمرهُ برابيةِ البحَّاءِ ذاتِ الاعابلِ(٢٨)
وهمَّ بوردٍ بــالرُّسيسِ فصــدَّهُ رجالٌ قُعودٌ في الدُّجى بالمعابلِ(٢٩)
إذا وردتْ مــاءً بليــلٍ تعرَّضــتْ مخافةَ رامٍ أو مخافةَ حابلِ(٣٠)
كأنّ مُدَهدى حنظلٍ حيثُ سوَّفت بأعطانِها مِن لَسِّها بالجحافلِ(٣١)

---

(٢٧) النازحة: أي الأتان التي بعدت عنها جحاشها، والقيظ: شدّة الحرّ، وقلّصت: ارتفعت وغرزت البانها، والأطباء: الأخلاف، يقول: ذهب لبنها فجفّت ضروعها فصارت كالمكاحل الفارغة.

(٢٨) سراة اليوم: أعلاه، ويبرم أمره: يريد أنه يتردّد أو يدفعها لذا أم لذاك، والبحّاء: موضع بأرض بني أبان، والأعابل: حجارة بيض.

(٢٩) وهمَّ بوردٍ: أي بشربٍ، والرُّسيس: ماءٌ ويقال: واد، وصدّه: منعه، والدّجى: جمع دجية وهي ما يبنيه الصائد ليستتر به، والمعابل: النصال العراض، يقول: إنه همَّ بورود الماء في ذلك المكان فصدّه رجال يكمنون في الدّجى لاقتناصه.

(٣٠) تعرَّضت: أخذت تتلفّت يمنة ويسرة، والرامي: القناص الذي يرمي بالسهم، والحابل: الذي ينصب الحبالة والشّرك.

(٣١) المدهدى: حيث يدحرج، ودهده الحجر: دحرجه، والحنظل: نبات معروف شديد المرورة، وسوّفت: شمّت، والأعطان: جمع عطن وهو مبرك الدابة وحيث تنام، وشبّه جزّها النبت بجحافلها بآثار الحنظل، واللسّ: الأخذ بأطراف الجحافل، والجحافل: جمع جحفلة وهي شفة ذوات الحافر، يقول: إنها أخذت تلسُّ ذلك النبت بأطراف الجحافل لأنه قصيرٌ أوّل طلوعه فلم تتمكن من قضمه.

تعاورها الوشاة[1]

« من الوافر »

ألا أسماءُ صَرَّمْـــتِ الحِبـــالا   فـأصْبَحَ غَـادِيـاً عَزَمَ ارْتِحَـالا[2]
وذاتُ العِرضَ قَـدْ تَـأتي إذا مـا   أرادَتْ صُرْمَ خُلَّتِهـــا الجِمالا[3]
تَعَـــاوَرَهـــا الوُشاةُ فَغَيَّروهـــا   عن الحالِ التي في الدَّهرِ حالا[4]
ومَنْ لا يَفْثَـــإِ الواشِينَ عَنْـــهُ   صَبـــاحَ مَسَاءَ يَبْغُوهُ الخَبَـــالا[5]

---

(١) قال كعب هذه القصيدة في رجل من مزينة قتلته الأوس والخزرج، وهي ليست في رواية أبي عبيدة والأصمعي، ولكنّها ممّا انفرد بروايتها أبو عمرو وإسحاق بن مرار الشيباني.

(٢) ألا: حرف استفتاح للعرض، وأسماء: إسم علم، وصرّمت: قطعت، والحبال: هنا ما يربط الرجل والمرأة من ودٍّ وعلاقة، والغادي: المبكّر في ارتحاله، يقول: عزم على الرّحيل بعد أن قطعت أسماء حبال المودّة.

(٣) وذات العرض: أي ذات الحسب، وذكر العرض هنا للمدح، والعرض: ريح الرّجل الطيِّبة أو الخبيثة، ويروى: وذات العرق» وهو الحسب والنسب، يقول: إن ذات العرض الممدوح إذا أرادت أن تصرم خلّتها فعلت فعلاً جميلاً وأبقت للمراجعة موضعاً.

(٤) تعاورها الوشاة: تداولوها وغيّروها عن الحال التي كانت في الدّهر إلى حال أخرى، ويروى: « فبدّلوها » بدلاً من غيّروها، وتعاورها الوشاة أيضاً: اكتنفوها من كلّ جانب وصرفوها عمّا كانت عليه من المواصلة.

(٥) يفثأ الواشين عنه: يردّهم ويكسر كيدهم، يقال: فثأتَ غليان القدر: إذا صببتَ فيه بماءً، وأخرجت الوقود من تحتها تسكّن غليانها، والخبال: الفساد وذهاب العقل والرأي.

فَسَلِّ طِـــلابَهَـــا وتَعزَّ عَنهـــا بنـاجِيـةٍ كـأنَّ بهـا خيـالا[٦]
أَمونٌ مـا تَمَـلُّ ومـا تَشكَّـى إذا جَشَّمْتَهـا يومـاً كـلالا[٧]
كـأنَّ الرَّحـل منها فَوْقَ جـأبٍ يُقَلِّـبُ آتُنـاً خُلُجـاً حِيـالا[٨]
مـن الـلاَّتي أَلِفنَ جنـوبَ إيـرٍ كـأنَّ لهنَّ من سِبـتٍ نِعـالا[٩]
يظـلُّ جبينـه غرضـاً لسمرٍ كـأنَّ نُسورَها حُشيتْ نِصالا[١٠]
أجشُّ تخالـهُ عِلقـاً إذا مـا أرنَّ عـلى جواحِرهـا وجـالا[١١]

---

(٦) فسلِّ طلابها: أي اسلُ عن طلبها ودع ذلك، وتعزّ عنها: أي تصبّر عنها، والناجية: الناقة السريعة، وكأنّ بها خيالا، قالوا جميعاً هو فعال من الخيلاء وهو التبختر، ويروى: «كأن به حتالا» وقال أبو عمرو: لا أعرف الحتال في كلام العرب، فإن كانوا تكلّموا به فمعناه كأنّ بها جنوناً من نشاطها ومرحها.

(٧) أمون: الناقة الموثّقة الخلق التي يؤمن عثارها وسقطتها، وتملّ: يصيبها الملل من السّير عليها، وتشكّى: أي تتشكّى من التعب، وجشّمتها: أي كلّفتها وحملتها مشقة السفر، والكلال: الإعياء والتعب.

(٨) الرّحل: ما يوضع على ظهر الدّابة ليركب عليه، والجأب: الغليظ من حُمُر الوحش، ويقلّب أتناً: أي يصرّفها كيف يشاء، والأتن: جمع اتان وهي الحمارة الوحشية، والخلج: التي اختلجت من أولادها ففصلت عنها جحاشها، والخلوج: التي اختلج عنها ولدها بذبح أو بموت، والحيال: جمع حائل وهي التي حال عليها الحول فلم تحمل.

(٩) إير: أرض بعينها، أو هي جبل لبني الصارد بن مرّة بن غطفان، والسِّبت: جلود البقر المدبوعة بالقرظ وهو شجر له ورقٌ يدبغ به، يقول: كأنَّ لهُنَّ من صلابة حوافرهن نعالاً من سبت.

(١٠) الغرض: الهدف، والسّمر: الحوافر، والنسور: جمع نسر، وهي لحمة صلبة في بطن الحافر كأنها نواةٌ، والنّصال: جمع نصل وهو حديدة السهم والسيف والرمح والسّكين، يقول: إنّ هذا العير يعنف بهذه الآتن عند سوقها فإذا قرب منها لغاية رمحته بحوافرها فأثّرت في جبينه آثاراً.

(١١) أجشّ: أصابته الجشّة، والجشّة: البحّة في الصوت أي الغلظ، وتخالُهُ: تظنّه، والعلق: الذي في حلقه علقة من الماء غصّ بها، ويروى: «غلقاً» من الغلق وهي الحدّة، وأرنّ: صوت والجواحر: المتخلّفات من الدواب، وجال: أي تحرّك في اثرهنّ يريد جمعهنّ.

فأبلِغ إن عرَضْتَ بنا رسولاً ... أبا المملوح إنَّ له جَلالا[١٢]
أَمودٍ خلْفُكم هرماً ولما ... تذُوقوا منْ عداوتنا وبَالا[١٣]
ولما تفْعلوا إلا وعيداً ... كفى بوعيدكم لهم قِتالا[١٤]
وعيدٌ تخدِجُ الأرحامُ منه ... وينقلُ مِن أَماكِنها الجبالا[١٥]
خفيفُ الغيثِ تُعجب من رآهُ ... مَخيلتهُ ولم تقطُرْ بلالا[١٦]

* * *

---

(١٢) عرضت: مررت وجزت، والجلال: العظمة والهيبة ويروى: «أبا الملواح» أو «أبا الممنوح».

(١٣) أمودٍ: من أودى أي أهلك، والمودي: الهالك، وخلفكم: أولادكم والوبال: الشدّة وسوء العاقبة، يقول: أتراكم يهلككم الهرم وأولادكم ولم تذوقوا من عداوتنا الشدّة وسوء العاقبة.

(١٤) الوعيد: التهديد، يقول: لم يصدر عنكم إلاّ القول وعيداً لهم وليس هناك فعل، وإنّما يهزأ بهم.

(١٥) تخدج: أي تضع لغير تمامٍ من الخوف، ويروى: وعيداً بالنصب، يقول على سبيل الهزء: إن وعيدكم يسبّب الاجهاض وينقل الجبال من أماكنها.

(١٦) ويروى: خفيفَ الغيث بالنصب، ويكون بذلك نعتاً للوعيد في البيت السابق، والمخيلة: أوّل السّحاب إذا نظرت إليه خيّل إليك أنه يمطر لا محالة ثم تزجيه ريحٌ متفرّقة، ولم تقطر: أي لم تمطر، والبلال: ما بلّ وجه الأرض، إن وعيدكم كسحابٍ يحسب الرائي له أنّه مصيبه بمطرٍ ولكنّه سرعان ما يتلاشى أدراج الرّياح.

العلم يجلو الشّكّ

« من الطويل »

صَمُوتٌ وَقوَّالُ فلِلْحِلْمِ صَمْتُـــــهُ ... وبالعِلْمِ يجلو الشَّكَّ مَنْطِقُهُ الفصْلُ(١)
فتىً لم يَدَعْ رُشداً ولم يأتِ مُنكراً ... ولم يَدْرِ من فَضْلِ السماحة ما البُخْلُ(٢)
بـه أنجبتْ للبَـدرِ شمسٌ منـيرةٌ ... مُباركةٌ يَنمى بها الفرعُ والأَصل(٣)
إذا كان نَجْلُ الفَحْلِ بين نَجيبةٍ ... وبين هِجانٍ مُنْجِبٍ كَرُمَ النَّجل(٤)

---

(١) صموتٌ: من الصمت، وقوّال: من القول، والحلم: العقل والأناة، والفصل: الحكم الذي يفصل بين الحق والباطل.

(٢) السّماحة: الكرم والبذل.

(٣) ينمي: يكبر ويسمو، والفرع: ما بني على غيره وتفرّع منه، يقال: هذا الشيء فرع من ذلك الأصل، والأصل: الحسب والنسب.

(٤) النّجل: الولد، والنّسل، والنجيبة: الكريمة العنيفة، والهجان: الكريم الأصل، والمنجب: الذي يلد أولاداً نجباء كرام، والمعنى أنّ الكريم السّيد لا يلد إلاّ كريماً سيّداً.

من حطّه الله فلا رافع له

« من الطويل »

وليسَ لمنْ لمْ يركــبِ الهوْلَ بُغْيَــةٌ ... وليس لِرَحْلٍ حَطَّهُ اللهُ حاملُ[1]
إذا أنتَ لم تُقْصِرْ عن الجَهْلِ والخَنا ... أَصَبْتَ حليماً أو أصابك جاهلُ[2]

بعض الرّماة بنبل الصيد مقتول

« من البسيط »

طاف الرُّماةُ بصيْدٍ راعهم فإذا ... بعضُ الرماة بنبلِ الصيدِ مقتولُ[3]

★ ★ ★

(١) يركب الهول: يخوض الشدائد والأمور العظيمة، والبغية: ما يبتغى من المطالب، والرحل: ما يوضع على ظهر الدابة ليركب عليه، وحطّه الله: وضعه يقول: الرّجال على قدر أفعالها فالعظيم لا يبتغي إلا الأمور العظيمة، ومن يضع الله من قدره فلا رافع له.

(٢) تقصر: تمتنع وتعرض، والخنا: الفحش في الكلام، يقول: إذا أنت لم تعرض عن الجهل والكلام القبيح فإنك ستصيب بكلامك حليماً عاقلاً أو ستتعرّض لإساءة جاهلٍ أحمق.

(٣) طاف: جال وسعى، وأحاط، والرّماة: المصطادون بالسّهام، وراعهم: أخافهم وأعجبهم، يقول: إنّ الرماة أحاطوا بصيدٍ أعجبهم فأيقنوا بصيدٍ كثير ولكنْ ليس كلّ ما يعجب المرء يكون خيراً له فربّما كان الهلاك بسبب شيءٍ أعجبك فيصير الصائد طريدة وقنصاً.

غال حلمك غول

« من الطويل »

أترجو اعتذاري يا بن أروى ورجعتي عن الحقِّ قِدْماً غالَ حِلْمَكَ غُولُ[١]
وإنَّ دُعـائي كـلّ يومٍ وليلـةٍ عليـك بمـا أسدَيتَـه لَطويـلُ[٢]
وإنّ اغـترابي في البـلادِ وجفوتي وَشتْميَ في ذات الإلـه قليـلُ[٣]

* * *

(١) ابن أروى: هو الخليفة الثالث عثمان بن عفّان رضي الله عنه، والرجعة عن الحق: العودة عنه بعد الاهتداء إليه، وغال: ذهب، والحلم: العقل، والغول: الداهية والهلكة وكلّ ما يذهب بالعقل، يريد أنه لن يرجع عن الحق الذي عرفه.

(٢) دعائي عليك: سخطي، ودعا عليه: أي تمنّى له الشرّ، ودعا له: أي تمنّى له الخير، وأسدَيته: عملته وقدّمته.

(٣) اغترابي في البلاد: أي طوفانه فيها، والجفوة: الإعراض عن العشير والغلظ في العشرة، وذات الإله: حقه ودينه.

وارث المجد والكرم(١)

« من الطويل »

أتعرفُ رسماً بينَ رَهمان فـالرَقمْ ... الى ذي مراهيطٍ كما خُطّ بالقَلَمْ(٢)
عَفته رياحُ الصيفِ بعدي بمورِها ... وأنديةُ الجوزاء بالوبلِ والدِّيَمْ(٣)
ديـارُ الـتي بتَّتْ قُوانـا وَصرَّمت ... وكنتُ اذا ما الحبلُ من خُلةٍ صَرمْ(٤)
فزِعـتُ الى وجنـاءَ حرفٍ كـأنها ... بأقرابها قارٌ اذا جلدُها استحمْ(٥)

---

(١) لمّا بلغ مزرد بن ضرار ذكر كعب لنفسه وللحطيئة في شعرٍ ولم يذكر فيه إلى جانبها، غضب وقال مخاطباً كعب:

أنـت امرؤٌ من أهـل قـدس أوارة ... أحلّتـك عبـد الله أكنـاف مبهـل

فنفى كعباً من عبد الله بن غطفان، فردَّ كعبٌ عليه في هذه الأبيات.

(٢) الرّسم: أثر المضارب، ورهمان والرقم وذي مراهيط: أسماء لمواضع متقاربة، يقول: إن أثر ذلك المنزل قد درس فلم يبق منه إلاّ خطّاً كخط الكاتب في صحيفته.

(٣) عفته: محته، ومورُ الرياح: تحرُّكها وإثارتها للترب والرّمال، وأندية الجوزاء: يعني المطر، والوبل: المطر الشديد الوقع، والدّيم: جمع ديمة، وهو مطر يدوم مع سكونٍ أيّاماً.

(٤) بتّت: قطعت، وقُوانا: طاقات شعرنا، جعلها هاهنا لحبل المودّة، وصرّمت: قطّعت، والخلّة: الصديقة والمودة.

(٥) فزعت: لجأت، والوجناء: الناقة القويّة الصلبة، والحرف: الناقة، والأقراب: الخواصر، والقار: القطران، واستحم: طلي بالقار.

ألا أبلِغــا هــذا المعرِّض أنــه
أيقظانَ قال القولَ إذ قال أم حَلَمْ(٦)

فــان تسألِ الأَقوامَ عني فــإنني
أَنا ابن أَبي سُلمَى على رَغْم مَن رَغِمْ(٧)

[أنا] ابن الذي قد عاش تسعين حجةً
فلم يَخزَ يوماً في مَعَدٍّ ولم يُلَمْ(٨)

وأكرَمــه الأَكفــاءُ في كــلِّ معشرٍ
كِرامٍ فان كذَّبتَني فاسألِ الأُممْ(٩)

أتى العُجمَ والآفاقَ منه قصائدٌ
بَقينَ بَقاءَ الوحي في الحجَرِ الأصمّْ(١٠)

أَنا ابن الذي لم يخزُني في حياته
ولم أخزهُ حتى تغيَّب في الرَّجمْ(١١)

فأعطيَ حتَّى مات مالاً وهِمَّةً
وورَّثني إذ ودَّع المجدَ والكرَمْ(١٢)

وكــان يُحـامي حين تنزلُ لزْبــةٌ
من الدهر في ذبيانَ إن حوضُها انهدمْ(١٣)

أقولُ شبيهاتٍ بما قال عالماً
بهنَّ ومن يُشبه أبــاهُ فما ظَلَمْ(١٤)

وأَشبَهتهُ من بين مَن وطىء الحصى
ولم ينتزعني شبهُ خالٍ ولا ابن عمّْ(١٥)

---

(٦) المعرّض: الذاكر له بشعر ينتقص قدره ومكانته، أيقظان: من اليقظة، والحلم: من النوم.

(٧) على رغم من رغِم: أي على كره من كره.

(٨) الحجّة: العام، ولم يخز: لم يذل، ومعدّ: قبيلة تنسب إلى معدّ بن عدنان أبي العرب، ولم يُلَم: لم يعذل على قولٍ أو فعل.

(٩) الأكفاء: أمثاله في السّيادة والكرم، والمعشر: القوم.

(١٠) العُجم: من ليسوا عرباً كالفرس وغيرهم من الأمم التي كان للعرب صلةٌ بهم في الجاهلية، والوحي: الكتاب، وهنا بمعنى الكتابة، والمعنى أنّ قصائده خالدة خلود الكتاب.

(١١) أخزاه: أذلّه، وتغيّب في الرَّجم: أي مات ودفن، والرَّجم: الحجارة التي توضع على القبر دلالةً عليه.

(١٢) المعنى: أنه حُبي الغنى والسؤدد وأورث بنيه المجد والكرم والرفعة.

(١٣) يحامي: يدافع، واللَّزبة: الشدّة، وذبيان: قبيلة الشاعر، وقوله: إن حوضها انهدم: أي إن نالها سوء أو مكروه أو تفرّق شملها لسبب.

(١٤) أقول شبيهات: أي أنظم قصائد كقصائده، وعالماً بهنّ: أي أنّ والده كان مدرِّبه على نظم الشعر، والمعنى أنّ قصائده شبيهةٌ بقصائد أبيه في الجزالة والمتانة.

(١٥) وطىء الحصى: داس التراب من الخلق، ولم ينتزعني: أي لم أردّ في خلقي وتكويني إلى عمٍّ أو خال، بل كنت شبيهاً بأبي.

إذا شئتُ أعلَكْتُ الجموحَ اذا بَدَت نواجذُ لَحيْيَه بأغلظِ ما عَجَمْ[١٦]
أعيَّرتني عِزاً عزيزاً ومَعشراً كِراماً بنوالي المجدَ في باذخٍ أشمْ[١٧]
همُ الأَصلُ مني حيث كنتُ وإنني من المُزنيِّينَ المُصفّينَ بـالكرَمْ[١٨]
همُ ضربوكم حين جُرْتُمْ عن الهُدى بأسيافهم حتى استقمتم على القيِمْ[١٩]
وساقتـكَ منهم عُصبةٌ خِنـدفيَّـةٌ فما لك فيهم قيدُ كفٍّ ولا قَدَمْ[٢٠]
همُ منعوا حزنَ الحِجـازِ وسهلـه قديماً وهم أجْلوا أباكَ عن الحَرَمْ[٢١]
همُ الاسدُ عند البأسِ والحشدِ في القرى وهم عند عقدِ الجارِ يوفون بالذِّممْ[٢٢]
فـكم فيهمُ من سيـدٍ متوسِّعٍ ومن فاعلٍ للخير ان همَّ أو عزَمْ[٢٣]

---

(١٦) أعلكت: أمضغت، والجموح: من الخيل وغيرها المتمرّدة والشاردة، والنواجذ: التي تلي الأنياب من الأضراس، ولحييه: فكّيه، وبانت نواجذ لحييه: أي فتح فاه حتى ظهرت، وعجم: عضّ والمعنى أنه قادرٌ على أن يروض الجموح ويسلس انقياده له.

(١٧) أعيّرتني: أي نسبت لي العار وقبيح الفعل أو النّسب، والباذخ: العالي والرفيع، والأشم: ذو الإباء والرفعة والسّيادة.

(١٨) من المزنيّين: أي من قبيلة مزينة المضرية.

(١٩) جُرتم عن الهدى: أي ابتعدتم عن الحق أو خرجتم عليه، واستقمتم على القيم: أي رجعتم إلى الحقّ والصواب والدّين القيّم الذي لا عوج فيه، يذكّره هنا وقعة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام مع قومه.

(٢٠) العصبة: الجماعة، وخندفيّة: نسبة إلى خندف امرأة إلياس بن مضر بن نزار، واسمها ليلى، نسب ولد إلياس إليها وهي أمهم، والقيد: القدر، يقال: بينهما قيد كذا، أي مقدار كذا، يريد أن ليس له فيهم مكان القيادة أو الرياسة.

(٢١) الحزن: ما غلُظ من الأرض، وأجلوا: أبعدوا، أي أنّ تلك العصبة هم الذين أبعدوكم عن أرض الحجاز والحرم العتيق.

(٢٢) البأس: الشدّة والحرب، والحشد: الجمع، وحشد القوم: جمعهم وحشد القوم للقرى: أي جمعهم للطعام والضيافة، والعقد: الميثاق والحلف.

(٢٣) المتوسِّع: المتفضّل والمنعم على الناس من سعة، وهمّ أو عزم: أي أن الخير في أفعاله ونواياه، ويروى زعم بدلاً من عزم، وزعم هنا بمعنى: كفل وضمن، يقال: أنا زعيمٌ لك في ذلك الأمر: أي أنا كفيل وضامن له.

متى أدْعُ في أوسٍ وعُثمانَ يأتِني مساعيرُ حربٍ كلُّهم سادةٌ دِعَمْ(٢٤)

(٢٤) أوس وعثمان: هما ولدا عمرو بن إدّ، وأمّهما مزينة بنت كلب بن وبرة، والعدد والشّرف في ولد عثمان، والمساعير: الذين يسعرون الحرب ويوقدون نارها، والدِّعم: جمع دعامة وهي التي يدعم بها البيت والبناء.

صلاها من النار جاحم

« من الطويل »

وهــاجِرةٍ لا تستريــدُ ظِبــاؤهــا لأعــلامِهــا من السّرابِ عمائمُ(١)
ترى الكاسِعاتِ العُفر فيها كأنما شواها فصلاَّها من النارِ جاحِمُ(٢)
نصَبتُ لها وجهي على ظهرِ لاحِبٍ طحينِ الحصى قد سهَّلتَهُ المناسِمُ(٣)
تراه إذا يَعلو الأَحِزَّةَ واضحـــاً لِمن كان يَسري وهو بالليلِ طاسمُ(٤)

---

(١) الهاجرة: وقت اشتداد الحرّ منتصف النهار، ولا تستريد: أي لا ترود وقت الحرّ فتذهب وتجيء، والأعلام: الجبال، والسّراب: ما يشاهد في وسط الطريق وخصوصاً في الصحراء عند اشتداد الحرّ كأنّه ماء، يقول: إن الجبال بدت من شدّة الحرّ وكأنها لبست السّراب وتقنعت به حتى صار لها كالعمائم.

(٢) الكاسعات: المستنفرات بأذنابها من الحرّ حيث تضعها بين أفخاذها، وقال بعضهم: التي تكثر حركتها، وليس شيء من ذوات الأربع أكثر لألأة وحركة وحيكاناً من الظباء، والعفر: اللواتي ألوانها على لون العَفر وهو التراب، وهي أضعف الظباء، وشواها: أنضجها الحرّ، وصلاها: أحرقها، والجاحم: الموقد للنار، ويُروى: «ترى الكانسات».

(٣) نصبت لها وجهي: أي للهاجرة يقول: سرتها وقطعتها، واللاّحب: الطريق المذلّل أو المستقيم، والمناسم: جمع منسم وهو طرف خفٍّ الجمل، يقول: إنه قطع تلك الهاجرة على ظهر طريق طحنت حصاه المناسم فصار ذليلاً للسّير.

(٤) الأحزّة: ما غلظ من الأرض، وعلا الأحزّة: ركبها واخترقها، والواضح: المبين لمن سرى عليه، يقول: هذا الطريق لا تراه وفيه علامات تدلك عليه، ويسري: من السُّرى، وهو سير الليل كلّه، والطاسم: بمعنى الطامس أي الذي لا يُرى بالليل لظلمة الليل.

زجرتُ عليه حُرّةَ الليط رفّعتْ | علـى ربـذٍ كـأنهنّ دعـائمُ(٥)
تخالُ بضاحي جِلدها ودفوفِها | عصيمَ هناءٍ أعقدته الحناتِمُ(٦)
يظلُّ حصَى المعزاءِ بين فُروجِها | إذا مـا ارتمتْ شروانهنَّ القوائمُ(٧)
فُضاضاً كما تنزُو دَراهِمُ تاجرٍ | يُقَمِّصُها فَوْقَ البَنانِ الأَباهِمُ(٨)
كأنّي كَسَوتُ الرَّحْلَ جوناً رباعياً | تضَمّنَـهُ وادي الجَبَا والصَرائمُ(٩)
أتى دُونِ ماء الرَّسِّ بادٍ وحاضِرٌ | وفيها الجِمامُ الطامِياتُ الخضَارِمُ(١٠)
فَصدَّ فأضْحَى بالسّليلِ كأنّه | سِلِيبُ رِحالٍ فوْقَ علياءَ قائمُ(١١)

---

(٥) زجرت: من الزّجر وهو سوق الابل وحثّها على السّير بالصياح، والحرّة: الناقة الكريمة العتيقة، والليط: الجلد، ورفّعت: بالغت في السّير، وربذ: خفيفة القوائم في سيرها يريد أنّها سريعة، والدّعائم: أساطين من خشب شبّه قوائمها بها.

(٦) تخال: تظنّ وتحسب، وضاحي جلدها: ظاهره وما برز منه، ودفوفها: جنوبها، والعصيم: أثر الهناء وهو القطران، وأعقدته: جمّدته، والحناتم: الخوابي التي طال مكثه فيها حتى انعقد وتجمّد.

(٧) المعزاء: الأرض الغليظة التي يكثر فيها الحصى الصغار، وفروجها: هو الخواء الذي بين قوائمها، وارتمت: من الرّمي يعني قوائمها وطئت الأرض، وشرواتهنّ: شروى: جانباً، وشرواتهن: يريد به هاهنا يميناً وشمالاً وإنّما تفعل قوائمها ذلك بالحصى لشدّة سيرها ونشاطها الذي يثيره بين فروج قوائمها هنا وهناك.

(٨) الفُضاض: ما تفرّق من الشيء عند كسره، وتنزو: تتفلّت أو تتحرّك، ويقمّصها: ينزّيها ويرفعها، وذلك إذا نقد الصرّاف الدّراهم فطنّ أي صوت، وارتفع، والأباهم: جمع إبهام.

(٩) الرّحل: ما يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، والجون: حمار في لونه غبرة تضرب إلى السّواد، ورباع: في سنّه، والرّباعي من الحيوان: الذي ألقى رباعيته، والجبا: وادٍ معروف، والصرائم: جمع صريم وهو الرمل المنقطع من معظم الرمل.

(١٠) الرّس: بئر قديمة معروفة، أو كل بئر قديمة رسّ، والجمام: جمع جُمَّة وهي البئر الكثيرة الماء، والطاميات: التي ارتفع ماؤها وغزر، والخضارم: الغزيرة الماء، يقول: أتى دون هذا الماء بدوٌ وقوم حضر حالوا بين هذا الحمار وبين وروده.

(١١) صدّ: امتنع الحمار وارتاب ولم يرد الماء خوفاً من قانص يكمن له، والسّليل: يصبُّ في الرّمة بأرض بني أسد، وقال أبو عمرو: السّليل والسَّيَّال وجمعه سُلَّان: وادٍ ينبت =

يُقَلِّبُ للاصواتِ والرِّيحِ هادياً تَمِيمَ النَّضِيِّ برَّصَتْهُ المكادِمُ(١٢)
وغائرةً في الحِنْوِ دَارَ حَجاجُها لها بَصرٌ ترمي به الغيبَ ساهِمُ(١٣)
ورأساً كدَنِّ التِّجْرِ جأباً كأنَّما رَمَى حَاجِبيْهِ بالجلاميدِ رَاجِمُ(١٤)
وفُوهُ كشرْخِ الكُورِ خانَ بأسرهِ مَسامِيرُه فحِنْوه مُتَفاقِمُ(١٥)
كِلا مَنخَرَيهِ سائفاً ومُعَشِّراً بما أنصبَّ من ماءِالخياشِيمِ رَاذِمُ(١٦)

= الينمة وهي بقلة تنبت في السهول ودكاك الأرض لها ورق طوال لطاف محدّب الأطراف عليه وبر أغبر كأنه قطع الفراء، وزهرتها مثل سنبلة الشعير، وسليب رحال: كأنه رجل قد سلب ما عليه من ثياب فهرب، والعلياء: المكان العالي من الأرض.

(١٢) يقلّب: يحرّك ويصرّف، والهادي: العنق، والتميم: التّام، والنّضيُ: العنق، والنّضيُ: القدح بلا ريش ولا نصل، شبّه العنق به في تمامه واستوائه، وبرَّصته: عضّضته وكدَّمته فكأن به من عضاضها برصاً يقول: إذا ما سمع صوتاً انحرف، وإذا هبّت الريح تحرّك لها من شدّة العطش.

(١٣) الغائرة: العين، والحنو: حنو الرّأس وهو جانبه، وقال بعضهم: الحنو مستدار العين، والحجاج: العظم المشرف على العين وهو منبت شعر الحاجب من الانسان، ولها بصرٌ: يعني العين عندها، والغيب: ما تغيّب عنها وابتعد، وساهم: متغيّر، وسئل أعرابيٌّ عن السّاهم فقال: هو المتغيّر من شدّة العطش.

(١٤) الدنّ: زقّ الخمر، والتِّجر والتِّجار: الخمّارون، والجأب: الغليظ، شبّه رأسه بدنّ التِّجر لكبره والجلاميد: الحجارة الصلبة، والرّاجم: الذي يرمي بالحجارة، شبّه الآثار في حاجبيه من رمحها إيّاه بآثار حجارة وإنّما سرق هذا المعنى من قول أوس بن حجر:

ورأساً كدنّ التِّجر جأباً كأنما رمى حاجبيه بالحجارة قاذف

(١٥) الشّرخ من كلّ شيء: حرفه الناتىء البارز، والشّرخ: الشقّ، والكور: الرّحل، شبّه فاه بشرخ الكور لفتحه إيّاه وقوله: بأسره: يريد بشدّه بالقدّ، وإنّما أراد خان أسره، فأدخل الباء ولا موضع لها في الذّكر، والحنو: العود المعوج، والجانب، والمتفاقم: المتباعد، شبّه فاه حين فتحه بحنو قد انفرج لـمّا انتزعت مساميره.

(١٦) سائفاً: شامّاً من السّوف، ومعشّراً: من التعشير وهو النهيق، والمعشّر: الذي إذا نهق، نهق عشراً متوالية لم يقصر عنها، وقيل: التعشير هو الصوت بعينه، والرّاذم: السائل، والخياشم: واحدها حيشوم وهو أصل الأنف.

فَهُنَّ قِيــــامٌ يَنتظِرْنَ قَضـــــاءَه وهُنَّ هَوادٍ للرَّكيِّ نواظِمُ(١٧)
وفي جانبِ الماء الذي كان يَبْتغي به الرِّيَّ دَيَّابٌ إلى الصَّيْدِ عالِمُ(١٨)
ومِنْ خَلْفِــه ذُو قُــترَةٍ مُتَسَمِّــعٌ طَويلُ الطَّوَى خِفٌّ بها مُتعالِمُ(١٩)
رفيـقٌ بتنضيـدِ الصَّفا ما تَفوتُـهُ بِمُرْتَصَـدٍ وَحْشِيَّـةٌ وهو نـائِمُ(٢٠)
فلمَّا آرتدى جُلاًّ من الليلِ هَاجها إلى الحائرِ المسجون فيهِ العَلاجِمُ(٢١)
فلمّــا دَنــا للماءِ سافَ حِيـاضَــه وخاف الجبانُ حَتْفَه وهو قائِمُ(٢٢)
فوافَيْنَـه حتى إذا مـا تَصَوَّبتْ أكـارِعُـه أهْوَى لَـهُ وهو سادِمُ(٢٣)
طَليـحٌ من التّسْعَـاء حَتَّـى كـأنَّـهُ حَديثٌ بِحُمَّى أَسأرتَها سُلالِمُ(٢٤)

---

(١٧) قضاءه: أمره أو انتهاءه، وهوادٍ: يهتدين: والرّكيّ: البئر ذات الماء، ونواظم: أي شعبة يتبع بعضها بعضا، يقول: إنهنّ ينتظرن قضاء الحمار ما يصنع، وهنّ عارفات بموضع الماء لا يجدن عنه ولكنّهنَّ ينتظرن أن يرد الفحل فيردن.

(١٨) الرِّيّ: من الارتواء، والدّيّاب: الذي يمشي متمهّلاً ويتسلّل إلى غايته بحذر وبطء، وهو هنا: القانص.

(١٩) القترة: ناموس الصائد، وهو ما يبنيه كالبيت ليستتر فيه والطّوى: الجوع، والخفّ: الخفيف.

(٢٠) الصّفا: جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم، وتنضيد الصفا: بناؤها، والمرتصد: مكان الرّصد والمراقبة.

(٢١) ارتدى جلاًّ من الليل: أي ستره الظلام، وهاجها: نفّرها وحرّكها وساقها، والحائر: مكان فيه ماءٌ مجتمع له حاجز يحجز الماء أن يفيض، والعلاجم: الضّفادع الواحد عجلوم.

(٢٢) دنا: اقترب، وساف: شمّ، وحياض الماء: مجتمع الماء، والحتف: الموت والهلاك، والقائم: المنتصب والمقيم.

(٢٣) فوافينه: من وافى موافاةً: أي أتينه وأدركنه، وتصوّبت: تسفّلت، يريد غاصت أكارعه بالماء، والأكارع: جمع كراع وهو من الدّواب ما دون الكعب، ومن البقر والغنم: مستدقّ السّاق، وأهوى له: رماه، والسّادم: الحريص المتمرّن على الرّمي.

(٢٤) الطليح: المعي، والتسعاء: من السّعي، وإنّما يصف هنا صائداً قد شحب لونه وهزل لابتذاله نفسه واكتداحه، وحديثٌ بحمّى: يقول: إذا عاين الصّيد أصابته الرّعدة كما تصيب المحموم، وأسأرتها: أبقتها، وسلالم: قرية من قرى خيبر.

لطِيــفٌ كصُــدَّادِ الصَّفَــا لا تغُرُّه | بمُرتَقَبٍ وَحْشِيَّةٌ وهو حـازمُ(٢٥)
أخو قُتُراتٍ لا يزال كـــأنَّـــه | إذا لم يُصِبْ صيْداً من الوَحش غارمُ(٢٦)
يُقَلِّــبُ حَشْراتٍ ويختَــارُ نــابـلٌ | من الرِّيش ما التَفّتْ عليه القَوادمُ(٢٧)
صَــدَرْنَ رِوَاءً عن أَسِنَّــة صُلَّــبٍ | يَقِئْنَ ويَقْطُرْنَ السَّامَ سَلاجمُ(٢٨)
وصَفْراءَ شَكَّتْهَــا الأسِرَّةُ عُودُهــا | على الطَّلِّ والأنْداءِ أَحْمَرُ كاتمُ(٢٩)
إذا أُطرَ المربوعُ منهــا ترنّمــتْ | كما أرزمَت بَكرٌ على البوِّ رائمُ(٣٠)

---

(٢٥) الصدّاد: دويبة والجمع صدادي، ويقال: إن الصُّداد هو سامٌّ أبرص، والصّفا: جمع صفاة وهي الصخرة العريضة الملساء، وقوله: لا تغرّه: أي لا تغترّه، والمرتقب: مكان المراقبة، وحازم: أي لا ينام لأنّ الصائد يقظان متوقعٌ للوحش، ولطيف: أي لاطىء الشخص مختبىء.

(٢٦) القترات: واحدتها قترة وهي مكمن الصائد الذي يكمن فيه ويستتر للصيد، والغارم الذي أصابه غرمٌ فهو حزين، يقول: إنّه صائد متمرّس يشعر بالحزن إذا لم يصب صيداً ويأخذه همٌّ كهمِّ المطالب بدين.

(٢٧) يقلّب: يتفحّص، وحشرات: سهام ملصقات القذذ، والقذذ: هي ريش السّهام واحدتها قذّة، والنّابل: الحاذق يعمل النّبل، والقوادم: جمع قادمة وهي ريشات في مقدّم الجناح.

(٢٨) صدرن: من الصدور وهو الارتداد عن الماء بعد الارتواء منه، ورواءً: أي مرتويات من الشّراب، ويعني برواء: شحذه النّصال، والصلَّب: حجارة المسن، ويقئن: من القيء، والسِّام: السُّمُّ القاتل، والسّلاجم الطوال، يقول: إنّ نصاله كانت مرهفة مسنونة وطويلة يقطر الموت الزؤام منها.

(٢٩) الصفراء: القوس، وشكَّتها: دخلتها، والأسرّة: خطوط، وإذا كانت القوس ذات أسرّة كان أحسن لعودها وأعتق لها، وكاتم: ليس فيه صدعٌ من طرفها إلى طرفها الآخر، يقول: إذا كان ذلك اليوم الذي يندى فيه كل شيء ويتغيّر، لم ينتقص عودها ولا لونها يتغيّر وكانت على حالها لأنها عتيقة العود، وقيل: الكاتم التي لا تصوّت، فإذا صوّتت كان أذمّ لها لأنّها تنفّر الصيد.

(٣٠) أطر: عُطِف، والمربوع: وتر من أربع طاقات، وترنّمت: صوّتت، وأرزمت: من الإزرام وهو حنين الناقة، والبوّ: جلد يحشى تبناً ثمّ يعلّق عند عضد الناقة، فإذا رأته سكنت، ورائم: عاطف، شبه صوت الوتر بصوت الناقة العاطف على البوّ.

فأَوْرَدَها في عُكْوَةِ الليلِ جوْشَناً ... لأكفالِها حتى أتى الماءَ لازمُ(٣١)
فلما أرادَ الصَّوْتَ يوماً وأشْرَعتْ ... زَوَى سهمه عَاوٍ من الجِنّ حارِمُ(٣٢)
فمرَّ عـــــلى مُلْسِ النَّواشِرِ قَلَّما ... تُشبِطُهُنَّ بـــالخَبـــارِ الجَرَاثِمُ(٣٣)
ومَرَّ بـأكنَـافِ اليـدَيْنِ نَضِيَّـهُ ... ولِلحَتْفِ أحْياناً عن النّفْسِ عاجِمُ(٣٤)
يُعَضُّ بإِبْهامِ اليَـدَيْنِ تَنَـدُّماً ... ولَهَّـفَ سِرَّاً امّـه وهو نـادمُ(٣٥)
وقـالَ ألا في خَيْبـةٍ أنْتِ مِنْ يـدٍ ... وجَذَّ بِذِي إِثْرٍ بَنانَكِ جاذِمُ(٣٦)
وأصْبَـحَ يَبْغِي نَصْلَـهُ ونَضِيَّـهُ ... فريقَيْنِ شَتَّى وهو أَسْفانُ واجِمُ(٣٧)

---

(٣١) أوردها: جعلها ترد الماء، وعكوة الليل: معظمه، وجوشناً: يقال: جوشن الليل: وسطه وصدره، والأكفال: جمع كفلٍ وهو مؤخّر الدابة، ولازم: أي ملازم لها: يقول: إنه أوردها الماء في الليل وظلّ ملازماً أكفالها حتى أوردها.

(٣٢) الصّوت: من صات يصوت بمعنى نادى، وأشرعت: مدّت أيديها ودخلت في الشريعة أي مورد الماء فصفّت قوائمها لتشرب، وزوى سهمه: عدله عنها، والحارم: الذي حرمه السّهم، قال أبو عمرو: ليس من وحشيّةٍ إلاّ وعليها جنيٌّ يركبها.

(٣٣) مرّ: يعني السّهم، والملس: التي ليس بها داء والنّواشر: عروق باطن الذّراع، وتشبّطهُنَّ: تعوقهن، والخبار: الأرض اللينة والجراثم: تراب يجتمع ويتكوّن في أصول الشجر، يقول: إن سهمه مرّ على نواشرها فلم يضرها، ولم يعقها عن الفرار عائق.

(٣٤) ومرّ: أي السهم، والأكناف: جمع كنف وهو الجانب والناحية، والنضيّ: من السّهم ما بين الرّيش والنصل، والحتف: الموت والهلاك، والعاجم: هنا بمعنى العاصم والمانع، وعجم العود أو نحوه: عضّه ليعلم صلابته من رخاوته، وعجم الشيء: امتحنه واختبره، ولعلّه يريد: أنّ الموت أحياناً يعجم الإنسان مختبراً له دون أن يهلكه.

(٣٥) لهّف: قال والهفتاه أي استغاث، يقول: إن الصائد قد عضّ أنامله أسفاً وأكثر من التلهّف على ما فاته من الاقتناص.

(٣٦) جذّ: قطع، وذو الأثر: حدّ السيف، والجاذم: القاطع يريد: إنه دعا على يده من خيبته بالقطع.

(٣٧) النصل: حدّ السهم والسيف والرّمح والسكين والنّضي: القدح بغير نصل أو ما بين الرّيش والنّصل، وقوله: فريقين شتّى: يريد أنّ النصل خرج فصار على حدة وصار الفوق على حدة، وأسفان: غضبان وواجم: حزين مطرق.

وَصــاحَ بهــا جــأبٌ كــأنَّ نُسُورَهُ   نَوىً عَضَّه منْ تَمرِ قُرَّانَ عاجمُ(٣٨)
وقَفَّى فـأضْحَى بـالسِّتـارِ كـأنَّـه   خَلِيعُ رِجَالٍ فوْقَ عَلْياء صائمُ(٣٩)
قليــلُ التَّــأنِّي مُسْتتِــبٌّ كــأنّــه   لها واسِقٌ يَنْجو بها الليلَ غانمُ(٤٠)
فورّكَ قِـدْراً بــالشَّمالِ وضَلْفعـاً   وحـاذَتْـه أعْـلامٌ لهـا ومخـارمُ(٤١)
وأمَّ بهـا مـاء الرَّسيسِ فصَوَّبتْ   لِلَيْنـةَ وانْقضَّ النّجومُ العواتمُ(٤٢)
فَـلم أرَ مَوْسوقـاً أقـلَّ وتِـيرةً   ولا واسِقاً مـا لمْ تخُنْـه القوائمُ(٤٣)

(٣٨) وصاح بها: أي بالحمر، والجأب: الغليظ، ونسوره: جمع نسر، وهو لحمة صلبة في باطن حافره من أعلاه كأنها حصاة أو نواة، وقرّان: قرية باليمامة نخلها يحمل تمراً صلب النّوى، والعاجم: المختبر لصلابته، وعجم العود: عضه ليعلم صلابته.
(٣٩) وقفّى: اتبع، يريد أنه تبع الأتن التي يسوقها، والسِّتار: إسم موضع، وخليع رجال: أي منبوذ وهارب، والعلياء: المكان العالي المشرف، والصائم: القائم السّاكن الذي لا يطعم شيئاً.
(٤٠) قليل التأنّي: يعني العير قليل الرفق بالأتن عند سوقها، ومستتب: أي جادٌّ في سوقها، والواسق: السائق الذي يجمعها فلا تشذّ، وينجو: يمضي بها سريعاً، والغانم: الذي غنم بشيء فأسرع به إلى أهله، يقول: هذا الجأب يجمع الحمر فلا يدعها تتفرّق، فكأنه في ذلك غازٍ أغار فغنم فأسرع بالأوبة إلى أهله ودياره.
(٤١) ورّك: جاوز وقطع، وقدر: إسم موضع، وضلفع: إسم موضع، وحاذته: قابلته، والأعلام: الجبال، والمخارم: جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل.
(٤٢) أمّ: قصد، والرّسيس: ماء لبني أسد، وصوّبت: مالت وانحدرت وجرت، ولينة: بئر عذبة بطريق مكّة، وانقضَّ: هوى، والنجوم العواتم: التي تظلم من غبرة في الهواء.
(٤٣) الموسوق: المطرود، والوتير: الإبطاء والفتور والتواني، والواسق: الطارد، يقول: لم أر أقل وتيرةً أي أسرع منها ومنه ما لم تخنه قوائمه فيضعف.

إن غدا واحداً لا يتقي الظلم[1]

« من البسيط »

يقولُ حيَّايَ مِن عوفٍ ومن جُشمٍ   يا كعبُ ويحكَ هَلاَّ تشتري غنما[2]
مـاليَ منهـا إذا مـا أَزْمـةٌ أَزَمـتْ   ومِن أوَيسٍ إذا ما أنفهُ رذَما[3]
أخشى عليهـا كسوبـاً غـيرَ مُـدَّخرٍ   عاري الأَشاجعِ لا يُشوى إذا ضغما[4]
[إذا تلوَّى بلحم] الشاةِ تـبرَّهـا   أشلاءَ برْدٍ ولم يجعلْ لها وَضما[5]

---

(١) وردت هذه الأبيات أو بعضها في الأزمنة والأمكنة للرزوقي «ج ٢» ص٣٣٦ طبع الهند» وفي محاضرات الرّاغب «ج٢ ص ٣٩٢ طبع جمعية المعارف المصرية، قالها كعب وقد رامه قومه أن يشتري غنماً للقنية.

(٢) احّياي: مثنّى حيّ، وعوف وجشم: بطنان من القبائل، وهلاّ: كلمة تحضيض مركبة من «هل» و «لا» ودخولها على الفعل المضارع يكون للحثّ على الفعل أي الشّراء هنا.

(٣) قوله: ما لي منها: استفهام تقرير، وأزمت: أشتدت، والأزمة: الضيق والشدّة، وأويس: تصغير أوس، ورذم: سال.

(٤) أخشى: أخاف، وعليها: أي على الغنم، والكسوب: الذئب وليس في السّباع أكسب منه، وغير مدّخر: أي لا يبقي على شيء، يريد أنّ قُوْتَهُ مقدار ما يأكل، ثم يدع الباقي ويعود في الطلب مرّة أخرى، وعاري الأشاجع: أي العروق والأعصاب المتصلة بالأصابع وأصولها لشدّة هزاله، ولا يشوى: أي لا يخطىء بل يصيب المقتل، والضغم: العضّ.

(٥) تلوّى: انعطف، وفي الأرمنة «إذا تولّى» وتبّرها: مزّقها كما يخرّق البرد، والبرد: الثوب المخطّط يلتحف به، وأشلاء: قطع، والوضم: الخشبة التي يقطع عليها الجزّار اللحم.

إن يَغـدُ في شيعـةٍ لم يثنـهِ نهرٌ وإن غدَا واحداً لا يتقي الظّلِما[٦]
وإن أطـافَ ولم يَظفر بضـائنـةٍ في ليلـةٍ ساورَ الأقوامَ والنّعما[٧]
وإن أغـارَ ولم يحْـلَ بطـائلـةٍ في ظُلمـةِ ابنِ جمير ساورَ الفُطُما[٨]
إذْ لا تزالُ فريسٌ أو مُغبّبـةٌ صيداءُ تنشِجُ من دونِ الدماغِ دما[٩]

(٦) الشيعة: القوم والتّبع والأصحاب، والنّهر: الزّجر والانتهار، وقيل: من النّهار: أي الضوء، والظّلم ها هنا من الظّلم.

(٧) أطاف: من الطواف، ويظفر: يحظى، والضائنة: النعجة، من الضأن وساور: واثب، والنّعم: المواشي الداجنة.

(٨) أغار: من الغارة، ولم يحْلَ: يقال: ما حليت بشيء: أي لم أصب منها شيئاً، وابن جمير: الليل والظلمة وقيل: أظلم ليلة في الشهر، والفطم: السّخال التي فطمت.

(٩) الفريس: الفريسة، والمغبّبة: التي أكلها الذئب وأفلتت وبها شيء من الحياة، ويروى «أو مغبّرةٌ» بدلاً من «أو مغبّبة» والصيداء: المائلة العنق، وقيل: الشجّة التي توضح وتنشج: ترمي بالدم وله صوت كالنّشيج.

تقولُ ابنتي

« من الطويل »

تقولُ ابنتي ألهى أبي حُبُّ أرضِهِ   وأعجبَـهُ إلـفٌ لهـا ولزومُهـا[1]
بَل آلْهى أباها أنه في عِصابةٍ   برهانَ أمسى لا يعـادُ سقِيمُهـا[2]
تساقوا بمـاءٍ من بـلادٍ كـأنـه   دماءُ الأَفاعي لا يُبلُّ سليمُها[3]
مُجاجاتِ حيَّاتٍ إذا شربوا بها   سَما فيهمُ سُوّارُهـا وهميمُهـا[4]

---

(١) ألهى: شغل، وألف المكان: تعوّد واستأنسه، يقول: إن ابنته تقول: إن أباها شغله حبّ المكان عن السعي فهو مستأنسٌ به وملازمٌ له.

(٢) بل: حرف عطف وإضراب، ينفي الحكم عمّا قبله ويجعله لما بعده، والعصابة: الجماعة، ورهان: وادٍ في ديار عبدالله بن غطفان، ويعاد: يُزار، والسقيم: العليل.

(٣) تساقوا: أي سقى بعضهم البعض، وقوله: بماء: أي من ماء ولا يبلُّ: لا ينجو ولا يبرأ، والسّليم: اللديغ، سمّي بالسّليم تفاؤلاً بالنّجاة، ويقصد بالماء هنا: الخمر.

(٤) المجاجات: ما مجّ من السّم والعقار، وسما: صعد، وسوارها: سورتها، والهميم: الدّبيب، وهو أثر الخمر في الشّارب.

البكاء سفاه

« من المتقارب »

أمن دِمنــةِ الــدَّارِ أقوتْ سنينــا   بكيتَ فَظَلْتَ كئيباً حزينا[١]
بهــا جَرَّتِ الرَّيــحُ أَذيــالَهــا   فلم تُبقِ من رسمها مُستبينا[٢]
وذكَّرنيهـــا عـــلى نـــأيهـــا   خيـالٌ لهـا طـارقٌ يعـترينـا[٣]
فلما رأيـــتُ بـــأن البكـــاءَ   سفـاهٌ لـدىَ دِمنٍ قـد بلينـا[٤]
زجرتُ عـــلى مـــا لـــديَّ القلو   ص من حزنٍ وعصيتُ الشؤونا[٥]
وكنـتُ إذا مـا أعـترتني الهمومُ   أُكلِّفهـــا ذاتَ لوثٍ أمونـــا[٦]

---

(١) دمنة الدّار: آثارها الدّالة عليها، وأقوت: خلت من ساكنيها وأقفرت.

(٢) جرّت الريح: هبّت فسحبت ومحت، وأذيالها: مآخيرها، والرّسم: الأثر، والمستبين: الواضح، يقول هبَّت الريح فمحت في هبوبها ما تبقى من رسوم تلك الدّيار بما سفته من الرمّال والأتربة.

(٣) النأي: البعد، والطارق: الزّائر ليلاً، واعتراه: ألـمَّ به يقول: رغم البعد فإن خيالها لم يفارق ذاكرته.

(٤) السّفاه: من السفه، وهو الجهل والخفّة والطيش، وبليت الدّمن: اندثرت وامّحت وحلّ بها البلاء.

(٥) زجرت القلوص: صحت بها سائقاً لها، والقلوص: الناقة، والشؤون: مجاري الدمع، يقول: إنه امتطى ناقته ووجّهها إلى غايته رغم دموعه واحزانه التي لم يشأ لها أن تمنعه وتستوقفه.

(٦) اعترته الهموم: ألّمت به، واللوث: الشدة والقوّة، والأمون: الناقة القوية التي يؤمن عثارها.

عُـــذافِرةً حُرَّةَ الليـــطِ لا سقوطـاً ولا ذاتَ ضِغنٍ لجونـا(٧)
كــأني شَددتُ بــأنساعِهــا قُويرحَ عـامينِ جـأباً شَنونا(٨)
يقلِّـــبُ حُقبـــاً ترى كلهنَّ قَـدْ حَملـتْ وأسرَّت جنينـا(٩)
وحـــلاهنّ وخـــبَّ السَّفـــا وهيَّجهنَّ فلما صَـــدينـــا(١٠)
وأخـلفهـنّ ثِمـادَ الغِمـارِ ومـا كُنَّ مِن ثـادقٍ يحتسينـا(١١)
جعلنَ القِنـانَ بـإبـطِ الشِّمالِ ومـاءَ العُنـابِ جَعلنَ اليمينـا(١٢)
وبَصْبَصنَ بينَ أداني الغَضـــا وبين عُنَـــيزةَ شأواً بَطينـــا(١٣)

---

(٧) العذافرة: الناقة الشديدة الأمينة الوثيقة الظّهر، وحرَّة الليط، حسنة اللون، والليط: الجلد، والسّقوط: الضعيفة في سيرها، ولا ذات ضغن: يريد أنها ليس لها هوىً سوى هوى راكبها، واللّجون: الحرون التي لا تنقاد إلى صاحبها، أو الثقيلة المشي.

(٨) الأنساع: جمع نسع وهو حبل أو سيرٌ من جلد عريض تشدُّ به الرّحال، وقويرح عامين: يعني عيراً مضى على طلوع نابه سنتان، والجأب: الغليظة، والشنون: بين المهزول والسّمين، يقول: كأن أنساعها على عير فلاةٍ فتي من نشاطها وصلابتها.

(٩) يقلّب: يتصرف كيف يشاء، والحقب: جمع حقباء وهي الأتن، وأسّرت: أخفت، والجنين: ما في بطن الحامل.

(١٠) حلأهنّ: منعهن الورد إلاّ أن يريدهو، والحليُّ: نبات بعينه، وهو من خير مراتع أهل البادية للنّعم والخيل، وإذا ظهرت ثمرته أشبه الزرع إذا أسبل، وخبّ النبات والسّفى: ارتفع وطال، وخبّ السّفى: جرى، وخبّ الرّجل خبّاً: منع ما عنده، والسّفا: شوك البهمي، وهو مثل شوك السنبل عند شدّة الحرّ، وهيجهن: أثارهن، وصدين: عطشن، يقول: إنه منعهن ورود تلك النباتات قبل وروده وآثارهنّ حتى أصابهنّ العطش.

(١١) الثماد: الماء القليل، وثماد الغمار: ماء الغمار، والغمار: إسم موضع، وثادق: ماء، وهذه مياه على طريق المدينة، واحتسى الماء: شرب.

(١٢) القنان: جبل لبني أسد، وماء العناب: أراد ماء العنابة، وهو ماء.

(١٣) وبصبصن بأذنابهن في شربهنّ: أي حرّكنها، ويكون بصبص من قولك: شأوٌ بصباص أي بعيد، وبطين: واسع بعيد يقول: إن ما بين شرابهن في أداني الغضا وعنيزة مكان متسعٌ وبعيد.

فـأبقيـنَ منــهُ وأبقــى الطِّراد   بطنـاً خميصـاً وصُلبـاً سمينـا(١٤)
وعوجـاً خِفــافـاً سِلامَ الشَّظــى   ومِيظــبَ أُكمٍ صليبــاً رزينــا(١٥)
اذا مـــا انتحــاهــنَّ شؤبوبـــهُ   رأيــتَ لجــاعِرتيــه غُضونــا(١٦)
يُعضضهنّ عضيـــــضَ الثِّقــــاف   بـــالسمهريَّـــةِ حـــتى تلينــا(١٧)
ويكــــدمُ أكفــالهـــا عـــابساً   فبـــالشـدِّ من شرِّه يتقينــــا(١٨)
إذا مــا انتحــت ذاتَ ضَغنٍ لــه   أصرَّ فقــد سلَّ منهـا ضُغونـا(١٩)
لــهُ خلـفَ أدبـارِهـا أزمـلٌ   مكانَ الرقيبِ مِنَ الياسرينا(٢٠)

---

(١٤) الطّراد: من المطاردة أي الملاحقة أثناء الاصطياد، والخميص: الضامر البطن، والصلب: عظم الظهر، يقول: إنّ الطّراد أبقى لهنّ بطوناً ضامرة وظهوراً مكتنزة.

(١٥) عوجاً خفافاً: أي قوائم طويلة، وخفافاً نعت لعوج، والشّظي: عظم لاصقٌ ببطن الذراع، وسلام الشظي: أي لم يعب شظاها، والميظب: مفعل من المواظبة، والأكم: جمع أكمة: وهو التل، يقول: يلج به على الأكم إذا ركبها وعلاها.

(١٦) انتحاهن: مال بهنّ، وشؤبوبه: حدّة دفعه لهنّ، والجرعتان: حرفا وركي الدّابة المشرفان على الفخذ، والغضون: جمع غضن، وهو تشنّجٌ في الجلد، وهنا بمعنى آثار وكدوح من عضّهنّ اياه.

(١٧) الثّقاف: حديدة أو خشبة تقوّم بها الرمّاح وتسوى، والسّمهريّة: الرّماح المنسوبة إلى «سمهر»، وتلين: تخضع: يقول: إنّه يعضّهن حتى ينقدن له.

(١٨) يكدم: يعضُّ، والأكفال: جمع كَفَلْ وهو من الدابة مؤخرها، يقول: إنه يكدم أكفالها فتسرع اتّقاءً لشرّه.

(١٩) انتحت: مالت إلى مكان غير مكانها، والضغن: الحقد، وأصرّ: صوّت، وسلّ منها ضغوناً: وهو أن تكون معه فتخالفه إلى مرعى آخر فلا يدعها وذاك بل ينهرها ويصرُّ عليها، فذلك هو سلّه ضغناً منها.

(٢٠) الأدبار: جمع دُبُر: وهو من الشيء مؤخرته، والأزمل: الصوت المختلط، وكلّ صوتٍ من أصوات الناس والدّواب والذبّان إذا سمعته مختلطاً فهو أزمل، والرقيب: الذي يضرب قداح الميسر أو المراقب له، والياسر: الذي يضرب بالقداح، يقول: إن هذا العير من الأتان في القرب كقرب الرقيب من ضارب قداح الميسر.

يُحشرجُ منهنَّ قيــــدَ الــــذراع ويضربنَ خيشومــه والجبينــا(٢١)
فــأوردَهــا طــاميــاتِ الجِمام وقــد كُنَّ يــأجُنَّ أو كُنّ جونـا(٢٢)
يُــثرنَ الغبــار عــلى وجهــه كلونِ الــدواخِنِ فوقَ الإرينـا(٢٣)
ويشربنَ من بــاردٍ قــد عَلمنَ أَن لا دِخــالَ وأَن لا عُطونــا(٢٤)
وتنفي الضفــادِعَ أَنفــاسُهــا فهنّ فُويــقَ الرَجَــا يَرتقينــا(٢٥)
فصــادَفنَ ذا حَنَــقٍ لاصــقٍ لصُوقَ الــبرامِ يظنُّ الظنونـا(٢٦)
قصــيرَ البَنــانِ دقيــقَ الشَّوى يقولُ أَيــاتينَ أم لا يجينــا(٢٧)
يؤمُّ الغيــــابــــةَ مُستبشراً يُصيبُ المقاتلَ حتفاً رصينا(٢٨)

---

(٢١) يحشرج: من الحشرجة وهي صوت في الصدر لا يخرج، وقيد الذراع: مقداره والخيشوم: أعلى الأنف، يقول: إنه خلفهنّ غير بعيد عنهنّ حتى أنّهن يضربن بأذيالهنّ أنفه وجبينه.

(٢٢) أوردها: أي جعلها ترد الماء، والطاميات: المرتفعات، يقال: طمى الماء يطمي ويطمو إذا ارتفع، والجِمام: الممتلىء، وأجن الماء: أسن وتغيرّ.

(٢٣) الإرون: حفر النار، واحدها إرة، شبّه الغبار بالدّخان الذي يتصاعد من حفر النار.

(٢٤) «ويشربن من»: وتروى ويشرعن في» والـدّخـال: هو أن يرسل القطيـع من الإبـل فيشرب ثم يؤتى برسل آخر وهو القطعة من الابل فتورد، ثم تلقط ضعاف الإبل فترسل مع الآخر، وإنما يفعل هذا لقلّة الماء، ولا عطون: أي لا بروك.

(٢٥) تنفي: تبعد، والرّجا: جانب البئر، وارتقى: صعد يقول: إن أنفاس الإبل تبعد الضفادع عن الماء إلى جنبات البئر.

(٢٦) ذو الحنق: هو الصيّاد الذي ينتظر ورود العير لاصطيادها، واللاصق: الكامن المختبىء، والبرام: القراد، والعرب تقول: هو ألصق من قراد، ويظنّ الظنّون: أي يقول: ربما ترد وربّما لا ترد وربّما أصيب منها إذا رميت أو أخطىء، ويروى «لاصقاً» بدلاً من «لاصقٍ».

(٢٧) البنان: الأصابع أو أطرافها، والشّوى: أطراف الجسم كاليدين والرجلين.

(٢٨) الغيابة: الشجر، والرحين: المحكم، يقول: إنه يؤم الأشجار ليختفي بها مستبشراً يرمي فيه الموت اليقين، ويروى: «من المطعمين إذا ما راموا».

فجئنَ فـــأوجَسنَ مِن خَشيـــةٍ ... ولم يَعــــترفنَ لنفرٍ يقينـــا(٢٩)
وتُلقـــى الأكـــارعَ في بـــاردٍ ... شهيٍّ مَـــذاقتُـــه تحتسينـــا(٣٠)
يُبـــادرنَ جرعـــاً يواترنَـــه ... كقرع القَليب حَصى القاذفينا(٣١)
فـــأمسَكَ يَنظُرُ حـــتى إذا ... دنون مِن الرِّيِّ او قـد روينا(٣٢)
تنحَّـــى بصفراءَ مِن نبعـــةٍ ... على الكفِّ تجمع أرزاً ولينا(٣٣)
مُعـــدّاً عـــلى عجسهـــا مُرهَفـــاً ... فتيـقَ الغِرارينِ حَشراً سَنينا(٣٤)
فـــأرسلَ سَهماً عـــلى فُقرةٍ ... وهُنّ شوارعُ مـــا يتقينـــا(٣٥)

---

(٢٩) أوجسن: أحسسن بالخوف، والنفر: النفور والهرب، يقول: هن لم يشككن بعد ولم يستيقنّ ويروى:

فـأوجسن من خشيـــةٍ نبـأةً ... ولم يعـــترفن لـــذعرٍ يقينـــا

(٣٠) الأكارع: جمع كراع، وهو ما بين الرسغ إلى الركبة في اليد، وفي الرّجل: ما بين الرسغ إلى العرقوب، يقول: تضع تلك العير أكارعها في الماء البارد وتحتسي منه ما شاء لها أن تحتسي.

(٣١) يبادرن جرعاً: أي يأخذن بشرب الماء، والجرع: ابتلاع الماء، ويواترنه: أي يشربن الماء مرّة بعد مرّة حتى الارتواء، والقليب: البئر وقرع القليب بالحصى: أي رميُ الحصى في مائه، شبّه جرعها للماء بوقع الحصى في مياه القليب.

(٣٢) أمسك: توقف عن الرمي، يعني الصّياد، ودنون: قاربن، وروين: أي شربن حتى ثقلن من الرّي، إنّه يتركهن حتى يرتوين من الماء فيكون ذلك أفضل لرميهن لأنهنّ يصبحن أثقل حركةً وأكثر اطمئناناً حيث لم ينفرّهنّ أحدٌ عن الماء.

(٣٣) تنحّى: وتروى «تأيّا» وقوله تنحّى: أي تحرّف له كي يرميه والصفراء: القوس، والنبعة: القوس من شجر النّبع وأغصان ذلك الشجر تتخذ سهاماً يرمى بها لصلابتها، والأرز: الصلابة.

(٣٤) العجس: المقبض، والمرهف: الحاد المسنون، وفتيق الغرارين: أي واسعها، والغرار: الحدّ، والحشر: القائم الذي ليس بمستوٍ وهو المحدّد، ولو كان مستوياً لم يكن حشراً، والحشر: اللطيف القد أيضاً والسنين: أي المسنون المرهف.

(٣٥) أرسل: رمى، وعلى فقرة: على إمكان، يقال: قد افقرك الصيد وقد أكتبك فارمه، وشوارع: أي قد شرعت في الماء ودنت منه لتشرب أو تبترد، ويتقين: يحذرن يتوقين.

فمرّ علـى نحرهِ والـذارع ولم يكُ ذاك له الفِعلُ دينا[٣٦]
فلهَّف من حسرةٍ أُمَّه وولَّينَ من رهَجٍ يكتسينا[٣٧]
تهادى حوافِرهُنّ الحصى وصُمُّ الصُخورِ بِها يَرتمينا[٣٨]
فقلقلهُنَّ سَراةَ العِشاء أسرعَ من صَدرِ المصدرينا[٣٩]
يزُزُّ ويلفظُ أوبارَها ويقروُ بهنّ حُزُونـاً حُزونا[٤٠]
وتحسَبُ في البحرِ تعشيرَه تَغرُّدَ أهوجَ في مُنتشينا[٤١]
فأصبحَ بالجِزع مُستجذِلاً وأصبَحنْ مجتمعاتٍ سُكونا[٤٢]

---

(٣٦) مرّ على نحره والذّراع: أي أخطأ الصيّاد الرَّمي، والدين: العادة.
(٣٧) لهّف: قال: وألهفتاه، أي استغاث، وولّين: هربن، والرّهج: الغبارة يقول: أخطأ الصياد الرّمية ففرّت العير مخلّفة وراءها الغبار الذي حجبهنّ.
(٣٨) تهادى: أي أثرن لسرعتهن الحصى التي كانت تتناثر من الحوافر، فتصيب حوافرهن وأجسامهن، والصمّ: الصلبة.
(٣٩) قلقلهنّ: ذهب بهنّ في الأرض، وحرّكهن، وسراة العشاء: أي حلوله، والسّراة من كلّ شيء: أعلاه أو معظمه أو وسطه ويروى: سراة الضحاء أي ارتفاعه، والمصدرون: من الصدور وهو الرجوع عن الماء بعد الارتواء منه.
(٤٠) يزرُّ: يعضُّ، ويلفظ: يقذف ما فيه من أوبارها، ويقرو: يتبع: والحزون: ما غلظ من الأرض، يقول: إنه كان يحثّهن ويدفعهن إلى أرض بعد أرض بعضّ أجسادهن.
(٤١) تحسب: تظنّ، والتعشير: نهيق الحمار، والتغرّد: من التغريد وهو التصويت، والمنتشين: الذين أصابتهم النشوة من سكرٍ أو غيره.
(٤٢) الجزع، ما انحنى من الوادي، وقال أبو عبيدة: جزع الوادي وسطه، ومستجذلاً: فرحاً لأنه قد أفلت من القنّاص، ويروى «مختلفات» أي راتعات بدلاً من مجتمعات.

هي الدّار لانعتافها ونهينها

« من الطويل »

هـلم إليـنـا آل بُهثـة إنمـا ... هي الـدارُ لانعتـافُهـا ونُهينهـا[١]
هَـلمّ الى ذُبيـانَ إن بِـلادَهـا ... حُصونٌ وان السمهريَّ قُرونُهـا[٢]
ولا أُلفينكُمْ تَعْكِفونَ بقُنّـةٍ ... بتثليثَ أنتم جُندها وقطِينُها[٣]

★ ★ ★

(١) هلمَّ: كلمة دُعاءٍ إلى الشيء، وآل بهثة: قال الكلبي: آلُ بهثة الذين ذكرهم هاهنا، هو بهثة بن عبدالله بن غطفان، ولم يرد بهثة بن سليم بن منصور، ونعتافها: نعافها ونكرهها، ونهينها: أراد لا نهينها.

(٢) السّمهري: الرماح، سمّيت بذلك لشدّتها أو نسبة إلى «سمهر» والقرون: جمع قرن، وهو رأس الجبل، جعل بلاد ذبيان حصوناً منيعة وجعل أعاليها مسوّرةً بالرّماح، ويقال: رجلٌ سمهري أي شديد، وربّما جعل السّمهريّة قروناً لأنّ مناطحة الأقران ومقارعتهم تكون بها.

(٣) ألفاه: وجده، وتعكفون: من عكف الرّجل بالمكان، أي أقام به كالحابس نفسه، والقنة: رأس الجبل، وتثليث: موضع، وقطينها: سكانها وأهلها.

أرعى الأمانة لا أخون[١]

« من الكامل »

بَكرتْ عَـلَيَّ بسحرةٍ تلحـاني ... وكفى بها جهْلاً وطيشَ لِسانِ[٢]
ولقد حَفِظتُ وَصاةَ مَنْ هو ناصحٌ ... لي عـالِمٌ بمـآقـطِ الخـلاَّنِ[٣]
حتى اذا برَتِ العِظامَ زَجرتُها ... زَجر الضنينِ بِعرضهِ الغضبانِ[٤]
فرأيتُها طلحَتْ مخافَةَ نهكةٍ ... مِني وبـادرةٍ، وأيَّ أوانِ[٥]

---

(١) قال كعب هذه القصيدة، وكان لا يزال يكون بينه وبين امرأته شرٌّ في فقره وسوء خلقه، وكان محارفاً أي محدود الرّزق بعد موت أبيه، وكان أبوه موسّعاً عليه في برّه، وربّما حمل بعض الرواة هذه القصيدة لزهير والصحيح عن أكثرهم أنها لكعب، وهي بنحت كعبٍ أشبه منها بنحت زهير.

(٢) بكرت: من التبكير، والسُّحرة: آخر الليل قُبيل الفجر، وتلحاه: تلومه وتعذله، وكفى بها: أي عندها ما يكفيها ويغنيها من الجهل والطيش عن غيرها من المآخذ والمساوىء.

(٣) الوصاة: من الوصيّة، والمآقط: جمع مأقط وهو الجمع، وملتقى الحرب أيضاً، وقال الأصمعي: المآقط: الأيام، ويقال: فلانٌ ذو مآقط حسان قال: وهو المكان المتشابك في مجتمع الناس في حرب وسلم وقال بعضهم: المآقط: المضيق في الحرب تقول: إنّا لفي مأقطٍ ومأزق ومأزل، إذا كانوا في ضيقٍ وحبس، والخلاّن: الأصحاب والأصدقاء، وربّما يكون معنى مآقط الخلاّن هنا: أي ما يسبّبه الخلاّن من همٍّ وأذىً ومكايد.

(٤) برت العظام: مثل يضرب، يريد: بلغت في عذلها ولوما كلّ ما يشقّ عليّ، وقال آخر: برت العظام: أنضتني بكثرة عذلها فلما فعلت ذلك زجرتها زجر الضّنين بعرضه: أي أقصيتها وباعدتها.

(٥) طلحت: أعيتْ، والنهكة: العقوبة، والبادرة: الاسراع إلى الغضب والشرّ، والأوان: الوقت، يقول: إنها طلحت وأظهرت الاعياء لـمّا ظهر لها منّي الشرّ والغضب، ويروى: « فرأيتها صلحت مخافة نهكةٍ ».

ولقدْ علِمتِ وأنتِ غيرُ حَليمةٍ ... ألاّ يُقرِّبَني هوىً لِهوان(٦)
هَبِلتْكِ أمُّكِ هل لَديكِ فتُرشِدي ... في آخرِ الأيــام مِن تبيــانِ(٧)
أرعى الأمانةَ لا أخونُ ولا أُرى ... أبــداً أدمِّن عَرصــةَ الخوَّانِ(٨)
وتنكَّرَتْ ليَ بَعْــدَ وُدٌّ ثــابــتٍ ... أنَّى تجامُعُ وصْلِ ذي الأَلوانِ(٩)
يوماً طِواعُـكَ في القيـادِ وتـارةً ... تلقـاكَ تُنكِرُهـا مِنَ الشَّنـآنِ(١٠)
طَوراً تُـلاقيــهِ أخـاكَ وتـارةً ... تلقـــاهُ تحسبُـــهُ مِنَ السودان(١١)

---

(٦) الحليمة: العاقلة الصابرة، والهوى: الميل والحب، والهوان: الذلّ.

(٧) هبلتك: فقدتك وثكلتك، يقول: هل ترعوي عمّا أنت فيه من غيٍّ في آخر حياتنا وتقتنعي بما قدّمته لك من بيانٍ وكلام.

(٨) أرعى الأمانة: أحفظها وأدمّن: أي أتخذ منزلاً أقيم فيه، يقال: دمّن القوم بالمنزل إذا أقاموا به أياماً كثيرة، وأصل الدِّمنة: البعر والرّماد والزّبل وما سوّدوا ولطّخوا، والعرصة: ساحة الدّار، أو هي بقعة بين الدور لابناء فيها، والخوّان: الخائن، يقول: إني أحفظ الأمانة ولا أصاحب من هو خوّانٌ لا يفي بالعهود ولا يحفظ الأمانات.

(٩) تنكّرت: تبدّلت وتغيّرت، والودّ: الحبّ، وأنّى: كيف، وتجامع: إجتماع، وذو الألوان: المتغيّر الذي لا يبقى على حالةٍ واحدة، يقول: كيف يجتمع أو يتّفق وصلُ المتلوّن وهو لا يدوم على حالٍ واحدة، وهذا كما قال جرير:

لا تـأمـنَنَّ فـإنّي غـير آمنـه ... وصل الخليل إذا ما كان ألوانا

(١٠) طواعك: أي هي طوعٌ لك، والقياد: الانقياد، والشنآن: البغض ويروى: «يوماً كطوعك» ويروى أيضاً «يلقاك تنكره» يقول: في يوم تطيعك وتنقادلك وفي يوم تنكر أمرها إذا صرمت.

(١١) السودان: جمع اسود وهو الحيّة الذي يقال له أسود سالخ، وذلك أن هذا الحيّة أكثر دهره قليل الأذى، ثمّ يهيج وقتاً من السنة، فلا يلدغ شيئاً إلا قتله وأهلكه إذا هاج فشبهها به، وقال غيره: أراد بالسودان: جمع أسود من الناس، لأن الأسود تصافيه حتى تظنّ أنه أخوك، ثمّ إنّه يحول عن ذلك حتى يصير عدوّاً مبايناً، وفي المثل: «عدوٌّ أسود» و «عدوٌّ أسود الكبد» ويروى «تحسبها من السودان».

ومريضــةٍ قفْزٍ يُحــاذرُ شرُّهــا ... مِنْ هَولِها قَمِنٍ منَ الحَدثانِ[١٢]
غبراءَ جاضِعةِ الصُّوى جاوزْتها ... ليلاً بكاتمةِ السُّرى مذعانِ[١٣]
حرفٍ تمدُّ زمامها بعُذافِرٍ ... كالجذعِ شُذِّبَ ليفُهُ الريَّانِ[١٤]
غضبى لِمنسِمِها صياحٌ بالحصى ... وَقْعَ القدومِ بِغضرَةِ الأَفنانِ[١٥]
تستشرفُ الأشباحَ وهيَ مُشيحةٌ ... ببصيرةٍ وحشيّةِ الإنسانِ[١٦]

---

(١٢) المريضة: الأرض الواسعة المقفرة التي تضعف فيها الرّيح لسعتها وطولها فتتفرّق فيها وتضعف، ويروى «ومضلّة» أي يضلُّ بها السائر فلا يهتدي لسعتها، والقمن: الجدير والخليق، والحدثان: الليل والنهار، والدّهر ومصائبه.

(١٣) الغبراء: يعني الأرض، والخاضعة: الخاشعة، والصّوى: الأعلام تجعل على الطريق فيهتدى بها، وقوله خاضعة الصوى: يريد أنها بعيدة الأطراف فترى أعلامها كأنها قد خشعت، وكاتمة السُّرى: الناقة التي لا ترغو من السُّرى، والسُّرى: السير ليلاً، وإنما ترغو من الضجر والإعياء، والمذعان: المذعنة في سيرها والسهلة الانقياد.

(١٤) الحرف: الناقة التي كأنها من سمنها وشدتها حرف جبل، والزّمام: ما تقاد به الدابة، والعذافر: هنا العنق، والعذافر: الشديد شبَّه عنقها بالجذع الرّيان لطوله ولينه وانعطافه، وشذّب عنه: ألقي عنه، وإذا كان كذلك فهو أشدّ له.

(١٥) غضبى: يريد كأن بها من مرحها ونشاطها عضباً منفّراً، والمنسم: طرف الخفّ، والقدوم: الفأس ذات الرأسين، والغضرة: أراد الناعم الرّخص من الافنان، وهو أشدُّ للقطع، والأفنان: الأغصان ويروى:

تذري مناسمها الحصى فتطيره ... وقع القدوم بغضّة الأفنان

والمعنى: أنها تنجل الحصى فيصكُّ بعضه بعضاً فيسمع له صوت.

(١٦) تستشرف: تتأمّل وترفع رأسها إذا بدا لها شخص، والأشباح جمع شبح وهو الشخص الذي يبدو لك من بعيد، والمشيحة: الجادة الحاذرة، وأراد ببصيرة: أي بعين بصيرة، والإنسان: بؤبؤ العين، أراد أنّها تنظر بعين وحشية وذلك أنّ الوحش أشدّ ابصاراً من سائر الحيوان، وروى الأصمعي عجز البيت:

«بمدار عين صدقة الانسان»

والصدق: الصّلب من كلِّ شيء.

خوصاءَ صافيةٍ تجودُ بمائها وسْط النهار كنطفةِ الحرّان(١٧)
تنفي الظهيرةَ والغُبارَ بحاجبٍ كالكهْفِ صينت دونهُ بصيان(١٨)
زهراءُ مُقلتُها تَرَدَّد فوقَها عِند المُعرَّس مدلجُ القردان(١٩)
أَعيت مذارِعُها عليه كأنما تنمي أكارِعُهُ على صفوان(٢٠)
فتعجْرَفَتْ وتعرَّضتْ لقلائصٍ خُوص العيونِ خواضِع الأَذقان(٢١)
شبَّهتُها لهِقَ السراةِ مُلمَّعاً منه القوائمُ طاويَ المُصرانِ(٢٢)

---

(١٧) الخوصاء: الغائرة العين، وتجود بمائها: يعني تجود بعرقها وتجود من فعل الناقة لا من فعل العين، والنطفة: الماء قلّ أو كثر والحرّان: العطشان، يقول إنها غائرة العين من التعب تجود بعرقها في الهاجر وتصبّه كما يصبّ العطشان الماء ليشربه في الفلاة عند الحاجة.

(١٨) تنفي الظهيرة: تقطع الغبار، والكهف: أراد العين وصينت: حميت وحفظت، يريد أن عينها صينت بحاجب من أن يدخل عليها مكروه ويروى: «بصوان» أي بوعاء.

(١٩) زهراء: نعت للمقلة تقدّم على المنعوت، وتردّد فوقها: أي فوق الناقة، والمعرَّس: مكان التعريس، وهو الموضع الذي ينزل فيه المسافر للاستراحة والمدلج: ما أدلج من القردان، والإدلاج: سير الليل كلّه في آخره، والقردان: القراد، يقول: يتردّد فوقها القراد فلا يلبث لاكتناز لحمها وإملاس جسمها فلا يقدر على المقام.

(٢٠) أعيت: من العياء، والمذارع: جمع مذرع وهو من رسغ البعير الى مرفقه، وتنمي: تصعد والأكارع: جمع كراع وهو من الدّواب ما دون الكعب ومن البقر والغنم: مستدق الساق، والصفوان: الحجر، يقول أعيت مذارع هذه الناقة من ملاستها وسمنها على هذا القراد فزلّت أكارعه عنها.

(٢١) تعجرفت: أي غلظت على صاحبها وعاصته، وقيل: خلطت في سيرها وجاءت بضروب من المشي، والقلائص: جمع قلوص وهي الناقة الفتية وخوص العيون: عوائر العيون من جهد السير، وخواضع الأذقان: يريد أنها طأطأت رؤوسها، أو مدّت أعناقها، والأذقان: جمع ذقن وهو طرف اللحى.

(٢٢) اللهق: الأبيض، والسّراة: الظهر، شبه ناقته بالثور، والملمح: الذي في ألوان مختلفة وخطوط سود، والتلميع: إنما يكون في قوائم الثور الوحشي وهو السَّواد لأنه يخالف لونه، والطاوي: الخميص البطن، والمصران: أراد الموضع أي الحشى حيث يكون المصران.

فغَــــدا بمعتـــــدلين لم يُسلَبهُما لا فيهما عِوَجٌ ولا نَقِـــــدان[٢٣]
وكِـلاهُما تحتَ الضبـابِ كـأنمـا دهَنَ المُثقِّفُ لِيطَهُ بـدهـانِ[٢٤]
وغَـدا بسامِعتـيْ وأيَّ أعطـاهُما حـذراً وسمعـاً خـالِقُ الآذانِ[٢٥]

(٢٣) المعتدلان: القرنان، يعني أن لا اعوجاج فيهما، والنقدان: المتآكلان، يريد أن قرنيه صحيحان لم يعصلا ولم يتعوّجا.
(٢٤) الضّباب: إلباس الغيم والنّدى يتهافت حتى لا يكاد البصر يتبين شيئاً، والمثقِّف: المقوِّم للرّماح، وليطه: قشرة الأعلى وليط كلّ شيء قشره، وإنّما قال: دهن المثقِّف لأنه جعل قرني الثور كالرمحين له لما كان يحتمي بهما.
(٢٥) السامعتان: الأذنان، ووأيّ: مثل وعيّ، وهو الغليظ الشديد، وقال آخر: الوأي: الحمار وقيل: الثور الشديد، ويقال: للناقة والحمار والثور وأيّ إذا كان شديداً، والوحش كلّها اتكالها على أسماعها.

أدرك وترهم[1]

« من الكامل »

طلبوا فـــــأدركَ وِتَرهُم مولاهُمْ　　وأَبتْ سُعاتُكمُ إباء الحارن[2]
شُدوا المـآزر فـآنعشوا أموالـكم　　إنَّ المكارمَ نِعْمَ رِبْح الشامِن[3]

---

(١) وردت هذه الأبيات في الأغاني على الشكل التالي:

بـان الشّبـاب وكـلُّ إلـفٍ بـائن　　ظعن الشّباب مع الخليط الظاعن
قـالت أميمة ما لجسمك شاحباً　　وأراك ذا بـثٍّ ولست بـدائن
غضّي مـلامـك إنّ بي من لومـكم　　داءً أظنُّ ممـا طـلي أو فـاتني
أبلـغ كنـانـة غثّهـا وسمينهـا　　البـاذلين رباعهـا بـالقـاطن
إنّ المـذلّـة أن تُطـلَّ دمـاؤكم　　ودمـاء عوفٍ عـاهنٌ في العـاهن
أموالـكم غرضٌ لهم بـدمـائهم　　ودمـاؤكم كلـفٌ لهم بظعـائن
طلبوا فـــأدرك وترهم مولاهم　　وأبـت محـاملكم إبـاء الحـازن
شدّوا المـآزر واثـأروا بـأخيـكم　　إنّ الحفـائـظ نعم رمـح الشـامن
كيـف الحيـاة ربيعـة بن مكـدّمٍ　　يُعـدي عليـك بمزهر أو كـائن
ومن العريكـة بـالعراق وحـارب　　فقـع القراقر بـالمكـان الواتن
كم غـادروا لـك من أرامـل عيّـل　　جزر الضبـاع ومن ضريـك واكن

وقد قالها كعب بالدّماء التي أدّوها إلى بني سليم وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتلٍ ولا ديةٍ «راجع الأغاني الجزء ١٤ ص ١٣٢-١٣٣ أخبار ربيعة بن مكدّمٍ.

(٢) الثأر والإنتقام، والسعاة: جمع ساعٍ، وهو هنا الذي يقوم بأمر أصحابه عند السلطان، والحارن: الذي يقف ويرفض الانقياد وهو هنا بمعنى المعاند.

(٣) شدّوا المآزر: أي اجمعوا أمركم، وانعشوا اموالكم: أي تداركوها من الهلكة وحافظوا عليها، والثامن: من معانيه في اللغة هو الذي يأخذ ثمن الأموال، ويقال: ثمنهم أي أخذ ثمن أموالهم.

كيفَ الأُسى وربيعةُ بنُ مكدَّمٍ يُودي عليكَ بفِتيةٍ وآفاتنَ[٤]
وهُو التّريكةُ بالمكرِّ وحارثٌ فِقْعُ القَراقِرَ بالمكانِ الواتن[٥]
... ... وكأنه جِذعٌ تهمِّمُهُ رذائِذُ هاتن[٦]
كم غادروا مِن ذي أرَاملَ عائل جزَرَ السباعِ ومن ضَريكٍ حاجِن[٧]

---

(٤) الأسى: الصبر، وربيعة بن مكدَّم هو الذي يذكره كعب في أبياته وقد قتل دفاعاً عن ظعائن فيهن أخته وأمّه وزوجته، وكان نبيتة بن حبيب السلمي لحقه يريده ومن معه، فقاتل حتى قتل بطعنة جافته فلم يمت منها إلاّ بعد ساعة، وظنّ القوم أنّه حيّ، لأنّه مات وهو في سرجه مدعم على رمحه، ويودي عليك: لعلّه بعدي عليك، وأفانن: لعلّها أقاتن بالقاف وهو جمع جمعِ لقتين أو قاتن، وهو الرّمح.

(٥) التريكة: يعني بالتريكة ربيعة بن مكدّم، والتريكة: هي البيضة التي يتركها النعام حين ينقف، ويدفنها تحت التراب، والمكرّ: الحرب وهي موضع الكرّ والفرّ، وحارث: اسم علم يهجوه الشاعر، والفقع: ضربٌ من أردأ الكمأة، يقال: هو فقع قرقر: أي هو رجلٌ ذليلٌ، ويقال أيضاً: أذلُّ من فقع بقرقر لأن الدّواب تنجله بأرجلها، والواتن: الثابت الذي لا يزول.

(٦) ورد هذا البيت على هذا الشكل، والجذع: ساق النخلة ونحوها، وهو من الانسان جسمه ما عدا رأسه ويديه ورجليه، وتهمّمه: تتساقط عليه وتنصبُّ، يقال سحابةٌ هموم: أي صبوبٌ للمطر، والرذائذ: جمع رذاذ وهو المطر الخفيف المتساقط بلينٍ ورفق، والهاتنُ من السحاب: ذو المطر المتصبّب، يريد أنّ ربيعة بن مكدّم ترك بعد قتله كالجذع تتصبّب عليه الأمطار.

(٧) غادروا: تركوا في ساعة الوغى، والعائل: المعيل للأرامل والعيال والأطفال، أي هو سيّد القوم، وجزر السّباع: أي طعاماً للحيوانات المفترسة، والضّريك: الفقير السيِّء الحال الذي لا يستطيع أن يعيل أحداً لفقره، والحاجن: الذي يمتنع عن الجود لبخلٍ فيه أو لخوفه من الفقر، والمعنى أنهم خسروا كثيراً من أسيادهم وفقرائهم.

له عنق تلوي بما وصلت به

« من الطويل »

لـه عُنُـقٌ تُلْوي بمـا وُصِلـتَ بـه   ودَفَّـانِ يَشْتَقَّـانِ كـلَّ ظِعـانِ[1]

(١) لوى: مال، ووصلت به: قرنت به، والدّفّان: مثنّى دفّ، وهو الجانب من كل شيء، ودفّا الجمل: جانباه ممّا يلي السّنام، ويشتقّان: يستغرقان والظعان: الحبل يشدّ به الهودج أو الحمل، يريد أنّ جانبيه يستغرقان هذا الحبل حتى لا يفضل منه شيء...

النّذور لها وفاء(١)

« من الوافر »

لقـــدْ ولّـــى أليّتـــهُ جُؤيٌّ　　　معـــاشِرَ غـــيرُ مطلولٍ أخوهـــا(٢)

(١) قال: كانت الأوس من الأنصار حلفاء مزينة؛ فمر رجل من مزينة يقال له جؤي على الأوس والخزرج وهم يقتتلون، فدخل في حلفائه فأصيب. فمر به ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت الشاعر، فقال: يا أخا مزينة، ما طرحك هذا المطرح؟ فوالله إنك لمن قوم ما يحمونك. فقال له جؤي وهو يجود بنفسه: أُعطي الله عهداً ليقتلن بي منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج. قال: فسارت كلمته حتى أتت عمق، وهي بلاد مزينة، فثاروا يريدون الخزرج طالبين بدم جؤي، فبلغ مسيرهم ثابتاً فأنشأ يقول:

جاءت مزينة من عمق لتفزعنا　　　قري مزين وفي أستاهك الفتل

قال: فلقيتهم مزينة ببعاث وهي بيثرب، ورئيسهم مقرن بن عائذ بن حديج بن عبدالله بن ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة أبو النعمان بن مقرن، فاقتتلوا فقتل من الخزرج عدة؛ وأُسر ثابت بن المنذر، وأقسم مقرن بن عائذ لا يأخذ فداءه إلا تيساً أجم أسود. فغضب الأنصار لذلك وقالوا: لا نفعل أبداً، وغالوا بالفداء، فلم يقبل مقرن فداء؛ وقال: لا آخذ مكانه إلا تيساً. فلما رأوا أنه لا بد من ذلك جاؤوا بتيس أجم، وأخذه منهم مقرن بسوق عكاظ، فذبحه مقرن بسوق عكاظ وأطعم الناس لحمه. وقال ابن الكلبي: بسوق عكاظ باطل، وإنما كان ذلك ببعاث وهي بالمدينة. وقال ابن الكلبي لم أسمع لثابت في هذا بذكر، ولكن المأسور حسان. قال ابن الكلبي: ولما حلف مقرن أنه لا يقبل الفداء إلا تيساً أسود أجم أتوا حسان فقالوا: ما ترى؟ وغضبوا. فقال: ما لكم تغضبون! ادفعوا إلى القوم أخاهم وخذوا منهم أخاكم. فخلوا سبيله. فأنشأ كعب عند ذلك يقول:

(٢) ولّى: ولّى توليةً الأمر: جعله والياً عليه، وألّيته: من آلى أي أقسم وحلف، وجؤي: قال أبو عمرو: هو جؤي بن عائذ من مزينة، والمعنى: أنّ جؤيّاً ولّى يمينه قوماً لا تذهب دماؤهم باطلاً.

فـإن تهلِـك جُؤيٌّ فكـلٌّ نفسٍ سيجلبُها كـذلـك جـالِبوهـا(٣)
وإن تهلِـــك جُؤيٌّ فــإن حربــاً كظنِّك كـانَ بعـدَك مُوقـدوهـا(٤)
ومـــا ساءت ظُنونُـــك يومَ تُولي بـأرمـاحٍ وفـى لـكَ مُشرعوهـا(٥)
كـأنـكَ كنـتَ تعـلمُ يومَ بُزَّت ثيـابُـك مـا سيلقي سالبوهـا(٦)
لِنـذرِكَ والنـذورُ لهـا وفـاءٌ إذا بلـغَ الخزايَـةَ بـالِغوهـا(٧)
صَبحنـا الخزْرَجيّـةَ مُرهفـاتٍ أبـادَ ذوي أرومتهـا ذوُوهـا(٨)
فما عُترَ الظِّبـاءُ بحيٍّ كعـبٍ ولا الخمسونَ قصّرَ طـالِبوهـا(٩)
ولا قُلنـــا لهم نفسٌ بنفسٍ أقِيـدونـا بهـا إنْ لم تـدُوهـا(١٠)

---

(٣) يجلبُها: تنساق إلى أهلها، وجلب عليه: أي جنى عليه، والمعنى أنّك إنْ هلكت فإنّ قومك لن يتركوا دمك يضيع هدراً.

(٤) كظنّك: كاعتقادك، وموقدوها: أي مشعلوها، والمعنى: أن هلاكك كما تعتقد سيشعل حرباً طاحنة.

(٥) ساءت ظنونك: خابت أو أخطأت، وتولي: تقسم، وأشرع الرّمح: سدّده إلى الخصم، والمعنى: أنّ أرماح قومك ستشهر في وجه الأعداء كما أقسمت، ولن يخيِّب قومك ظنّك وقسمك.

(٦) بزّت: سلبت قهراً، والسالب: المغتصب.

(٧) الخزاية: الاستحياء، ورجل خزيان وامرأة خزيا، وهو الذي عمل أمراً قبيحاً فاشتدّ لذلك حياؤه وخزايته، والخزي: الذلُّ والفضيحة.

(٨) الخزرجية: نسبة إلى الخزرج، وهي قبيلة الأنصار، والمرهفات: السيوف القاطعة، وأباد: أهلك، والأرومة: الأصل.

(٩) قوله فما عتر الظباء: يقول لسنا ظالمين ولا نقتل إلاّ من حلف جؤيّ أنّا نقتله، وكان الرجل من العرب إذا نزلت به جائحة حلف أو نذر لئن ردّها الله عزّ وجلّ أو شلّها: «يعني إبله أو غنمه» وشلّها: طردها، ليذبحنّ منها لنسكه، فترجع من الضّلال أو تسلم من الوباء، فيبخل أن يذبح شاة أو ناقة، فيصيد ظبياً فيذبحه ويسمّيه العتيرة، والخمسون: يريد العدد من الرّجال الذين لا أعور فيهم ولا أعرج.

(١٠) أقيدونا: من القود، يقال: أقاد القاتلَ بالقتيل: أي قتله به قوداً أي بدلاً منه، وتدوها: من داه يديه: أي دفع ديته، والمعنى أنهم وفوا بالنذر ولم يقبلوا الدّية أو القود بل فعلوا ما حلفت وأقسمت لهم.

ولكنّا دفعناها ظِماءً فروّاها بذكرك مُنهلوها[١١]
ولو بلغ القتيلَ فِعالُ حيٍّ لسرَّكَ من سيوفِك مُنتضوها[١٢]

لهف الباكيات على أبيّ

« من الوافر »

لَعَمْرُكَ ما خَشيتُ على أُبيٍّ مَصارعَ بينَ قَوٍّ فالسُّليِّ[١٣]
ولكني خَشيتُ على أُبيٍّ جريرةَ رُمحهِ في كلِّ حيِّ[١٤]
مِنَ الفتيانِ مُحْلَولٍ مُمِرٌّ وأَمَّارٌ بإرشادٍ وغيِّ[١٥]
ألا لَهْفَ الأراملِ واليتامى ولَهْفَ الباكياتِ على أُبيِّ[١٦]

* * *

(١١) الظماء: المتعطشة إلى الدّم، وهي كناية عن الرّماح والسيوف. وروّاها: أنهلها حتى الإرتواء، والمُنهل: الذي ينهل الرّماح والسيوف من دم الأعداء.

(١٢) انتضى السيف: أخرجه من غمده، يقول: لو بلغك أيُّها القتيل فعال قومك لسرّك ما فعلوا من أجلك.

(١٣) أُبيّ: تصغير أبيّ، إسم علم، والمصارع: المتالف، وقوّ: موضع ببلاد بني أسد أعلاه لهم وأسفله لبني عبس، والسُّليّ: وادٍ فيه طلح بالقرب من النباح لبني عبس، ومات أُبيّ بين هذين الموضعين عطشاً.

(١٤) الجريرة: الذنب الجناية، يقول: إن الذي كان يخشاه عليه كثرة ما قتل من أحياء العرب.

(١٥) محلول: هذه الصيغة للمبالغة، أي هو متناهٍ في الحلاوة، والممرّ: الذي صار مرّاً، يريد أنه متناه في الحلاوة ولكنّه شديد يسقي الاعداء كؤوس المرّ، وقوله: وأمّارٌ بإرشادٍ وغيّ: أي كثير الأمر بخير وشرّ وضرٍّ ونفع.

(١٦) لهفِ تفيد التحسُّر على ما فات.

المصادر والمراجع

ابن الأثير	الكامل في التاريخ	دار بيروت
ابن الأثير	أسد الغابة في معرفة الصحابة	القاهرة
ابن حجر العسقلاني	الاصابة في تميز الصحابة	دار نهضة مصر
ابن خلدون	المقدمة	دار الهلال بيروت
ابن رشيق القيرواني	العمدة في لغة الشعر ونقده	دار الكتب العلمية
ابن سلاّم الجمحي	طبقات الشعراء	دار الكتب العلمية
ابن سيّد الناس	عيون الأثر	دار الآفاق الجديدة
ابن عبد البرّ	الاستيعاب في معرفة الأصحاب	مطبعة نهضة مصر
ابن عبد ربّه	العقد الفريد	دار الكتب العلمية
ابن قتيبة	الشعر والشعراء	دار الكتب العلمية
ابن منظور	لسان العرب	دار صادر
ابن هشام	تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السّلام هارون	دار البحوث العلمية الكويت
أبو زيد القرشي	جمهرة أشعار العرب	دار المسيرة بيروت
أبو علي القالي	الأمالي	دار الكتب العلمية بيروت
أبو الفرج الأصفهاني	الأغاني	ط. بولاق

أحمد أمين	فجر الاسلام	دار الكتاب العربي بيروت
بروكلمان	تاريخ الأدب العربي	دار المعارف مصر
بروكلمان	تاريخ الشعوب الاسلامية	دار العلم للملايين
بلاشير	تاريخ الأدب العربي	منشورات وزارة الثقافة
الجاحظ	البيان والتبين	دار الكتب العلمية
جرجي زيدان	تاريخ اداب اللغة العربية	دار مكتبة الحياة
جواد علي	المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام	دار العلم للملايين
الزركلي	فهرس الاعلام	ط ... بيروت.
زهير بن أبي سلمى	ديوانه صنعة أبي العباس ثعلب	دار الآفاق الجديدة - بيروت
طه حسين	حديث الاربعاء	دار المعارف- مصر
عنترة بن شدّاد	ديوانه	دار الكتب العلمية
عبد القادر البغدادي	خزانة الأدب	دار الثقافة- بيروت
فؤاد افرام البستاني	الروائع - كعب بن زهير	ط ٢ ١٩٥٣
فؤاد افرام البستاني	مجلّة المشرق	عدد ٣١ سنة ١٩٣٣
كعب بن زهير	ديوانه	طبعتي دار الفكر، والدار القومية
لويس شيخو	شعراء النصرانية	ط ١٩٢٦
محمد مصطفى هدّاره	اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة	المكتب الاسلامي - بيروت
المرزباني	معجم الشعراء	دار الكتب العلميمة
مفيد قميحة	المعلّقات العشر	دار الهلال- بيروت

النويري	نهاية الأرب	دار الكتب المصرية
ياقوت الحموي	معجم البلدان	دار صادر - بيروت
اليعقوبي	تاريخ اليعقوبي	دار صادر - بيروت

المحتويات

الموضوع	الصفحة

وقــالــتْ تَعَـلَّمْ[1] أنَّ مــا كــانَ بينَنَــا إلــيــكَ أداءٌ[2] إنَّ عَــهْــدَكَ صَــالِــحُ
جـمِـيـعــاً تُـؤَدِّيـه إلـيـكَ أمــانَـتِـي كمــا أُدِّيَتْ بعـدَ الغِــرازِ الـمنــائِـحُ

الغِرازُ: قِلّة اللَّبنِ. والمنائحُ: واحدها منِيحةٌ، وهي الشاة والناقة يُمْنَحُها الرجلُ فيأكلُ لبنَها، فإذا انقطع رَدَّها على صاحبها.

وقــالـتْ تَعَـلَّمْ أنَّ بعضَ حُـمُـوّتِـي[3] وبَعْلِي غِضــابٌ كُلُّهُمْ لـكَ كَــاشِـحُ[4]
يَحِـدُّونَ[5] بـالأَيْـدِي الشِّفـارَ[6] وكلُّهم لِحَلْقِـكَ لَـوْ يَسْتَـطيـعُ حَلْقَـكَ ذَابِـحُ
وهِــزَّةِ أَظْــعــانٍ عـلـيـهـنَّ بَـهْـجَــةٌ طَلَبْتُ ورَيْعَــانُ الصِّبَــا بيَ جَـامِــحُ

رَيْعان الصِّبا: أوّلُه. يقول: طلبتُ الأظعانَ، وهنّ النساءُ على الإبل، فجعلتُ أعارِضهنّ فأركبُ في مراكِبهنَّ. والبهجة: الحسنُ والجمالُ. والجِماح: الخروجُ عن المِقدارِ.

فلمَّــا قَضَيْنــا مِن منىً كُــلَّ حــاجَــةٍ ومَسَّــحَ رُكْنَ[7] البيتِ مَنْ هُـوَ مَــاسِـحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ[8] المَهَارِي[9] رِحالُها[10] ولا يَنْـظُرُ الغَـادِي[11] الـذي هُـوَ رَائِــحُ
فَقُلْنَا[12] على الهُوجِ المَرَاسِيلِ[13] وآرْتَمَتْ بِهِنَّ الصَّحَـارِي والصِّمادُ الصَّحـاصِـحُ

---

(١) تعلم هنا: بمعنى أعلم.
(٢) الأداء: المؤدى إليك.
(٣) الحموّة: أقارب الزوج.
(٤) الكاشح: العدوّ الباطن العداوة، كأنّه يطويها في كشحه.
(٥) يحدّون، من حَدَّ السكين: إذا شحذها بحجر أو مبرد.
(٦) الشِّفار: الواحدة شفرة، وهي حدّ السّيف أو جانب النصل.
(٧) ويروى: «ومسَّحَ بالأركان».
(٨) الحُدْب: الواحد أحدب، وحدباء: خرج ظهره ودخل صدره وبطنه فهو أحدب.
(٩) المهاري: الواحدة مهريّة، وهي المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن. وقيل: إنّها كانت لا يُعدل بها شيء في سرعة جريانها.
(١٠) ويروى: «رحالنا».
(١١) الغادي: الذاهب في العشي.
(١٢) قُلْنَا: من القائلة، النوم في منتصف النهار، ولعلّه هنا يريد: النعسة الغالبة.
(١٣) المراسيل: السريعة الجري.

قوله: الهُوج، يقول كأنَّ بِهنَّ هَوَجاً من نشاطها. والصِّماد: ما غَلُظ من الأرضِ وآنقاد. وواحِدُ الصَّحاصح: صَحْصَحٌ وصَحْصَحانٌ، وهو ما آستوى من الأرض وكان أمْلَس مُنبسِطاً. ويروى: فَقِلْنا على الهُوج.

نَـزَعْنـا[1] بـأطْـرافِ الأَحـاديثِ بيْنَنـا ... ومَـالَتْ بـأعْنـاقِ المَـطِيِّ الأبـاطِـحُ
وطِـرْتُ إلـى قَـوْداءَ قَـادَ تَـلِيـلُهـا ... منـاكِبَهـا وآشْتَـدَّ منهـا الـجَـوانِـحُ

القَوْداء: الطويلةُ العُنُقِ. والتليلُ: العُنُق. وقاد: تَقَـدَّمَ. والجوانـح: الأضلاعُ التي تلي الصّدر، الواحدة جَانِحَةٌ.

كـأنِّي كَسَوْتُ الـرَّحلَ جَـوْنـاً رَبـاعِيـاً[2] ... تَضَمَّـنَـهُ وَادِي الـرَّجَـا فـالأفـايِـحُ

الجَوْنُ: الحمارُ الوحشِيّ. والرجا[3] والأفايح[4]: موضعانِ.

مُـمَـرّاً كَعَـقْـدِ الأَنْـدرِيِّ مُـدَمَّـجـاً ... بَـدَا قـارِحٌ منـه ولَـمْ يَـبْـدُ قـارِحُ[5]

ويـروى: «الأَنْدَرانِيِّ مُـدْمَجاً». ومُمَـرّ: مدمَـج الفَتْلِ مُحكمـه. والأندرانِيّ: منسوبٌ إلى بلَدٍ يقال له أندرُ[6] تُعمل فيه الحِبال.

كـأنَّ عـليـه مِـنْ قَـبَـاءٍ بِـطانَـةً ... تَفَـرَّجَ عنـهـا جَيْـبُهـا والـمَنـاصِـحُ

المناصح: الإبَرُ، الواحدة مِنْصَحةٌ. والنِّصَـاحُ: الخَيْطُ. والنَّاصِـح: الخيَّاط. وقالوا: وإنَّما أرادَ أنّ عليه بياضاً من لونِه قد جَلَّلَ سَرَاته وبَطْنَه.

---

(١) ويروى: «أخذنا».

(٢) الرباعيّ: الذي سقطت رباعيته، أي السنّ التي بين الثنية والناب.

(٣) رَجا: موضع قريب من وَجْرَة والصرائم.
(ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧، مادة: «رَجا»).

(٤) الأفايح: لم نجد هذا الاسم فيما لدينا من مظان لغويّة وإنّما ورد عند ياقوت «أُفَيْحٌ» بلفظ التصغير، هو موضع بنجد.
(المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٣، مادة «أفيح»).

(٥) القارح: الناب الذي ينبت مكان السنّ التي تلي الرباعيّة بعد سقوطها.

(٦) أندر: قال الأزهري: الأندر قرية بالشام فيها كروم، وجمعها الأندرين.
(ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٠، ٢٦١، مادة «أندرين»).

أخُــو الأرضِ يَسْتَخْفِي بهـا غَيْـرَ أنَّـه إذا آسْتَـافَ منهـا قـارِحـاً فهـو صَـائِـحُ

استاف: شمَّ. وقارِحُ: حامِلٌ. يقول: إذا شمَّها فعَلِم أنها قد عَلِقَتْ صَاحَ.

دَعَـاهَـا من الأمْهَـادِ أمْهَـاد عَـامِـرٍ وهـاجَتْ من الشِّعْرَى[1] عليـه البَوَارِحُ[2]

ويروى: رَعاها. والأمهادُ: مواضعُ معروفةٌ[3]. وهاجت: اشتدّ حرُّ هذه الأماكن عليه فطلبَ الماءَ.

* * *

وقال أيضاً[4]؛ في يوم فتح مكة وفي غزوة حنين والطائِف وكن في فَوْرَةٍ؛ غَزَاهُنَّ النبيُّ ﷺ:

[من الوافر]

نَـفَـى أهْـلَ الـحَـبَـلَّقِ[5] يَـوْمَ وَجٍّ[6] مُـزَيْـنَـةُ جَـهْـرَةً وبَـنُـو خُـفَـافِ[7]

صَـبَـحْـنـاهُـمْ بـأَلْـفٍ[8] من سُـلَيْـم وألْـفٍ مِـنْ بَـنـي عُـثْـمَـانَ وَافِ

عثمانُ من مزينةَ. والوافِي: التَّام.

حَـدَوْا[9] أكتـافَهُـمْ ضَـرْبـاً وطعْنـاً ورَمْـيـاً بـالـمُـرَيَّـشَـةِ الـلِّطَافِ

المريَّشة: السهامُ. يقال رِشْتُ السَّهمَ أرِيشُه رَيْشاً.

---

(١) الشِّعْرَى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء، وطلوعه يكون في شدّة الحرّ.
(٢) البوارح: الرياح الحارة في الصيف.
(٣) الأمْهاد: جمع مَهْد؛ يوم الأمْهاد من أيّام العرب؛ ويقال لها: أمهاد عامر كأنّه من مهَّدت الشيء إذا بَسَطته.
(ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٦، مادة: «الأمهاد»).
(٤) نُسبت هذه القصيدة لبجير بن زهير، ولعلّ هذا هو الصحيح.
(٥) الحَبَلَّقُ: الغنم الصغار. وقيل: الحَبَلَّق: أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس.
(٦) وَجّ: الطائف، وقيل: سُمّيت وجّاً بوجّ بن عبد الحق من العمالقة.
(٧) بنو خُفَاف: بطن من سليم.
(٨) ويروى: «بسبع».
(٩) حَدَوْا: تبعوا.

رَمَيْنـاهـم بـشُـبَّـانٍ وشِيـبٍ تُـكَفْكِفُ كُـلَّ مُـمْتَنِـعِ العِـطَافِ[1]
تَـرَى بينَ الـصُّفـوفِ لَـهُنَّ رَشْقـاً[2] كمـا آنْصَـاعَ الفُـواقُ عنِ الـرِّصَـافِ

آنْصاعَ: نَصَلَ وخَرَج من موضعِه. والرِّصاف: عَقَبٌ يُشدّ على الفُوقِ. والفُوق والفُوَاق واحِدٌ.

تَـرَى الـجُـرْدَ الجِيـادَ تَلوحُ فيـهِـمْ بـأَرْمـاحٍ مُـقَـوَّمـةِ الـثِّـقَـافِ

الجُرْد: جمع أجْرَد، وهو الفرسُ القصيرُ الشَّعَرةِ. وهذا مدْح. وطولُ الشعـرةِ في الخيل هُجْنَةٌ. وقوله: بأرْماحٍ، يريد مع أَرْماحٍ، أي تَرَى هذا وهذا فيهم. ومقوَّمة الثقافِ، أراد مقوَّمةَ التثقِيف؛ وهو[3] ما قُوِّمت به الرِّماح.

ورُحْنَـا غـانـمِـينَ بـمـا أرَدْنـا ورَاحـوا نَـادِمِينَ عـلى الخِـلَافِ

غَنِمـوا من مُحـاربتهم الأجـرَ ورجعـوا بـالإسـلام، ورَاحَ أولئـك نـادمِين على مخالفتهم لرسولِ الله ﷺ.

وأَعْـطَيْـنَـا رَسُـولَ اللهِ مِـنَّـا مـواثِيقـاً[4] عـلى حُسْـنِ التَّصَـافِي[5]
فَـجُـزْنَـا[6] بَـطْنَ مَـكَّـةَ وآمْـتَـنـعـنـا بـتَـقْـوَى اللهِ والْـبيضِ الـخِـفَـافِ[7]
وحَـلَّ عَمُـودُنَـا[8] حَجَـراتِ نَـجْـدٍ فَـأَلْيَـةَ[9] فَـالقُـدوسَ[10] إلى شَـرَافِ[11]

---

(١) العطاف: جمع عِطف. وعطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه.
(٢) ويروى: «لها حفيفاً».
(٣) الضمير في «وهو» يعود على الثقاف.
(٤) المواثيق: العهود.
(٥) التصافي: الإلفة والمحبّة.
(٦) جزنا: قطعنا.
(٧) البيض الخفاف: السّيوف السريعة العمل.
(٨) العمود: خباء طويل يضرب على الأعمدة فيقال لأهله عليكم بأهل ذلك العمود.
(٩) أَلْيَة: ماء من مياه بني سليم.
(١٠) القدوس: إنّما أراد قدس أوارة جبلان يقال لهما القدسان، قدس الأبيض وقدس الأسود.
(١١) شراف: ماء بنجد له ذكر كثير في آثار الصحابة: ابن مسعود وغيره.

أرَادُوا الـلاَّتَ[1] والـعُـزَّى[2] إلـهـاً   كَـفَـى بـاللهِ دُونَ الـلاَّتِ كَـافِ

قال: ووَجَدْتُ في «كتاب العين» بيتاً ذكره الخليلُ شاهِداً ونسبَه إلى كَعْب بن زهير ولا أعرِفُه ولا القصيدةَ التي هو منها وهو:

[من الطويل]

كـأن آمْـرَأ لَـمْ يَلْقَ عـيشـاً بـنعْـمَـةٍ   إذا نَـزلَتْ بـالمـرءِ قَـاصِمـةُ الـظَّهْـرِ

تَمَّ شعرُ كعبٍ في روايةِ السكري.

كان الفراغُ من نسخه يوم الإثنين من العشْر الآخرِ من شعبان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

---

(١) اللاَّة: صخرة مربّعة شاعت عبادتها في الطائف.

(٢) العزّى: إحدى آلهة الجاهليّة عبدها العرب قبل الإسلام إلى جانب اللاَّة ومناة.

(أ)
فائت الشارح

وقال كعب:

[من الوافر]

صَبَحْنا الحيَّ حَيَّ بني جِحاشٍ[1] بِمَكْرُوثاءَ[2] داهيةً نآدَا

مكروثاءُ: أرضٌ. والنآد: الداهيةُ الشديدة.

فما جَبُنُوا غداتَئِذٍ ولكِنْ أُشِبَّ بهم فلم يَسَعُوا الذِّيادَا

أشبَّ بهم: فُرِّقوا. ويقال للإبل إذا جاءت إلى الحَوْضِ فمنعوا بعضَها ولم يقدروا على ردِّ الكلِّ قالوا لهم: لم يَسَعُوا الذِّياد، أي لم يُطِيقوه.

فإنْ تَكُ أخْطأَتْ سعدُ بنُ بَكْرٍ[3] فقد تَركتْ مَوالِيَها[4] عِبَادَا[5]

بَني عَوْفٍ ودُهْمانَ بنَ نَصْرٍ[6] وكان اللهُ فاعِلَ ما أرادَا

صَبَحْناهُمْ بِجَمْعٍ فيه ألْفٌ رَوايَاهُمْ يُخَضْخِضْنَ[7] المَزَادَا

---

(١) بنو جحاش: بطن، منهم الشمّاخ بن ضرار.

(٢) مَكْرُوثا: موضع في ديار بني جحاش، رهط الشمّاخ.
(ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٨٠، مادة: «مكروثا»).

(٣) سعد بن بكر: من هوازن.

(٤) الموالي: الواحد مولى، وهو السيّد والمعتق.

(٥) العباد: العبيد.

(٦) بنو عوف ودهمان بن نصر من هوازن.

(٧) يُخَضْخِضْنَ: يُحَرِّكْنَ الماء وغيره.

الرَّاوِية: البعير يحمِل الماءَ. والمَزادة: وِعاء الماءِ.

أَرَبَّتْ[1] بـالأَكَـارِعِ[2] وهـي تَـبْـغِـي رُعـاةَ الـشـاءِ والـضَّـأْنَ الـقِـهَـادَ

القِهاد: من الضأنِ؛ الواحدة قَهْدةٌ، وهِي صغِيرة الجِسْم والرأسِ.

فـجُلْنَـا جَـوْلَـةً ثـم آرْعَـوَيْـنَـا[3] وأمْـكَـنَّـا لِـمَـنْ شـاءَ الـجِـلَادَا
بِـضَـرْبٍ يُلْقِـحُ الـضِّـبْـعَـانُ منـه طَـرُوقَـتَـه ويـأتَـنِـفُ الـسِّـفَـادَا[4]

الضبعان: الذكر من الضباع. ويأتنف: يستأنِف.

* * *

وقال أيضاً:

[من الوافر]

إنْ يُـدْرِكْـكَ مـوتٌ أَوْ مَـشِـيـبُ فـقـبـلَـك مـات أقـوامٌ وشـابـوا
تَـلَـبَّـثْـنـا وفَـرَّطْـنـا رِجـالاً دُعُـوا وإذا الأنـامُ دُعُـوا أجـابـوا

فرّطنا رجالاً: قدّمناهم أمامنا؛ أي ماتوا قبلنا. والأنام[5]: لا واحد له. وقد قال بعض النحويّين: واحده أَنامَةٌ. واحتجّ ببيت يُذْكَرُ ويُستشهد [به]:

أَعَمْـداً يَقْـرِفُـون[6] عليـكِ عنـدي أَمَ آنْـتِ أَنـامـةٌ لا تَـعْـقِـلِيـنَـا

وإنَّ سَـبِـيـلَـنـا لَـسـبِـيـلُ قـومٍ شَهِـدْنـا الأمـرَ بعـدَهُمُ وغـابـوا
فـلا تَـسـأَلْ سَـتَـشْـكَـلُ كـلُّ أُمٍّ إذا مـا إخـوةٌ كَـثُـرُوا وطـابـوا

---

(١) أَرَبَّت بالمكان: أقامتْ به ولزمته.
(٢) الأكارع: موضع بعينه، لم نعثر على ذكر له في المعاجم.
(٣) ارعوينا: عدنا إلى رشدنا.
(٤) السفاد: الجماع.
(٥) الأنام: الخلق.
(٦) يقرفون: يكذبون.

(ب)

شعر أنشد لكعب ولم ينشر في ديوانه

وقال كعب يمدَح أميرَ المؤمنين عليّاً عليـه السلام. وكـانت بنو أميـة تنهَى عن روايتها وإضافتها إلى شعره:

[من البسيط]

هـل حبـلُ[١] رملةَ قبـل البَيْنِ[٢] مبتـورُ[٣] ... أم أنتَ بـالحِلْمِ بعـد الجَهْـلِ معـذورُ

ما يجمع الشـوقُ إنْ دارٌ بنا شَحَـطتْ[٤] ... ومِثْلُهـا فـي تَـدَانِي الـدارِ مـهجـورُ

نَشْفَى بهـا وَهْيَ داءٌ لـو تُصَـاقِبُنـا[٥] ... كمـا اشتفَى[٦] بعِيَـادِ الخمـرِ[٧] مخمـورُ

ما روضةٌ من رِياضِ الحَزْنِ[٨] بَـاكَرَهـا ... بـالنَّبْتِ مُخْـتلِفِ الألـوانِ مـمـطورُ[٩]

يـومـاً بـأطيبَ منهـا نَشْـرَ رائحـةٍ ... بعـد المنـامِ إذا حُبَّ المَعَـاطِيـرُ[١٠]

مـا[١١] أنس لا أنْسَها والـدمـعُ مُنْسَـرِبٌ ... كـأنَّـه لُـؤْلؤٌ في الـخَـدِّ محـدورُ[١٢]

---

(١) الحبل: كناية عن الوصل والمودّة.

(٢) البين: الفرقة.

(٣) مبتور: مقطوع.

(٤) شحطت: بعدت.

(٥) تصاقبنا: تدانينا.

(٦) اشتفى: نال به الشفاء.

(٧) عياد الخمر: العودة إليها.

(٨) الحَزْن: طريق بين المدينة وخيبر، قال أبو عمرو: الحَزْن: الغليظ من الأرض.

(٩) بَاكَرَها ممطور: انصبّ عليها في الصباح الباكر.

(١٠) المعاطير: جمع معطار، وهو الذي في عادته أن يتعهّد نفسه بالطيب ويكثر منه.

(١١) «ما» هنا: شرطيّة.

(١٢) محدور: منحدر.

لـمّـا رأيتُـهـمُ زُمّـتْ[١] جِـمـالُــهـمُ ... صَـدّقتُ مـا زعمـوا والبَيْنُ محـذورُ
يـحـدو بهـنّ أخـو قـاذُورةٍ[٢] حَـذِرٌ ... كـأنَّـه بـجميـعِ النَّـاسِ مـوتـورُ
كـأنَّ أظعـانَهـم[٣] تُحـذَى مُـقفِّيـةً ... نـخـلٌ بِعَـيْنَيْـنِ[٤] مُـلْتَـفٌ مَـوَاقِيـرُ
غُلْبُ الـرِّقابِ[٥] سَقَـاها جَـدْوَلٌ سَـرِبٌ ... أوْ مَشْعَبٌ[٦] مِن أتِيِّ البَحْـرِ مفـجـورُ
هـل تُبْلِغَنِّي عَليَّ الخَيْـرِ[٧] ذِعْلِبَـةٌ[٨] ... حَـرْفٌ[٩] تَزَلَّـلَ عنأصـلابِهـا الكُـورُ[١٠]
من خَلْفِهـا قُلُصٌ[١١]تَجْـرِي أزِمَّتُهـا[١٢] ... قـد مَسَّهنّ مـع الإدْلاجِ[١٣] تهجيـرُ[١٤]
يَخْبِطْنَ بالقومِ أنضاءً[١٥] السريح[١٦] وقد ... لاذتْ من الشمسِ بـالظِّلِّ اليَعَـافِيـرُ[١٧]
حتَّى إذا آنتصَب الحِـرْباءُ[١٨] وآنتقلتْ ... وحـانَ إذ هَجَّـرُوا بـالـدَّوِّ[١٩] تَغْـوِيـرُ[٢٠]

---

(١) زُمّت: رُبطت وشُدَّت، وزمّ الجمال خطمها.
(٢) القاذورة هنا: الناقة التي تترك ناحية من الإبل.
(٣) الأظعان: الواحدة ظعينة: المرأة ما دامت في الهودج.
(٤) عينان: مكان بشقّ البحرين به نخل.
(ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٠، مادة: «عينين»).
(٥) غلب الرقاب: غليظة الأعناق.
(٦) المشعب: الطريق.
(٧) عليّ الخير: أراد عليّاً بن أبي طالب.
(٨) الذِعْلبة: الناقة السريعة.
(٩) الحرف: الناقة الضامرة الصلبة.
(١٠) الكور: الرحل بأدواته.
(١١) القلص: الواحدة قلوص، وهي الفتية من الإبل، بمنزلة الجارية من النساء.
(١٢) الأزِمَّة: الواحد زمام: العنان.
(١٣) الإدلاج: سير أوّل اللّيل، وربّما استعمل في سير آخر اللّيل.
(١٤) التهجير: السير في الهاجرة، أي منتصف النهار.
(١٥) أنضاء: من نضى، هزل.
(١٦) السريح: السير الذي تُشدّ به الخدمة فوق رسغ البعير.
(١٧) اليعافير: الواحد يعفور، وهو الظبي الذي لونه كلون العَفَر وهو التّراب، وقيل: هو الظبي عامة، أو ولد البقرة الوحشيّة.
(١٨) الحرباء: دويبة تستقبل الشمس برأسها وتكون معها كيف دارت وتتلوّن ألواناً بحرّها.
(١٩) الدَّوّ: المفازة.
(٢٠) التغوير: النزول في القائلة.

قالوا تَنَحَّوْا فَمَسُّوا الأرضَ فاحْتَوَلُوا ... ظِلاًّ بمُنْخَرَقٍ[1] تهفو به المُورُ[2]

ظَلُّوا كأنَّ عليهمْ طائراً عَلِقاً[3] ... يهفو[4] إذا آنسفرتْ[5] عنه الأَعاصِيرُ[6]

لوجْهةِ الرِّيح منه جانِبٌ سَلِبٌ[7] ... وجانِبٌ بأَكُفِّ القومِ مَضْبورُ[8]

حتَّى إذا أبردُوا[9] قاموا إلى قُلُصٍ ... كأَنَّهُنَّ قِسِيُّ الشَّوْحَطِ[10] الزُّورُ[11]

عَوَاسِلٌ[12] كرَعِيلٍ[13] الرُّبْدِ[14] أَفْزَعَها ... بالسِّيِّ[15] من قانِصٍ شَلٌّ[16] وتَنْفِيرُ

حتى سقَى اللّيل سَقْيَ الجِنِّ فانغمستْ ... في جَوْزِه[17]، إذ دَجا[18]، الآكامُ والقُورُ[19]

غَطَّى النَّشَازَ[20] مع الآكامِ فاشْتَبَهَا ... كِلاهُما في سَوادِ اللَّيْلِ مغمورُ[21]

* * *

---

(١) المنخرق: مكان تتخرّق فيه الريح، أي تهبّ.

(٢) المور: التّرابِ الذي تثيره الرياح.

(٣) الطائر العلق: الذي يعلق في الحبالة، أي الفخ.

(٤) يهفو: يطير.

(٥) انسفرت: انكشفت وانحسرت.

(٦) الأعاصير: جمع إعصار، وهو ريح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنّها عمود.

(٧) السلب: السريع؛ ورجل سلب اليدين بالضرب والطعن: خفيفهما، ورمح سلب: طويل.

(٨) المضبور: المجتمع الخلق الأملس.

(٩) أبردوا: دخلوا في العشي.

(١٠) الشوحط: ضرب من النبع تتخذ منه القسي، وهو ينبت في السهل.

(١١) الزور: جمع زوراء، وهي القوس المنعطفة.

(١٢) العواسل: المضطربة في سيرها لخفتها ونشاطها.

(١٣) الرعيل: الجماعة.

(١٤) الربد: النعام، أو ما كان لونها بلون الرماد.

(١٥) السِّي: موضع بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة دون ركبة، على يسار طريق مكّة لمن يخرج من ضرية.

(١٦) الشلّ: الطرد، وكذلك التنفير.

(١٧) جوز اللّيل: وسطه ومعظمه.

(١٨) دجا: أظلم.

(١٩) القُورُ: جمع قارة، وهي جبيل مستدقّ ململوم طويل في السماء لا يقود في الأرض كأنّه جثوة، وهو عظيم مستدير.

(٢٠) النّشاز: ما ارتفع من الأرض.

(٢١) أراد أنّ السير قد امتدَّ بهم إلى وسط اللّيل، وكان شديد الظلمة، فاشتبهت عليهم الآكام والقور.

إنَّ عَلِيّـاً لـمـيـمـونٌ نَـقِـيـبـتُـهُ[1] بـالصَّـالحـاتِ مِن الأفعـالِ مشهـورُ
صِهْـرُ النَّبِيِّ وخيـرُ النَّـاسِ مُفْتَخَـراً فكُـلُّ مَنْ رامَـه بـالـفَخْـرِ مـفخـورُ
صَـلَّى الـطَّهـورُ مـع الأُمِّيِّ[2] أَوَّلـهـمْ قبـلَ المَعَـادِ وربُّ النَّـاسِ مـكفـورُ
مُقَـاوِمٌ لـطُغَـاةِ الشِّـرْكِ يَـضْـرِبُهُـمْ حتَّى آستقـامـوا[3] ودِينُ اللهِ منـصـورُ
بـالعَـدْلِ قمتَ أميـنـاً حين خَـالَفَـهُ أهـلُ الهَـوَى وذَوُوا الأَهـواءِ والـزورِ[4]
يـا خيـرَ مَنْ حَملتْ نَعْـلاً لـه قَـدَمٌ بعـدَ النَّبيِّ لَـدَيْـهِ الـبَغْـيُ مهـجـورُ
أعـطاكَ رَبُّـكَ فَـضْـلاً لا زَوَالَ لـه مِـنْ أيـنَ أَنَّـى لـه الأَيَّـامَ تَـغْـيِـيـرُ

* * *

وأنشد له أيضاً*:

[من الوافر]

لَـعَـمْـرُكَ مـا خَشِيـتُ عـلى أُبَـيٍّ مَـصَـارِعَ بـيـنَ قَـوٍّ[5] فـالسُّـلَيِّ[6]
ولٰـكِـنِّـي خَـشِـيـتُ عَـلَى أُبَـيّ جـرِيـرةَ رُمْـحِـهِ فـي كُـلِّ حَـيِّ[7]
مِـنَ الـفِـتْـيـانِ مُـحْـلَوْلٍ مُـمِـرٌّ وأمَّـارٌ بـإرشـادٍ وغَـيِّ[8]
أَلَا لَـهْـفَ الأَرَامِـلِ والـيَـتَـامَـى ولَـهْـفَ الـبـاكيـاتِ عـلى أُبَـيِّ[9]

* * *

(١) النقيبة: السجيّة والطبيعة.
(٢) الطَّهور، يعني عليّاً عليه السلام. والأُمِّيّ، يعني محمّداً عليه الصلاة والسلام. أراد أنّ عليّاً كان أوّل السابقين إلى الإسلام.
(٣) حتّى استقاموا: أي ثابوا إلى رشدهم.
(٤) في البيت إقواء.
* ذكر أبو تمّام في حماسته، شرح التبريزي، (باب المراثي) ج ٣، ص ٢٩، أربعة أبيات لكعب بن زهير في رثاء رجل اسمه أُبَيّ توفي عطشاً بين مكانين يدعى الأول منهما قَوّاً، والثاني السُّلَيّ.
(٥) قَوّ: موضع ببلاد بني أسد، أعلاه لهم وأسفله لبني عبس.
(٦) السُّلَيّ: واد فيه طلح بالقرب من النباج لبني عبس. يقول: لم أكن لأخشى عليه الموت بين ذينك الموضعين.
(٧) الجريرة: الجناية. يقول: إنّما أخشى عليه من شجاعته.
(٨) المحلولي: المتناهي في الحلاوة. وكذلك «الممّر» من المرورة. يعني يأتي بالخير والشرّ والنفع والضرر.
(٩) ذكر الأرامل واليتامى لأنّ الفقيد كان يغيثهم ـ أورد التبريزي شارح الحماسة حكمه على هذه الأبيات

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

صَمُوتٌ وقَوَّالٌ فلِلْحِلْمِ صَمْتُهُ ... وبالعِلْمِ يجلو الشَّكَّ مَنْطِقُه الفَصْلُ
فتىً لم يَدَعْ رُشْداً ولم يَأتِ مُنْكَراً ... ولم يدْرِ من فَضْلِ السَّماحةِ ما البُخْلُ
بِه أنجبَتْ للبَدْرِ شمسٌ مُنِيرةٌ ... مُبارَكةٌ يَنْمِي بها الفَرْعُ والأَصْلُ
إذا كانَ نَجْلُ الفَحْلِ بين نَجِيبةٍ[1] ... وبين هِجَانٍ[2] مُنْجِبٍ[3] كَرُمَ النَّجْلُ

* * *

وأنشد له أيضاً*:

[من الطويل]

وليسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الهَوْلَ بُغْيَةٌ ... وليس لِرَحْلٍ حَطَّهُ اللهُ حَامِلُ[4]
إذا أنتَ لم تُقْصِرْ عن الجَهْلِ[5] والخَنَا[6] ... أَصَبْتَ حليماً أو أصابَك جاهلُ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من البسيط]

لا تُفْشِ سِرَّكَ إلّا عند ذي ثِقَةٍ ... أوْ لَا، فأَفْضَلُ ما اسْتَوْدَعْتَ أَسرارَا
صَدْراً رَحِيباً وقَلْباً وَاسِعاً صَمِتاً ... لم تَخْشَ منه لِمَا آسْتَوْدَعْتَ إِظْهارَا

* * *

فقال: قال المبرّد: «هذا الشعر من أجفى شعر العرب، لأنّه يُنْبِىء عن تقدير في المرثيّ أن تكون منيّته قتلاً، ويتأسّف على موته حتف أنفه». قال أبو هلال: «إنّما تأسّف على موته عطشاً».

(١) النجيبة: الكريمة من الإبل.

(٢) الهجان هنا: الكريم.

(٣) المنجب: الذي يأتي من نسله أولاد نجباء.

* ورد هذان البيتان في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ١، ص ١٥٦، ١٥٧، وقد نسبا لزهير، ويقال إنّهما لكعب.

(٤) يقول: من لم يركب الهول في مودّة أخيه لم يدرك بغيته، وليس لمن وضعه الله ارتفاع.

(٥) تقصر عن الجهل: تكفّ عنه.

(٦) الخنا: الفحش في الكلام وغيره.

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

لأيٍّ زَمَـانٍ يـخْـبَـأُ الـمَـرْءُ نَـفْـعَـهُ غَـداً فغَـداً والـدَّهْـرُ غَـادٍ ورائـحُ
إذا المَـرْءُ لم يَنْفَعْـكَ حَيًّـا فـنفْـعُـهُ قليـلٌ إذا رُصَّتْ عـليـه الصَّـفـائـحُ

* * *

وأنشد له أيضاً*:

[من الطويل]

وبِيضٍ من النَّسْـجِ القَـدِيمِ كـأنَّهـا نِهَـاءٌ[1] بقَـاعٍ مـاؤهـا مُـتَـرايِـعُ[2]
تُصَفِّقُهـا هُـوجُ الـرِّيـاحِ إذا صَـفَـتْ وتَعْقُـبُهـا الأمـطارُ فـالـمـاءُ راجِـعُ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

وأَشْعَثَ[3] رِخْـوِ المَنْكِبَيْنِ[4] بَـعَثْـتُـهُ ولِـلنَّـوْمِ مـنـه فـي الـعـظام دَبِـيبُ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الكامل]

أَرْعَـى الأمـانـةَ لا أخـونُ أمـانـتي إنَّ الـخَؤونَ عـلى الـطريـق الأَنْـكـبِ

* * *

* هذان البيتان في وصف الدرع. ويقول أبو عبيدة: «إنَّهما أحسن ما قيل فيها».
(١) النهاء: الغدير حيث يتحيّر فيه السيل فيوسع.
(٢) المترايع: المتردّد.
(٣) الأشعث: مغبّر الشعر ملبّده.
(٤) المنكبان: مثنّى منكب، وهو مجتمع رأس الكتف والعضد.

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

تَعَلَّمْ رسولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وأَنَّ وَعِيداً منكَ كالأَخْذِ باليَدِ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

تَمَارَى بها رَأْدَ الضُّحَى ثم رَدَّها إلى حُرَّتَيْهِ[1] حافظُ السَّمْعِ مُقْفِرُ[2]

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من البسيط]

طافَ الرُّماةُ بصَيْدٍ رَاعَهم فإذا بعضُ الرُّماةِ بِنَبْلِ الصَّيْدِ مقتولُ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

وليلةِ مُشْتاقٍ كأنَّ نُجومَها تَفَرَّقْنَ عنها في طَيالِسَةٍ[3] خُضْرِ

* * *

---

(١) حرّتاه: أذناه.

(٢) مقفر: صار إلى القفر.

(٣) الطيالسة: ج طيلسان، وهو كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء، وهو من لباس العجم.

(٤) قاصمة الظهر: الداهية أو المصيبة التي ينوء الإنسان بحملها.

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

كأنّ آمْرأً لم يَلْقَ عيشاً بِنَعْمةٍ إذا نزلتْ بالمرءِ قاصمةُ الظَّهْرِ[٤]

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الوافر]

مَسَح النَّبِيُّ جَبِينَهُ فله بياضٌ بالخُدُودْ
وبِوَجْهِهِ دِيباجةٌ كَرُمُ النُّبُوَةِ والجُدُودْ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

أترجو آعْتِذَارِي يآبنَ أرْوَى[١] ورَجْعَتي عن الحَقِّ قِدْماً غالَ حِلْمَكَ غُولُ[٢]
وإنّ دُعائي كلَّ يومٍ وليلةٍ عليكَ بما أَسْدَيْتَه لَطويلُ
وإنّ آغترابي في البلادِ وجَفْوتي وشَتْمِيَ في ذاتِ الإلٰه قليلُ

* * *

وأنشد له أيضاً:

[من الطويل]

له عُنُقٌ تُلْوِي بما وُصِلتْ به ودَفَّانِ يَشْتَفَّانِ[٣] كُلَّ ظِعَانِ[٤]

---

(١) ابن أَرْوَى: هو الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه.
(٢) غال: أهلكه وأخذه من حيث لا يدري.
(٣) يشتفّان: يستغرقان.
(٤) الظِعان: الحبل يشدّ به الهودج أو الحمل.

ملحق:
ترجمته من كتاب «الأغاني»

أخبار كعب بن زهير

كعب بن زُهير بن أبي سُلْمَى المُزَنيّ، وقد تقدم خبَرُ أبيه ونَسَبُه. وأُمُّ كَعْب امرأةٌ من بني عبد الله بن غطفان يقال لهـا كَبْشة بنت عَمَّـار بن عديّ بن سُحَيم، وهي أُمُّ سائر أولاد زُهير.

وهو من المخضرمين، ومن فحول الشّعراء.

وسأله الحطيئة أنْ يقول شعراً يقدّم فيه نفسه، ثم يثنّي به بَعْدَه، ففعل.

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاَّم، وأخبـرني محمد بن الحسن بن دُريـد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قالا:

أتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ـ وكان الحطيئةُ راويةَ زهَيْر وآل زهير ـ فقال له: يا كعب، قد علمتَ رِوايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك، فلو قلتَ شعراً تذكرُ فيه نفسَك وتَضعُنِي مَوْضِعاً بعْـدَك! وقال أبـو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثنّي بي، فإنَّ الناس لأشعاركم أرْوَى، وإليها أسـرع، فقال كعب:

فَمَنْ للقــوافي شـانَهــا مَنْ يَحُـوكهــا ... إذا مــا ثَــوَى كَـعْـبٌ وفَــوَّزَ جَــرْوَلُ
يـقــول فــلا تَعْـيَــا بـشـيء يَـقــولُـه ... ومِـنْ قــائليـهــا مَنْ يُـسِيء ويَـعْـمَــلُ
كفيتُـك لا تلْقَى مِن النــاسِ واحــداً ... تـنخَّــلَ مِـنهــا مِـثْــل مــا يُـتـنـخَّــلُ
يُـثـقِّـفُـهــا حـتـى تَـلِيـنَ مُـتُـونُـهــا ... فـيَقْـصُــرُ عنهــا كــلُّ مــا يُـتـمـثَّــلُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ، قالا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجصَّاص، قال:

قال زُهير بيتاً ونصفاً ثم أكْدَى، فمرَّ به النّابغةُ، فقال له: أبا أُمامة، أجِزْ، فقال: وما قلت؟ قال: قلت:

تَـزيـد الأرضُ إمَّـا مـتَّ خـفّـاً وتَـحْـيَـا إنْ حَـيِيـتَ بـهـا ثَـقِـيـلا

نـزلْـتَ بمستقـرِّ العَـرْضِ منهـا

أجِز، قال: فأكدى والله النابغة، وأقبل كَعْب بْنُ زهير، وإنه لغلام، فقال أبوه: أجِز يا بُنَيّ، فقال: وما أُجيز؟ فأنشده، فأجاز النصف بيت، فقال:

* وتمنـع جَانِبيهَـا أنْ يَـزُولا *

فضمَّه زُهَيْرٌ إليه، وقال: أشهد أنك ابْني.

[زهير ينهاه عن الشعر ثم يأذن له]

وقال ابنُ الأعرابيّ: قال حماد الراوية:

تحرَّك كعب بن زهير وهو يتكلَّم بالشعر، فكان زُهير يَنْهاه مخافةَ أنْ يكـون لم يستحكِمْ شِعْرُه، فيُرْوى له ما لا خَيْرَ فيه، فكان يَضْرِبُه في ذلك، فكلّما ضربه يزيدُ فيه فغلبه، فطال عليه ذَلك، فأخذه فحبَسه، فقال: والذي أحلفُ به لا تتكلم ببيتِ شعر إلاّ ضربْتُك ضَرْباً يُنكِّلُك(١) عن ذلك. فمكث محبوساً عدَّة أيام، ثم أخبر أنـه يتكلَّم به، فدعاه فضربه ضَرْباً شديـداً، ثم أطلقه وسـرَّحه في بَهْمـة(٢)، وهو غُلَيِّم صغيـر، فانطلق فَرعى ثم راح عشيَّة، وهو يرتجز:

كـأنّـمـا أحْـدُو ببَـهـمـي عِـيـرَا مـن الـقُـرَى مُـوقـرةً شـعـيـراً

---

(١) ينكّلك: يصرفك.

(٢) البهمة: ولد البقر والمعز والضأن والجمع البَهم والبِهام.

فخرج إليه زُهير وهو غَضْبان، فدعا بناقته فكفَلها بكسائه، ثم قعد عليها حتّى انتهى إلى ابْنه كعْب، فأخذ بيده فأرْدَفه خَلْفَه، ثم خرج فضرب ناقَته وهو يريد أنْ يبعثَ ابْنَه كَعْباً ويعلمَ ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى الحيّ:

إني لتُغْدِيني على الحيّ جَسْرَةٌ   تَخُبُّ بِوَصَّالٍ صَرُومٍ وتُعْنِقُ

ثم ضرب كَعْباً، وقال له: أجِزْ [يا لُكَع][1]، فقال كعب:

كبُنْيانةِ القَرْئِيّ موضعُ رحلها   وآثارُ نِسْعَيْها من الدَّفِّ أبْلَقُ

فقال زهير:

على لاحِبٍ مثل المجَرَّةِ خِلْتَهُ   إذا ما عَلاَ نَشْزاً من الأرضِ مُهْرَقُ[2]

أجزيا لُكع، فقال كعب:

مُنِيرٌ هَداهُ لَيلُه كنَهارِه   جميعٌ إذا يَعْلُو الحُزُونةَ أفْرُقُ[3]

قال: فتبدّى زُهَيْر في نَعْت النعام، وترك الإبل، يتعسَّفُه عَمْداً ليعلمَ ما عنده، قال:

وظَلَّ بوَعْساءِ الكَثِيبِ كأنَّه   خِباءٌ على صَقْبَيْ بِوَانٍ مُرَوَّقِ[4]

صَقْبَي: عمُودَيْ. بوان: عَمُود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى   سَماوَةَ قَشْراءِ الوَظِيفين عوْهَقِ[5]

فقال زهير:

تَحنُّ إلى مِثْل الحَبابِيرِ جُثَّمٍ   لدَى منتِج مِنْ قَيْضِها المَتَفلِّقِ[6]

---

(١) لُكَعُ: كلمة تُقال للصبيّ الصغير، وإن أطلقت على الكبير أريد بها الصغير العلم والعقل.
(٢) اللاحب: الطريق الواضح. ومُهرق: أملس.
(٣) جميع: قوي، وجميع: جيش. والحزونة: غلاظة الأرض.
(٤) الوعساء: السهل الليّن من الرمل والجمع أوعس.
(٥) تراخي: تطاول. والضَّحاء للإبل مثل الغداء للناس. سماوة: شخص. وقشراء الوظيفين، يعني الساقين. وعوهق: طويلة العنق.
(٦) القيض: القشرة العليا للبيضة.

الحبابير: جمع حُبارى[1]، وتجمع أيضاً حُباريَات، فقال كعب:

تحطَّمَ عَنْها قَيْضُها عن خَراطِمٍ ... وعَنْ حَدَقٍ كالنَّبْخِ لم يَتَفَتَّقِ

الخَراطم هاهنا: المناقير، والنَّبخ: الجُدْري شبّه أعْيُنَ ولدِ النعامة به.

قال: فأخذ زهير بيد ابْنِه كعب، ثم قال له: قد أذِنْتُ لك في الشِّعْرِ يا بُنَيّ.

فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله ـ وهو صغير يومئذ ـ قال:

أبِيتُ فلا أهجو الصديقَ ومَنْ يبعْ ... بِعرْضِ أبيه في المعاشر يُنْفقِ

قال: وهي أوّلُ قصيدة قالَها.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ، قال: حدثني الحجاج بن ذي الرُّقَيْبة بن عبد الرحمن بن مُضَرّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، عن أبيه، عن جدّه قال:

خرج كعْب وبُجَير ابْنَا زهير بن أبي سُلْمَى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزّاف، فقال كعب لبُجَير: الْحَقِ الرجل، وأنا مقيم هاهنا، فانظُرْ ما يقولُ لك. فقدم بُجَير على رسول الله ﷺ، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبْلِغَا عنّي بُجَيْراً رِسالَةً ... على أيِّ شيء ـ وَيْب غَيْرِك ـ دَلَّكَا
على خُلق لم تُلْفِ أُمّا ولا أباً ... عَلَيْه ولم تُدْرِك عليه أخاً لَكَا
سقاكَ أبو بكر بكأسٍ رَوِيّة ... فأنهلَك المأمونُ مِنْها وعَلَّكَا

[الرسول ﷺ يهدر دمه]

ويروى «المأمور». قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دمَه، وقال: مَنْ لقي منكم كعْبَ بن زهير فليَقْتُله.

فكتب إليه أخوه بُجَير يخبره، وقال له: انجه[2] وما أراك بِمُفْلِتٍ. وكتب إليه بعد

(١) الحباري: طائر على شكل الإوزة.
(٢) انْجُه: أي: انْجُ.

ذلك يأمره أنْ يُسْلِم ويُقْبِل إلى رسول الله ﷺ ويقول له: إنّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسوله قَبِل ﷺ منه، وأسقط ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ:

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليومَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمٌ عِنْدَها لم يجْزَ مَكْبُولُ

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحِلَتَه بباب مسجد رسول الله ﷺ وكان مجلسه من أصحابِه مكانَ المائدة من القوم حَلْقة ثم حَلْقة ثم حَلْقة ثم حَلْقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطَّى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومَنْ أنتَ؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنْتَ الذي يقول.. كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

سقاكَ أبو بَكْرٍ بكَأْسٍ رَوِيَّةٍ   وأنهَلَكَ المأمونَ منها وعَلَّكا

فقال رسول الله ﷺ: مأمون والله. ثم أنشده ـ يعني كعباً ـ:

* بانت سعاد فقلبي اليوم مَتْبُول *

قال عمر بن شبّة: فحدثني الحِزاميّ، قال: حدثني محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجَعْدِ، قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيّبيّ، قال: حدثنا محمد بنت فُلَيح، عن موسى بن عقبة، قال: أنشدها رسولَ الله ﷺ في مسجده، فلما بلغ إلى قوله:

إنّ الرّسولَ لسَيفٌ يُستضاءُ به   مهنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ
في فِتْيَةٍ مِنْ قريش قال قائلُهم   بِبَطْنِ مكة لَمَّا أسلموا: زُولوا
زَالُوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ   عند اللقاء ولا خُورٌ مَعازِيل

أشار رسول الله ﷺ إلى الحِلَق[1] أن يسمعوا شِعْر كعب بن زهير.

قال الحزاميّ: قال عليّ بن المديني: لم أسمع قط في خَبَر كعب بن زهير

---

(١) الحِلَقُ: جمع الحلقة وهي الجماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيرها.

حديثاً قطّ أتمّ ولا أحسنَ مِنْ هذا، ولا أُبالي ألّا أسمع من خبره غير هذا.

[إسلام بجير وكعب]

قال أبو زيد عُمر بن شبّة: ومما يُرْوى مِنْ خبره أنَّ زهيراً كان نظّاراً متوقّياً، وأنه رأى في منامه آتِياً أتاه، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسّها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتُضِر قصَّ رُؤْياه على وَلْده، وقال: إني لا أشكُّ أنه كائن مِنْ خبر السّماء بَعْدِي شيء، فإن كان فتمسَّكوا به وسارِعُوا إليه.

فلما بُعث النبيُّ عليه السلام خرج إليه بُجَير بن زُهَيْر فأسلم، ثم رجع إلى بلادِ قومه، فلما هاجر رسول الله ﷺ أتاه بُجَيْر بالمدينة ـ وكان من خِيَار المسلمين. وشهد يوْمَ الفَتْح مع رسول الله ﷺ ويوم خَيْبَر ويوم حُنَيْن وقال في ذلك:

صَبَحْناهُم بألْفٍ من سُلَيْمٍ ... وألْف من بني عثمانَ وافِ
فرحْنا والجيادُ تجول فيهم ... بأرْماحٍ مُثَقَّفَةٍ خِفافِ
وفِي أكتافهم طعْنٌ وضَرْبٌ ... ورَشْقٌ بالمُرَيَّشَةِ اللطافِ(٢)

ثم ذكرَ خبره وخبَرَ أخيه كعب مثل ما ذكر الحزاميّ، وزاد في الأبيات التي كتب بها كَعْبٌ إليه:

فخالفتَ أسبابَ الهُدَى وتبعتَهُ ... فهل لك فيما قُلْت بالخَيْفِ هَلْ لكا؟

ثم قال في خبره أيضاً: إن كعباً نزل برجل من جُهَينة، فلما أصبح أتى النبيّ عليه السلام، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن أتيتُك بكعب بن زهير مُسْلماً أتؤمِّنُه؟ قال: نعم، قال: فأنا كَعْب بن زهير، فتواثبت الأنصارُ تقول: يا رسولَ الله، ائذَنْ لنا فيه. فقال: وكيف، وقد أتاني مُسلما! وكفَّ عنه المهاجِرُون ولم يقولوا شيئاً، فأنشد رسولَ الله ﷺ قصيدتَه:

* بانت سعادُ فقَلْبي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله:

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورهمُ ... وما بِهِم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

هكذا في رواية عُمَر بن شبّة، ورواية غيره «تعْليل».

فعند ذلك أومأ رسولُ الله ﷺ إلى الحِلَقِ[1] حوله أن تسمعَ منه قال: وعَرَّضَ بالأنصار في قصيدته في عدّة مواضع، منها قوله:

كانت مواعيد عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً ... وما مَواعيدُها إلاَّ الأباطِيلُ

وعُرْقوب: رجل من الأوس. فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا: ما مدحنا مَنْ هجا الأنصار، فأنكروا قوله، وعُوتب على ذلك فقال:

مَنْ سرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ مِن صَالحي الأنصارِ
الباذِلينَ نفوسَهمْ لِنَبِيِّهم ... عند الهِياج وسَطْوَةِ الجبَّارِ
والناظِرين بأعْينٍ محمَرَّة ... كالجَمْرِ غَيْرِ كَليلةِ الإبْصارِ
والضَّاربين الناسَ عن أديانهم ... بالمَشْرَفيّ وبالقَنا الخَطَّارِ
يتطهَّرُونَ يَروْنَه نسكاً لهم ... بدماء مَنْ عِلقُوا مِنَ الكفَّارِ
صَدَمُوا الكتيبةَ يوم بَدْرٍ صَدْمَةً ... ذَلَّتْ لوَقْعَتِها رِقابُ نِزارِ

قال أبو زيد: الذي عناه كعب رجلٌ من الأوس كان وعَد رجلاً ثمرَ نَخْلَةٍ فلما أطلعَتْ أتاه فقال: دَعْهَا حتى تلقح، فلما لقِحتْ قال: دَعْها حتى تُزهِي[1]، فلما أزهَتْ أتاه فقال: دَعْها حتى تُرْطِب، ثم أتاه فقال: دَعْها حتى تُتْمِر، فلما أتمرت عَدَا عليها ليلاً فجدَّها[2]، فضُرِب به في الخُلْفِ المَثَلُ، وذلك قول الشماخ:

وَوَاعَدَنِي ما لاَ أُحاوِلُ نَفْعَه ... مواعِيدَ عُرْقُوب أخاه بِيَثْرِبِ

وقال المتلمّس لعمرو بن هند:

مَنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمتَه ... والغَدْرُ عرقوبٌ لَهُ مَثَلُ

وما قالته الشعراء في ذِكر عُرقوب يكثُر.

---

(١) تزهي: تظهر الحمرة والصفرة، في الثمر.

(٢) جدّها: قطعها.

قـال إبـراهيم بن المنـذر: حـدّثني مَعْن بن عيسى، قـال: حـدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ، قال:

حدثني عليّ بن زيد أنَّ كعب بن زهير أنشد رسـولَ الله ﷺ هذه القصيـدة في المسجد الحرام، لا في مسجد المدينة.

قال إبراهيم: حدثني محمد بن الضّحّاك بن عثمان عن أبيه، قال:
عنى كَعْبُ بن زهير بقوله:

* في فِتْيَـةٍ مـن قريـش قـال قائلهـم *

عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفهارس

١ ـ فهرس المصادر والمراجع(*)

القرآن الكريم

ـ أ ـ

ـ ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (٣٩٠ ـ ٤٦١/١٠٠٠ ـ ١٠٧١). العمدة. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٤، ١٩٧٢ م؛ مج ١، جزءان.

ـ ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (١٥٠ ـ ٢٣٢/٧٦٧ ـ ٨٤٦). طبقات الشعراء. بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٠/١٩٨٠.

ـ ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد الأندلسي (٢٤٦ ـ ٣٢٨/٨٦٠ ـ ٩٤٠). العقد الفريد. شرح وضبط وتصحيح أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦/١٩٨٦، ٧ مجلّدات.

ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦/٨٢٨ ـ ٨٨٩). الشعر والشعراء. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. القاهرة، دار التراث العربيّ، ط ٣، ١٩٧٧ م؛ مجلّدان.

ـ ابن منظور، محمد بن مكرّم (٦٣٠ ـ ٧١١/١٢٣٢ ـ ١٣١١). لسان العرب.

---

* رتّبنا هذا الفهرس ترتيباً الفبائيّاً استناداً إلى نظام القلب، أي اسم العائلة أوّلاً للمؤلّفين الحديثين. أمّا المؤلّفون القدامى، فدوّنا كلّ اسم منهم بما اختصّ به واشتهر، ومَنْ كان من الأسماء يتصدّر بلفظ «أب». أو «ابن»، أو أمّ، عددنا هذه الألفاظ من أصل حروفه ودوّن في خانة الهمزة.

تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. القاهرة، دار المعارف، ٥٥ كراساً (جُمعت في ٦ مجلّدات).
- **أبو تمّام**، حبيب بن أوس (١٨٨ - ٢٣١/٨٠٤ - ٨٤٦). ديوان الحماسة. شرح أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي المعروف بالخطيب. مصر، بولاق، ١٢٩٦ هـ، ٤ أجزاء.
- **أبو زيد القرشي**، محمد بن أبي الخطّاب (- ١٧٠ هـ). جمهرة أشعار العرب. بيروت، دار صادر، لات.
- **أبو هلال العسكري**. ديوان المعاني. طبع القدسي، جزءان.
- **أحد أخوة المدارس المسيحيّة**. تاريخ الآداب العربيّة. مصر، ١٩١٤ م.
- **الأصبهاني**، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (٢٨٤ - ٣٥٦/٧٩٧ - ٩٦٧).
كتاب الأغاني. تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء. تونس، الدار التونسيّة للنشر، طبع ونشر دار الثقافة اللبنانيّة، طبعة ١٩٨٣ م؛ ٢٥ مجلّداً.
- **امرؤ القيس**، جندح بن حجر الكندي. الديوان. ضبطه وصحّحه مصطفى عبد الشافي. بيروت، دار الكتب العلميّة، طـ ١، ١٤٠٣/١٩٨٣.

- ب -

- **بروكلمان**، كارل. تاريخ الأدب العربي. ترجمة عبد الحليم النجّار. مصر، القاهرة، دار المعارف، طـ ٤، ٦ مجلّدات.
- **البستاني**، فؤاد افرام. الروائع «٣٢»، كعب بن زهير. بيروت، دار المشرق، طـ ٤، ١٩٦٩ م.
- **البغدادي**، عبد القادر بن عمر (١٠٣٠ - ١٠٩٣/١٦٢٠ - ١٦٨٢). خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مصر، مكتبة الخانجي، طـ ٣، ١٤٠٩/١٩٨٩؛ ١٣ مج.

- ح -

- **الحتي**، حنا نصر. مظاهر القوّة في الشعر الجاهليّ. أطروحة الدكتوراة اللبنانيّة في

اللغة العربيّة وآدابها، لم تُنشر، بيروت، الجامعة اللبنانيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الفرع الثاني، ١٩٨٩ م.

- **الحموي**، ياقوت بن عبد الله الرومي (٠٠٠ - ٦٢٢/٠٠٠ - ١٢٢٥). معجم البلدان. بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٤٠٤/١٩٨٤؛ ٥ مجلّدات.

- د -

- **الدّميري**، كمال الدين محمد بن موسى (٧٤٢ - ٨٠٨/١٣٤١ - ١٤٠٥). حياة الحيوان الكبرى. بهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد بن محمود القزويني. بيروت، دار الفكر، لات، مجلّدان.

- ز -

- **الزركلي**، خير الدين. الأعلام. بيروت، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٠ م؛ ٨ مجلّدات.

- **زيدان**، جرجي (١٢٧٨ - ١٣٣٢/١٨٦١ - ١٩١٤). تاريخ آداب اللغة العربيّة. بيروت، دار مكتبة الحياة، ط ٢، ١٩٣٨ م؛ مجلّدان.

- ق -

- **القالي**، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (٢٨٨ - ٣٥٦/٩٠١ - ٩٦٧). الأمالي. يليه كتاب التنبيه لأبي عبيد البكري. بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٤/١٩٨٤؛ مجلّدان.

- ك -

- **كعب بن زهير**. قصيدة «بانت سعاد». شرح التبريزي. تحقيق ف. كرنكو. بيروت، دار الكتاب الجديد، ط ١، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧١ م.

- ن -

- **النابغة الذبياني**، زياد بن معاوية. الديوان. شرح وتعليق حنا نصر الحتي. بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢ ـ فهرس القوافي

٣ - فهرس المحتويات